الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية

الحالة اليمنية والسورية أنموذجا

اعداد

الدكتور: إبراهيم محمد عبده موسى

إشراف

الدكتور: سيد محمد حلمي سيد عبد الرحمن

والدكتور: على بن علي ساجد

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كولالمبور

2018

الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية

الحالة اليمنية والسورية أنموذجا

اعداد

الدكتور: إبراهيم محمد عبده موسى

إشراف

الدكتور: سيد محمد حلمي سيد عبد الرحمن

والدكتور: على بن علي ساجد

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كولالمبور

2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة؛ صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل، بلا فتور أو كلل، إلى من علّمتني كيف يكون العطاء، وغرست في نفسي بوفائها كيف يكون الوفاء، إليك يا زهرة الحياة ونورها، إليك أماه... قطرة في بحرك العظيم... حباً وطاعة وبرا... أهدي هذه الرسالة؛ وشتان بين رسالتك ورسالتي.

إلى من كلّل العرق جبينه، وشققت الأيام يديه وقدميه.
إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار.
إليك والدي أطال الله بقائك، وألبسك ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرك ورد جميلك.

بكل الحب والوفاء... إلى رفيقة دربي... إلى من سارت معي نحو الحلم، خطوة بخطوة، وقضت الليالي والأيام في خدمتي وراحتي، لنحقق ما نتمناه، فهاك حلمنا؛ بذرناه معاً، وحصدناه معاً، وسنبقى معاً بإذن الله؛ إليك ريحانة قلبي... وروحه... زوجتي الغالية.

إلى أولادي وأخواتي ومشايخي وجميع أهلي... إلى أمتنا الإسلامية، إليكم جميعا أهدي هذا العمل..

شكر وعرفان

تتزاحم الكلمات وتتسابق العبارات، وتتقاطر العبرات، لتنظم عقداً مرصعاً بالشكر والعرفان، فأول الشكر لله العلي القدير؛ الذي أنعم عليَّ بإتمام هذا البحث، وجعلني أحصد ما زرعته لسنواتٍ قضيتها في طلبي للعلم، وها أنا بفضله ومنّه أجني ثمار ذلك الطلب.

ثم إنني أثني الشكر والتقدير لجامعة ملايا التي أتاحت لي فرصة اللحاق بركب الدراسات العليا؛ وأخص بالشكر أكاديمية الدراسات الإسلامية، متمثلة في عميدها داتو ذو الكفل؛ لما قدموه لي من تسهيلات، وتذليل للعقبات، للوصول إلى نهاية المضمار، والتي أرجوا أني قد حققت السبق فيه.

كما أن هناك نجوم براقه، تزين سماء جامعتنا العظيمة، لا يخفت بريقها عنا لحظة، نستضيء بضوئها تحمل قلوبا كريمة، تسعد بلمعانها كل طالب علم، فاستحقت وبكل فخر أن يُرفع اسمها عالياً، ومهما نالت من الثناء فلن يوفيها حقها، وهم جميع الأساتذة في الأكاديمية الإسلامية المباركة.

وممن استحق ثناء حسناً لا مبلغ لمنتهاه؛ أستاذي القدير الدكتور سيد محمد حلمي، وأستاذي القدير الدكتور علي بن علي ساجد، فقد كانا خير عون لي في دراستي، ولم يبخلا عليَّ بوقتهما ومشورتهما، فأكرم بهما من موجه ومرشد.

وكذا لا يفوتني أن أتقدم بالوفاء والعرفان، تقديراً مني بالجميل للدكتور المخلص، عبد الناصر سلّام الذي لم يتوانَ في مساعدتي لحظة لإيصال البحث لما وصل إليه، فهو صاحب الفضل في توجيهي وإرشادي.

وأخيراً: أتقدم بجزيل شكري إلي كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث علي أكمل وجه.

الملخص

في حين أن الأمة تمر بأزمة اعوجاج حاد في مسارها السياسي والديني والاجتماعي، زاد من تلك الأزمة قيام الثورات العربية التي باتت تعرف بالربيع العربي، والتي كان من المتوقع أن تجد فيه الشعوب العربية متنفسا من الاستبداد التي عانت منه لعقود من الزمن، غير أننا نجد أن ذلكم الربيع العربي تسبب بفتح الباب أمام بعض التيارات المنحرفة فكريا، وغيرت مساره وحطمت معها آمال الشعوب، ولذا جاءت الحاجة لهذا الموضوع الذي يوضح أثر هذه الانحرافات على ظاهرة الربيع العربي، وقلب معادلته. وكان من أهداف الدراسة الكشف عن بعض التيارات المنحرفة عقديا والتي تنتسب لأهل السنة، وهم تنظيم داعش والحوثية، كما تناول البحث نماذج لثورات الربيع العربي، وهي الثورة السورية اليمنية، كما تهدف الدراسة إلى بيان حالة الربيع العربي، وتهدف أيضا إلى بيان أثر تلك التيارات على الثورات العربية، والعالم الإسلامي. وكان المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، هو الذي انتهجته الدراسة. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج؛ من ذلك بيان الأسباب المؤدية إلى الانحراف العقدي، والأسباب التي أدت لاندلاع الربيع العربي. والحيادية في الحكم على الثورات وعلى التيارات، وأنه لا ينبغي النظر إليها من جهة واحدة، بحيث نأخذ أقوال للعلماء من جهة، ونهمل أدلة وإجماع علماء من جهة أخرى. كما استنتجت الدراسة أهم التيارات المؤثرة على الربيع العربي؛ وكان من أبرزها وأخطرها على الأمة هي من وافقت الشيعة والخوارج، ومدى الأثر البالغ الذي خلفته في تغير مسار الربيع العربي، وأشارت إلى النقيض الحاصل بين الفكر التكفيري والفكر التوفيقي، وإلى ظاهرة الإرهاب والغلو، والذي كثر الحديث عنه بين إفراط وتفريط، كما كان من نتاجها ضرورة التسليم لحقيقة الصراع القائم بين الحضارات، ولا يتم تكامل هذا الصراع إلا بالتأكيد على سنة التدافع، كما سلَطت الدراسة الضوء على قضية الخروج على الحاكم، وشرعية التغيير.

الكلمات الدلالية: إيمان، انحراف، فكر، عقيدة، الربيع عربي، داعش، الحوثية، التدافع، الغلو.

المحتويات

الإهداء.....1
شكر وعرفان.....2
الملخص.....3
المقدمة: 6
التمهيد: مفهوم الانحراف.....9
المطلب الأول: مفهوم الانحراف.....12
أولا: معنى الانحراف لغة:.....13
ثانيا: معنى الانحراف في الاصطلاح:.....14
المطلب الثاني: الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية إليه. 15
أولا: مفهوم الانحراف الفكري:.....15
ثانيا: مفهوم الانحراف الفكري.....16
ثالثا: العوامل المؤدية للانحراف الفكري: 18
الحواشي.....22
الباب الأول:الربيع العربي الأسباب والتحديات.....23
المطلب الأول: الأسباب المؤدية للربيع العربي:.....25
السبب الأول: المحور السياسي: 26
السبب الثاني: المحور الاقتصادي: 33
السبب الثالث: المحور الاجتماعي:.....37
المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الربيع العربي.....41
الحواشي:.....48
الباب الثاني: قضايا فكرية، وأثرها على الربيع العربي.....51
المطلب الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع: 54
المطلب الثاني: المشهد الغربي على المسرح الإسلامي:.....65
أولا: غزو العراق:.....66
ثانيا: أمن إسرائيل: 66
سيناريو (الموت لأمريكا).....68
الباب الثالث: الربيع العربي ونظرية المؤامرة 73
المطلب الأول: الربيع العربي، ودوره في إنعاش التيارات المنحرفة: 75

المطلب الثاني: نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة: 79
الحواشي..... 92
الباب الرابع: التيارات الفكرية وأثرها على الربيع العربي – اختلاف الأمة وافتراقها 96
المطلب الأول: اختلاف الأمة والأسباب المؤدية إليه: 98
السبب الأول: الخلاف السياسي: 98
السبب الثاني: الخلاف الفكري: 101
المطلب الثاني: مفهوم أهل السنة، والوعيدية والمرجئة:..... 104
أولا: مفهوم أهل السنة:..... 104
ثانيا: مفهوم الوعيدية: (معتزلة – خوارج) 110
ثالثا: الشيعة، التعريف والمعتقد: 119
الباب الخامس: أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي 127
المطلب الأول: التيار الموافق للخوارج في العصر الحديث؛ (داعش) 130
أولا: النشأة والتعريف: 132
ثانيا: مخالفة (داعش) لمعتقدات أهل السنة، وأقوال العلماء فيهم: 134
ثالثا: الانحرافات وأسبابها لدى تنظيم (داعش)..... 140
المطلب الثاني: التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث: (الحوثية). 153
أولا: النشأة والتعريف. 154
أولا: الجذور الفكرية المتصلة بالشيعة والوعيدية، لدى الحوثية: 161
ثانيا: أهم الانحرافات الفكرية لدى الحوثية:..... 164
ثالثا: الترابط الحوثي الإيراني، والتغلغل الرافضي في اليمن:..... 168
الخاتمة:..... 195
النتائج:..... 198
التوصيات:..... 200
أولا: ما يتعلق بالفرد المسلم. 200
ثانيا: ما يتعلق بالمجتمع المسلم. 200
ثالثا: ما يتعلق بالمجتمع العالمي (الدولي)..... 200
المراجع والمصادر: 201

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتمُ الرسلِ والأنبياء، وإمامُ المجاهدين والعلماء، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحابته الأجلاء، وعلى السائرين على دربه إلى يوم اللقاء، ما تعاقب الصبح والمساء:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]، وبعد: فان أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق الإنسان على الحنيفية السمحة، وفطره على التوحيد الخالص، وأخذ عليه العهد في الوحدانية له وحده وهو في صلب أبي البشر عليه السلام ، وجعله يشهد على هذه الحقيقة من لدن خلْقه في صلب أبيه آدم ، قال الله تعالى مبينا ذلك الميثاق:﴿ وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف: 172-174]، ثم أمره سبحانه باتباع الصراط المستقيم الذي بينه له، وجلاه له أوضحه له أيما إيضاح؛ بإرسال الرسول تلوَ الرسول؛ ليرشدوا الناس ويدلوهم على هذا الصراط المستقيم قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: 153]، ومع ذلك نجد أن البعض انتهج طرقاً مائلة ومنحرفة عن الصراط المستقيم، لسبب أو لآخر.

وكما أن الخطى قد تنحرف، فإن العقيدة والفكر كذلك قد ينحرفا عن المسار الصحيح، لذلك أرسل الله الرُسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لتصحيح هذا المسار، ولبيان صراط الله المستقيم، ولكي تقوم عليهم الحجة البالغة التي لا تترك لهم المجال في التحجج والأعذار، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[النساء: 163-164]، بدأً بنوح عليه السلام، ومروراً بأبي الموحدين إبراهيم عليه السلام، وختْماً بمحمد ﷺ، الذي بلّغ التوحيد، وأبانه حق البيان، فدعا وجاهد لأجله، وأقام منارات العلم والهدى لإيضاحه، وأثبت الأحكام وأرسى الشريعة، وأقام الحدود لاستقراره، وأنشأ مجتمعاً هو خير مجتمع ظهر على وجه الأرض؛ اتبعوا الحق، واستسلموا للأمر والنهي، وحكّموا شريعته فلم يبدّلوا ولم يغيّروا، فكانوا خير أمة أخرجت

للناس، فنالوا وسام الرضى من رب الأرض والسماوات، قال الله تعالى:﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: 100].

فكان هناك من تطاول على العقيدة وأهلها، وأجلب عليها بخيله ورجله، فباتوا يدسون سموهم وينفثوا درنهم الفكري، والفكري، على المجتمع المسلم، وقد تعدد أولئك المتطاولون؛ فالبعض منهم معلوم الضرر، واضح المنهج في الضلال والكفر، كالتيارات الإلحادية، والماسونية، والليبرالية، والحداثة، وغيرهم؛ ولوضوح ضلالهم رأيت ألا أتعرض لهم في هذه الدراسة، مع أن التصدي لهم يعد من الواجبات المحتمات، ولكن لعلّ الله أن ييسر لي الحديث عنهم في بحث مستقل، أما الأخطر في رأيي في هذا الوقت وبالذات في زمن الربيع العربي وما بعده؛ حينما ظننا أن الأمة قد استيقظت من نوم الغفلة، ونفضت عنها غبار –بل تراب– الذل، جاء أولئك فدخلوا على المجتمع المسلم باسم الدين، والحرص على العقيدة، وتخليص المجتمع من الظلم، وأخذ الحقوق للمظلوم، والبكاء والتباكي على آل البيت.

فما رأينا من أولئك إلا أن أخرجوا الناس من نور الحق إلى ظلمات الباطل، ورميهم من منارة التوحيد إلى حفرة البدع والخرافات، وقذفهم في مستنقع الغلو والإرهاب، ومحاولة تبديل إيمانهم إلى نفاق وشبهات، والزجّ بهم في متاهات الشك والغوايات، ولا شك أن كل ذلك يعد انحرافات في المعتقدات.

ولضرورة الإسهام في التصدي لتلك التيارات المنحرفة، أحببت أن أشارك بهذه الدراسة لعلها تسهم بإذن الله تعالى في الكشف عن خطر هذه الأفكار الموبوءة، وبيان الانحرافات المشينة.

ولا شك أن هناك كثير من المؤثرات التي ساعدت في انحراف مسار الربيع العربي، وبدلت الكثير من التصورات والتوقعات التي تنبأ بها الكثير من المفكرين والمحللين، كالمؤثرات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وجميع هذه المؤثرات وغيرها قد لعبت دورا كبيرا في إيدلوجية الربيع العربي، غير أني قد ركزت على المؤثرات المتعلقة بعقيدة المسلم، لأن المؤثرات الفكرية هي المؤثر الأهم بنظري، فلو صلُحت عقائد الناس واستقامت لما حدث مع حدث في العالم كله، وفي دولنا الإسلامية على الخصوص.

ثم إني رأيت أن أتعرض فقط لبعض هذه الطوائف أو الأفكار التي تُعتبر هي أساس الفرق ومنها تحدّرت أكثر الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة منذ ظهورها، وهم من وافق: (والخوارج، والشيعة) في العصر الحديث؛ خشية الإطالة والملل، فسلطت الضوء على تلك الطوائف التي تحدّرت من الطوائف الأم، وكيف أنهم قد وافقوا تلك التيارات في كثير من الانحرافات الفكرية، وبينت زيف ادعائهم بالتمسك بالدين، والحرص على نشر العقيدة الإسلامية، التي جعلت الكثير من المسلمين يتأثر بهم في مجتمعنا المسلم، وينخدع بهم، بل ويتبنى الترويج لأفكارهم المنحرفة، فكان لهما أثر كبير على المجتمع المسلم بالعموم، وعلى الربيع العربي بالخصوص، وهذه

التيارات هي: تنظيم الدولة الإسلامية؛ "داعش"، وتنظيم الشباب المسلم، "الحوثية"، ونرى أن كل اسم لتلك التيارات؛ ما يوحي للناظر أنها تمثل الإسلام.

كما أوضحت مدى التوافق والتشابه الذي بين كل تيار من التيارات الحديثة والتيارات القديمة التي ارتبطت بها فكريا، أو بعبارة أفصح: (وافقتها) على نفس المنهج والمعتقد، وحتى لا يرى البعض أو يستثقل إطلاق أو مسمى الطائفة الأم على حفيدتها نفس المسمى، آثرت أن أطلق عليهم: من وافق تلك التيارات، لعلها تكون أنسب والطف في العبارة، وقد ذكرت هذه الفرق حسب التسلسل الزمني للفرقة الأم وليس حسب الظهور الزمني لنشأة التيار الحديث.

ثم أتيت على ذكر للربيع العربي، وتلك التظاهرات والاحتجاجات، وماهي الأسباب الدافعة وراء تلك الثورات، وهل ما كانت الشعوب تؤمله تحقق في تلك الثورات؟ وهل كان الربيع ألما أم أملا؟

وأكدت على تأثير تلك التيارات على مسار الربيع العربي، وكيف كان لها دور في تحويل ذلك الربيع بنسماته العليلة، إلى خريف حمل معه الرياح والعواصف، وقلبت الميزان رأسا على عقب، فبعد أن أصبح الربيع العربي في نظر الغالبية العظمى يحمل معه الخير للناس، أصبح يُنظر إليه أنه مصدر للبلاء، ورأس للفتنة، وجالب للشرور، مع أنه كان في بداية أمره بوابة أمل لكل الشعوب المظلومة والمحرومة من أبسط حقوقها.

كما إنني أوضحت بعض المفاهيم والقضايا الفكرية التي تتعلق بالفرد والمجتمع المسلم، وكذلك ما يتعلق بالمجتمع الدولي، من أثر تلك الانحرافات، والتي ينبغي على المسلم أن يهتم بها للعناية بمعتقده ومصدر التلقي السليم، كي يسعى لمجاهدة نفسه ومخالفة هواه، للنهوض بالأمة الإسلامية من ضعفها وتأخرها، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع إلى الوحيين (القرآن والسنة)، بطريقة الصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فالله أسال جل في علاه، الذي من على العرش استوى، والذي وسع كرسيه الأرض والسموات العلى، أن يوفقني للإتيان فيها بكل ما هو مفيد ونافع لأمتنا الإسلامية، ولمجتمعنا المسلم، وأن يبارك في هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجه الكريم، ويكتب له القبول ... إنه سميع عليم.

التمهيد

مفهوم الانحراف

في ظل التحديات المحدقة بالأمة، من الخارج والداخل، وفي زمن كثرت فيه الدعوة إلى الأفكار المنحرفة، والتي زخرف أهلها والداعون إليها القول في التمسك بما كان عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة، مما أشكل على الكثير ممن ضعفت عقيدهم، وقلَّ علمهم، فجعل البعض في حيرة وتخبط، وجعل البعض يندفع نحوهم مؤيدا ومناضلا.

ولكي ندخل في صلب الموضوع؛ والذي سنتناول فيه الكلام عن بعض التيارات المنحرفة؛ والتي كان لها ظهور واضح عقب مجريات الثورات العربية التي وقعت في العالم العربي، وبالتحديد في كل من (تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، وسوريا). والتحذير مما سار عليه أولئك؛ والذي قد أضحى مصدرا للفتنة، وإشاعة للبدعة، وتحاملا على المخالفين.

ومن باب الحرص على أن تظل الأمة متماسكة كما أراد منها ربها عز وجل، تدين بالإسلام اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وتحقيقا لقول الله ﷻ:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[لأنعام: 153]. لذا كان هذا المبحث والذي سوف يكون الكلام فيه بعون الله تعالى عن مفهوم العقيدة، وبيان المراد بأهل السنة والجماعة، مع الوقوف على دلالة الإيمان، والمفاهيم المتعقلة به؛ حيث تعدُّ مسألة الإيمان من أكبر المسائل التي حصل فيها النزاع بين أهل السنة والمخالفين لهم، ولولا الفهم الخاطئ لمسمى الإيمان لما وجدت هذه الخلافات، والصراعات، ولما أريقت الدماء.

ولا يخفى ما أحدثه الاختلاف في مفهوم ودلالة الإيمان من أثر بالغ في انحراف الاعتقاد منذ نشأته ابتداءً، إلى يومنا هذا، ولا يزال أثر هذه الانحرافات واضحا على الكثير من الكتّاب والمفكرين، وليتضح أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين الغالين مثل الوعيدية، وبين الجفاة مثل المرجئة.

وقد جاء التركيز في تلك على طائفتين انتشرت أفكارها ومعتقداتها في العالم الإسلامي عموما وفي دول (الربيع العربي) خصوصا؛ لما وقع منهم من فتنة عظيمة، سقط فيها كثير من أبناء المسلمين اغتراراً بهم، وتنبيها لأبناء الأمة بخطورة الفرق المنحرفة الذين:﴿ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[المائدة:77]، فحرصت قدر الاستطاعة أن أفنّد الخلل الذي وقعت فيه تلك الفرق، ومخالفتها للكتاب والسنة اللذان هما مصدرا التلقي، ومبيناً لما عليه أهل السنة في حقيقة الإيمان.

وحيث أن الإيمان هو الأصل، وإنما جاء الانحراف حادث وطارئ على هذا الأصل، فأردت قبل الكلام على الانحرافات، إدراك ما هو هذا الشيء الذي تم الانحراف فيه؛ وهو (الإيمان)؛ حيث أن الحاجة إليه في بيان الفرق بين ما سار عليه أئمة أهل السنة، وما الذي عليه بعض المتأخرين مما خرج على الأمة باسم أهل السنة، وهو مخالف لهم شكلاً ومضموناً، كحال بعض ممن يطلقون على أنفسهم: (تنظيم الدولة الإسلامية)،

وحالهم يخالف ما عليه الإسلام وعلماء المسلمين، مع ادعائهم بأنهم يسيرون على ما سار عليه أئمة أهل السنة؛ إلا أنهم قد حادوا عن منهج أهل السنة بالمجمل، وأتوا بما لم يأت به الأوائل.

كما أن الكلام على الإيمان يهمنا في بيان حقيقة أدعياء الزيدية؛ الذين خرجوا على الناس بلباس الزيدية وزيد برئ منهم؛ بل هم على منهج الرافضة حقيقة، ولا يعني ذلك أن ما عليه الزيدية موافق لأهل السنة إجمالا، إلا أن المراد هو تعرية الطائفة الحوثية من الزيدية، وخروجهم عن المذهب الزيدي عموما؛ لأن الاغترار بهم جاء من هذا الباب.

كما أن المراد من إيراد مبحث عن الإيمان؛ لكي يتضح المعتقد الصحيح من السقيم، ويعرف من هم أهل السنة، من الذين ليس لهم في دعواهم سوى الكلام، ولتُعرف حقيقة الانحرافات الفكرية التي وقعت فيها بعض الجماعات المنحرفة، والتي لبّست على الناس الحق بالباطل، ومدى تأثر بعض الجهلة من المسلمين بهذه التيارات المنحرفة، وكيف استطاعت هذه التيارات أن تركب الموجة؛ أقصد موجة (الربيع العربي)، وحرفت المسار الذي كاد أن يكون أملا وإيجابياً على الشعوب العربية، إلى مردودات عكسية أثرت سلباً على شعوب المنطقة، ولا زالوا يتجرعون غصصها إلى يومنا الحاضر؛ إلا أن الأمل لا يزال قائم بإذن الله، وسوف تحقق تلك الثورات الربيعية أهدافها، وتجنى ثمارها.

كما أن هذه الانحرافات قد عكست صورة سلبية عن الإسلام خلّفت ذلك التحامل من قِبَل أعداء الإسلام عليه، فشرعوا لأنفسهم التدخل في ديار المسلمين بحجة محاربة الإرهاب، ذلك الاسم الذي أطلقوه بغية الحرب على الإسلام.

المطلب الأول: مفهوم الانحراف

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بالتوحيد، وخصهم بنور الهداية والرشاد، وحثهم سبحانه على طلب الهداية والثبات على الصراط المستقيم، بل وأجب ذلك عليهم وجعله من فرائض الدين، حيث لزم العبد أن يكرر طلب الهداية في كل صلاة:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: 6]. فالاستقامة هبة من الله تعالى يهبها لمن شاء من عباده، ونقيض هذه الاستقامة هو الانحراف والعياذ بالله، والزيغ عن الصراط المستقيم، ومن انحرف أو زاغ، فهو لما محالة هالك، إلا أن يلطف الله به، ووبال المنحرفين ليس عليهم فقط، بل يتعدى هذا الوبال إلى مجتمعه وأمته، وفي هذا المبحث سوف نتكلم عن مفهوم الانحراف، والعوامل المؤدية للانحراف.

ومما يشغل الكثير من المفكرين، والعلماء، هي ظاهرة الانحرافات الفكرية، وقد تناولها جميع أولئك على مختلف مللهم ومذاهبهم، وخاضوا في ذلك سواء من الناحية الفكرية أو الاجتماعية أو السلوكية، ... الخ. وكان الدافع من وراء هذا الاهتمام الملحوظ حيال هذا هو؛ الكشف عن حقيقتها والسعي لمعرفة الأسباب المؤدية لها، وإيجاد الحلول للوقاية منها، ولكل دارسٍ رأيه الذي توصّل به إلى تلك الأسباب والتصدي لها، إلّا أن الجميع يجمع على أن ظاهرة الانحراف ظاهرة خطيرة تعصف بالأمة الإسلامية، وتُعدُّ شرٌ مُحدق ينخر في القيم ولأخلاق والدين.

لا يخفى أن العالم في هذه الحقبة الزمنية من أدناه إلى أقصاه قد أصبح قرية صغيرة، يُعرف ما يدور فيه في لحظات وجيزة، وكل ذلك بسبب الكم الهائل من وسائل الاتصالات الحديثة، سواء المسموع منها أو المقروء أو المرئي، وهذا هو الذي جعل العالم الحديث عبارة عن غرفة عمليات مصغرة، وعلى ما فيها من تقدم ورقي في العلم والمعرفة؛ إلا أنها تشكل الخطر الرئيس وراء كثير من الانحرافات في عصرنا الحاضر، وقد تكون سببا في زعزعة العقائد والقيم والسلوك. وقد أصبح بمقدور أي شخص أن يطرح ويناقش ويبث ما لديه من عقائد فاسدة، بواسطة تلك الوسائل المتاحة في شبكة "الانترنت، بالإضافة إلى سهولة التأثر بمختلف الحضارات المناقضة للقيم السليمة، لكثرة ما يبث فيها من سموم هدامة للأفكار.

تعريف الانحراف لغة واصطلاحا.

من السهل أن يتحدث الخطيب أو المحاضر عن الانحرافات، كذلك يسهل على الكاتب أن يخوض في غمار الانحرافات بشتى أنواعها، وتكمن السهولة في ذلك عندما يتم الحديث عنها بالمجمل، ولكن عندما يغوص الباحث في لجج المعاني الدالة على الانحرافات، ويتعمق في بحورها، ليكتشف المعاني الدقيقة لهذا المفهوم هنا تكمن الصعوبة نوعا ما، لأنه يسعى في إيضاح مالم يكن واضح، أو التوسع في موضوع قد عرض مجملا، وهذا يعني أنه يحقق في مفاهيم ومعان عدة، لحالة هذا الموضوع.

أولا: معنى الانحراف لغة:

يطلق الانحراف ويراد به تخصيص أحد المضامين العامة، كأن يخصص الانحراف بـ: "الانحراف الفقهي، أو القانوني، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو النفسي، أو السلوكي، أو الانحراف الفكري، أو الفكري، ...، إلخ. وعند الكلام على أي موضوع من المواضيع، أن يقدم بالإيضاحات اللغوية لذلك الموضوع كتهيئة لمعرفة ما اشتمل عليه من البيان، كي يسهل فهمه، وما تضمنته من المعاني.

الانحراف: أصل كلمة انحراف هو: (ح ر ف)[1] الْحَاءُ – الرَّاءُ – الْفَاءُ. تأتي على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: حَدُّ الشَّيْءِ:

الْحَدُّ: حرف كل شيء؛ كحد السيف، وحد الجبل، وحد الساحل، وحد والدولة[2]. ومنه الحرف: وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد؛ أي طريقة واحدة، كقوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾[الحج: 11]؛ أي: على وجه واحد. وذلك أنه يجب على العبد طاعة ربه تعالى عند السّراء والضّراء، فإذا أطاعه عند السّراء وعصاه عند الضراء فقد عبده على حرف، كما قال الله:﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾[الحج: 11].

الْأَصْلُ الثَّاني: تقدير الشيء:

- ومنها، الْمِحْرَافُ: وهي حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج، قال: القطامي[3]:

  إِذَا الطَّبِيبُ بِمِحْرَافَيْهِ عَالَجَهَا .... زَادَتْ عَلَى النَّقْرِ أَوْ تَحْرِيكِهَا ضَجَمًا

- ومنها: حِرَف: جمع حِرفة، الجمع: حِرْفات وحِرَف. وحِرْفة: بالكسر: الصناعةُ[4].
- والمُحترف: الصانعُ. وحِرْفِيّ: صاحب الحرفة، وفلانٌ حريفي، محترف، صانع[5]. قال أبو زيد: أَحْرَفَ الرجل فهو مُحْرِفٌ، إذا جاء بالمال الكثير ونما مالُهُ وصَلُحَ. قال الأصمعي: يقال: هو يحرف لعياله، أي يكسب من هاهنا وهاهنا. وأهل الحِرَف: أصحاب الصَّنائع[6].
- وقيل: أن المحارف هو الذي قُدر عليه رزقه. ورجل مُحارَفٌ: محدودٌ محرومٌ، وهو خلاف مبارك.

الأصل الثَّالث: فراق الشَّيْءِ والعدول عنه:

- انْحَرَفَ عن يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا. وَحَرَّفْه: عدل به وأماله.
- منها: حَرَّفَ: (فعل). حرَّفَ يحرِّف، تحريفًا، فهو مُحرِّف، والمفعول مُحرَّف. وذلك كتحريف الكلام، وهو عَدْلُهُ عن جهتهِ. وزوَّره؛ غيَّره وصرفه عن معانيه. قال الله:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[النساء: 46]؛ أي: يميلون به عن مواضعه. وحرَّف النَّصَّ: صحَّفه وأخطأ في قراءته، وحرَّف الحقيقةَ حرف القانونَ، حرف الوقائعَ[7].

- اِنْحَرَفَ: (فعل: خماسي لازم، متعد)، اِنْحَرَفْتُ، أَنْحَرِفُ، انْحَرِفْ، مصدر اِنْحِرافٌ: إلى/عن، انحرافًا، فهو مُنحرِف، والمفعول مُنحرَف إليه. والجمع: انحرافات. اِنْحِرافٌ عن الطريق المستقيم: الخروج عن جادة الصواب، وانحرف عن هدفه النبيل. وانحرفت السيارة: ابتعدت عن الطريق.

ويتضح مما سبق ترابط هذه الأصول وأنها تشمل: (البعد والميل، والحد والتبديل)، وكل واحد من تلك الأوصاف تفيد نفس المعنى في الانحراف، وأن من وصف بأحد تلك الصفات يقال له منحرف.

ثانيا: معنى الانحراف في الاصطلاح:

لقد حاز مفهوم الانحراف اهتمام الكثير من العلماء، والمفرين والدارسين، لذلك نجد أن كل مختص ينظر إلى تلك الانحرافات من منظور مجاله العلمي، ويوكد ذلك ما جاء معنا في المفاهيم اللغوية لمعنى الانحراف، فكل علم مستقل بذاته له مفهوم يناسبه ويتناسق معه، وكلٌ في مجاله وتخصصه.

يندرج تحت الانحراف بمعناه الاصطلاحي عدة مفاهيم؛ ومفادها جميعا يدور حول انحرافات المعتقد، والفكر، وهو ما يهمنا في دراستنا وبشكل رئيس. ولتوصيف الحالة، لزم التعريف بها. وعند البحث في المراجع ومعاجم اللغة الدراسات التي تحدثت عن الانحرافات الفكرية، لم تعريفا كافيا شاملا للانحراف الفكري في الاصطلاح، أما معاجم اللغة فقد اقتصرت على التعريف اللغوي، وأما الدراسات التي تحدثت عن الموضوع فإن الكل لم يتطرق لمفهوم الانحراف الفكري في الاصطلاح، ومن جاء بالتعريف اصطلاحا فإنه راح به إلى التعريف ما يتعلق بالفكر. وكون دراستنا متعلقة بالانحرافات الفكرية، وأن المراد منها بالخصوص هو التيارات الفكرية المنحرفة فكريا، ولعل ذلك يرجح تعريفنا الاصطلاحي للانحراف الفكري.

ولقد بدل الكثير من العلماء والمفكرين جهدهم في الوصول إلى تعريف شامل للانحراف بالمعنى الاصطلاحي، وقد أتت هذه التعريفات على عدة وجوه، لكل مجال تعريفه الاصطلاحي المتعلق به. سنذكر منها ما هو المفهوم العام ثم نذكر التعريق الاصطلاحي المتعلق بالانحراف الفكري، ومن ذلك:

- الانحراف بمعناه الواسع كما يقول الدكتور غباري: هو " انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة "[8].
- أما الدكتور العيد فيعرفه بقوله: الانحراف هو" ضد الاستقامة التي أمر الله ورسوله بها، وهو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق "[9].
- أما الشيخ السدحان فيرى أن الانحراف هو:" ارتكاب أي فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه، أو ترك أي فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به، دون أن يكون للفعل أو للترك عذر شرعي مُعتبر"[10]
- ويرى الدكتور الزحيلي أن الانحراف ما هو إلا: " الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان "[11].

وبالرغم من أن هذه التعريفات تعبر عن الانحراف بالمفهوم الواسع، إلا أنها جميعا تصبّ في وعاء واحد وهو انحراف التدين، والحياد عن الفطرة السليمة، والاستسلام للغريزة البشرية دون قيد، والقيام بأعمال تؤدي إلى انتهاك لقواعد ومعايير متعارف عليها، ويوصف مرتكبها عموما، بالعدول عن الصراط المستقيم.

المطلب الثاني: الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية إليه.

قضية الانحراف قضية حساسة ومهمة من جميع الزوايا التي تعنيها هذه الكلمة في شتى شئون الحياة، لذا نجد أن هناك من العلماء تخصصوا في بيان الانحراف السلوكي، ومنهم من تكلم في الانحراف الاجتماعي، ومنهم من خاض في مفهوم الانحراف الفقهي، ناهيك عن الجوانب العلمية كالانحراف الفيزيائي والفلكي وغير ذلك، وإن الأهم برائي في ذلك كله هو الانحراف المتعلق بالعقيدة والفكر؛ لأن باستقامتها يستقيم الدين، وإن استقام الدين تستقيم الحياة، والعكس كذلك، فإن انحرف الفكر والعقيدة، يعني انحراف الدين، ولو انحرف الدين، انحرفت الحياة. فما هو هذا الانحراف وما هي العوامل المؤدية له؟

أولا: مفهوم الانحراف الفكري:

مصطلح "الانحراف الفكري" من المصطلحات الحديثة؛ ولذلك لم تذكر معاجم اللغة تعريفاً له. ويتصف مفهوم الانحراف الفكري بأنه " مفهوم نسبي متغير، فما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والسائدة "[12]؛ ولذلك فقد عُرِّف الانحراف الفكري بتعاريف عدة، منها ما ذكره:

الدكتور طالب مبارك، بأنه: " نوع من الفكر يُخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية؛ للمجتمع، ويُخالف الضمير المجتمعي، وأهم من ذلك كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع"[13].

ويعرف الهماش الانحراف الفكري بأنه" عدم اتساق أو تطابق الفكر الشخصي بانطباعاته، وتصوراته، وآرائه، مع مجموعة المبادئ والقيم العقدية والثقافية، أو السياسات المستقرة في المجتمع "[14].

وفي نفس السياق عرّف الدكتور علي الجحني الانحراف الفكري بأنه: " انتهاك للمعايير المتعارف عليها، ومحاولة الخروج على قيم وضوابط الجماعة "[15].

أما الدكتور سعيد القليطي، فيعرف الانحراف الفكري بقوله: " ذلك الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والأعراف والنظم الاجتماعية، أي أنه ذلك الفكر الشاذ الذي يحيد بالمجتمع عن تقاليده الحميدة، ويُخالف تعاليم الإسلام الحنيف، والقيم السمحة "[16].

وتضيف الدكتورة هيا آل الشيخ تعريفا تستنتج منه مآل الانحراف الفكري بقولها: " الانحراف الفكري مُرادف للتطرف والغلو الذي يترتب عليه العنف والإرهاب؛ لأن التطرف والغلو مُجاوزة حد الاعتدال وعدم التوسط، فالتقصير في التكاليف الشرعية والتفريط فيها تطرف، كما أن الغلو والتشديد فيها تطرف "[17].

ويتضح مما سبق من التعريفات أنها تدور حول مخالفة العقيدة، والخروج عن مبدأ الوسطية والاعتدال، والذي تحلق بجناحين أحدهما الغلو والتشدد والآخر الجفاء والتفريط، وكلاهما في فيما يتعلق بالدين، ولا شك أن كلا الحالتين خطير على الفرد والأمة. كما يتضح من تلك التعريفات أنها تركز على قضية المخالفة للمجتمع، وما يؤمن به من قيم وأخلاق وثقافة، وما يعانيه المنحرف من العزلة الاجتماعية، تسبب بها فكره وتصوره وآراءه المعارضة لما عليه المجتمع.

وبذلك يُمكن خلاصة تعريف الانحراف الفكري بأنه: ميل الفكر وخروجه عن الوسيطة والاعتدال باتجاه التطرف والمجاوزة؛ سواء في الغلو أو التفريط، وعدم فهم الأمور الدينية وتطبيقاتها ومُخالفته لقيم وأخلاق وثقافة المجتمع، ومناهضة الأنظمة والقوانين للبلد التي يقطنها، وكل ذلك يُشكّل خطراً على نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماتها.

ثانيا: مفهوم الانحراف الفكري.

لقد أثبتت أبحاث علماء الأديان، مدعومة بأبحاث علماء الأجناس، والنفس، أثبت هؤلاء جميعهم أن عقيدة الخالق الأكبر أو (فطرية التوحيد) وربوبية الله، هي أقدم ديانة ظهرت في البشرية، مستدلين على ذلك بأنها لم تنفك عن أمة من الأمم قديمًا وحديثًا، وهذا ما تقرره الديانات السماوية، إذ تؤكد أن للكون خالقاً عظيماً؛ فطرت النفوس على الإقرار بوجوده، والسعي لعبادته، والتقرب إليه، وهذه هي (قضية الوجود).

ولهذا ظلت الديانات السماوية مرتبطة بالإنسان منذ وجوده على الأرض، حيث لم تخل أمة من الأمم إلا وقد بُعث إليها رسولا؛ يرشدهم إلى الخالق العظيم، ويدعوهم إلى عبادته، وبذلك تتضافر الأدلة التاريخية على وجود الله تعالى، أما ما ينتج بعد ذلك من الانحراف الفكري؛ فيكون في الغالب نابع عن استخدام العقل في غير ما خلق له، أو في مجالات فوق طاقة العقل، كالبحث فيما وراء الطبيعة، أو تأويل آيات القرآن المتشابهة تأويلا في غير موضعه، أو تفسر آيات القرآن حسب الأهواء الشخصية، أو الميول المذهبي والطائفي، وكل ذلك افتراء على الله تعالى وآياته، وكذلك عدم التصديق بأحاديث الرسول ﷺ، بحجة عدم موافقتها للعقل المحدود، لذلك يتبين أن الانحراف لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي نتيجة أسباب عديدة، سأذكرها بعون الله تعالى في موضعها عند الكلام على أسباب الانحراف. ولهذا قد تواتر الذمّ لأهل الأهواء منذ عصر النبوة، وتتابع الذمّ لهم عبر الأزمان والقرون.

قال الإمام الإسفراييني: " قد روى عَن الخلفاء الرَّاشدين أَنهم ذكرُوا افتراق الأمة بعدهمْ فرقا، وذكروا أَن الفرْقة النَّاجية منْها فرقة واحدة وسائر من خالفها على الضلال في الدُّنْيا والبوار فِي الآخرة، وروى عن النَّبي ﷺ ذمّ القدريَّة وأَنَّهم مجوس هذه الأمة، وروى عنه ذمّ المرجئة مع القدريَّة، وروى عنهُ أَيضا ذمّ المارقين؛ وهم الخوارج، وروى عن أَعْلام الصَّحابة ذمّ القدريَّة والمرجئة والخوارج المارقة"[18].

أما السير على جادة الطريق؛ من اتّباع لكلام الله تعالى، فهو من شأن أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، ثم من اقتفى أثرهم وسار على طريقتهم، ثم كان خير هدي خصت به أمة الإسلام هو هدي النبي عليه الصلاة والسلام؛ فهو الطريق السليم الذي أمرنا الله به في قول الله تبارك:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود: 112]، ومعلوم ما الذي يضاد هذا الاتباع وهذه الاستقامة؟! ما هو إلا الانحراف والانزلاق والطغيان.

قال الإسفراييني رحمه الله" وقد علم كل ذِي عقل من أَصْحاب المقالات المنسوبة أَن النَّبِي ﷺ لم يرد بالفرقِ المذمومة الَّتِي أهل النَّار فرق الْفُقَهَاء الَّذين اخْتلفُوا فِي فروع الْفِقْه مَعَ اتِّفَاقهم على اصول الدّين لَان الْمُسلمين فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ من فروع الْحَلَال وَالْحرَام على قَوْلَيْنِ أَحدهمَا قَول من يرى تصويب الْمُجْتَهدين كلهم فِي فروع الْفِقْه وَفرق الْفِقْه كلهَا عِنْدهم مصيبون وَالثَّانِي قَول من يرى فِي كل فرع تصويب وَاحِد من المتخلفين فِيهِ وتخطئة البَاقِينَ من غير تضليل مِنْهُ للمخطئ فِيهِ وَإِنَّمَا فصل النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام بِذكر الْفرق المذمومة فرق أَصْحَاب الْأَهْوَاء الضَّالة الَّذين خالفوا الْفرْقَة النَّاجِية فِي ابواب الْعدْل والتوحيد أَو فِي الْوَعْد والوعيد أَو فِي بابي الْقدر والاستطاعة أَو فِي تَقْدِير الْخَيْر وَالشَّر أَو فِي بَاب الْهِدَايَة والضلالة أَو فِي بَاب الْإِرَادَة والمشيئة أَو فِي بَاب الروية والإدراك أَو فِي بَاب صفات لله عز وَجل وأسمائه وأوصافه أَو فِي بَاب من أَبْوَاب التَّعْدِيل والتجويز أَو فِي بَاب من أَبْوَاب النُّبُوَّة وشروطها وَنَحْوهَا من الابواب الَّتِي اتّفق عَلَيْهَا أهل السّنة وَالْجَمَاعَة من فريقي الرأي والْحَدِيث على أصل وَاحِد خالفهم فِيهَا أهل الْأَهْوَاء الضَّالة من الْقَدَرِيَّة والخوارج وَالرَّوَافِض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة"[19].

والانحراف هو طريق الظلمات؛ الممزوج خوفا واضطرابا، والذي لا يمكن أن يرى على من سلكه سوى مظاهر النكد وآثار النصب، وعلامات الشقاء قال الله:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾[طه: 124]. ولذا ترى أن من انحرف عن سبل السلام، الذي عليه جماعة الموحدين، وقع في طريقة السالكين، واستوحش دروب السالكين، رغب عنهم، وأنس لفراقهم، وتغشى فؤاده الحقد والشماتة لأي نازلة تعترض طريقهم، وتراه يتمنى نزل بالمسلمين كل مصيبة، وحلت بهم كل نكبة، والعكس بالعكس، إن جاءهم نصر من الله، وعمتهم بشائر الرحمن فإن ذلك الفرح يحزنه.

وقد ترى من أصحاب ذلك المنحرف، والذين كانوا يتولون قيادة التزيين للباطل، ويشحذون همته في الغواية، ويشدوا من عزمه على الضياع؛ ممن سقط في حبائل الشيطان، وحملوا راية الطغيان إلى جواره، ممن كانوا يحذرون ذلك المسكين من الاغتراف من مناهل العلم النقي المستقى من كتاب الله وسنة نبيه، والذي بهما خلاص البشرية، بل كانوا يقطعون له وعودا مثل وعد السراب لمن أنهكه الظمأ، وسريعاً ما تتبدل كل تلك الوعود إلى مرارة توهن الفؤاد، وحسرة تفطر الكبد، قال سبحانه:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(27) يَاوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[الفرقان: 27-29]؛ فهذه الطرق المتعرجة للانحراف، توصل إلى متاهات فاشلة النتائج، تؤدي إلى الكفر والإلحاد وتؤدي إلى الخراب والدمار، والفضيحة والإذلال[20]، وما هو الحال في أمتنا الإسلامية إلا نتيجة تلك الانحرافات بشتى أنواعها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثا: العوامل المؤدية للانحراف الفكري:

الانحراف عن العقيدة من أعظم المهلكات، وهو الطريق الموصل إلى الضياع، ولا يحدث الانحراف في الدين؛ إلا بسبب الضعف في العقيدة، لأن العقيدة هي الدين، وقد جاء معنا أن من معاني العقيدة: هو ما يدين به المرء، وعند توارد الشكوك على الإنسان فهذا يعني أنه أصبح فريسة للمنحرفين، فينحرف عن الجادة، ومع الزمن يصبح من دعاة الانحراف عن المعتقد السليم، ولو أن المخلوق المميز بالعقل عن غيره من المخلوقات؛ استسلم للوحي الاستسلام الكامل، لاشك انه لن يصل بأي حال من الأحوال الى درب من دروب الانحراف؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[النور: 51-52] ، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[الأحزاب: 36]، وعندما حاول الانسان القاصر اقحام العقل في أمور المغيبات، ولم يعطي لنفسه الأمن من خلال إيمانها الذي جبلت عليه، نشأت الانحرافات وظهرت الانزلاقات عن الصراط المستقيم،﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[الشورى: 53]، فكان للشيطان ما أراد:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[ص: 82-83]، فهذا ابليس يقسم، والعقل يصدق، والهوى يتأقلم، والحصيلة انحراف عن الفطرة السليمة.

لذا نجد أن الانحرافات دركات، تبدأ بالمعصية ومن ثم البدعة مرورا بالشرك وتنتهي بالإلحاد، والله يقول: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172]، فكل انحراف حصل في البشرية، إنما هي من همزات الشيطان، الذي أبى أن يكون بني آدم على توحيد وإيمان تام، فأقسم أن يغويهم ويضلهم كي يشاركوه في الجحيم، لذلك نجد أن أول عبادة للأصنام كانت في قوم نوح عندما أوحى الشيطان لهم أن يعبدوا أصناماً

كانت لقوم صالحين. ففي الحديث عن ابن عباس، في تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح: 23-24]، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت)[21].

فهذه هي وسيلة الشيطان في الانحراف، بداية الأمر يأتي من باب الاستحسان، ثم يتدرج بالعباد شيئاً فشيئاً حتى يوردهم المهالك، ثم يقول في نهاية المطاف:﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[الحشر: 16]، لذلك من تأمل مكائد الشيطان، يرى أن أول شبهة وقعت على بني آدم في عبادة الأصنام كانت لرجال صالحين، وكان من الأصول التي اتبعها في ذلك هي: مزج الحق بالباطل، حتى يختلط على المرء الأمر فيصبح لا يستطيع التمييز، فيقع والعياذ بالله في الشبهة والتي تُفضي به إلى الخروج من الإيمان؛ إلا من عصم الله بالعلم والتسليم للوحيين، ومن أبى التسليم للوحي، وانجرف وراء الكيفيات، فلا شك أن ذلك هو لطريق الموصل للانحراف، ففي بدايته شبهة، ثم يتطور إلى فكرة واستحسان، ثم يتحول إلى عقيدة واستسلام، إلى أن يصل إلى تضحية ومنافحة من أجل ذلك.

وقد اقتضت حكمة الله أن:﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: 30]، قال السمرقندي: (فَرِيقاً هَدى وهم المؤمنون فعلم الله تعالى منهم الطاعة ويكرمهم بالمعرفة،﴿ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَة ﴾ أي: وجب عليهم الضلالة، فخذلهم ولم يكرمهم بالتوحيد حيث علم منهم المعصية والكفر ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ ﴾ يعني: لأنهم اتخذوا الشياطين أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يعني: اتخذوهم أولياء وأطاعوهم بالمعصية ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: يظنون أنهم على الهدى)[22]. وكل ذلك لا يتم الا بإرادة الله السابقة والمعلومة بحال كلا الفريقين، وقد سبق في علمه أن هؤلاء سوف يتخذون الشياطين أولياء، وأنهم سوف يصدونهم عن ذكر الله، وعن السبيل المستقيم، وسبق في علمه أن هؤلاء سوف يوحدونه، ويعبدونه حق العبادة، وليس للشيطان عليهم سبيلاً. وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير وجابر: وروي معناه عن النبي ﷺ: أن المراد بقوله تعالى:﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]؛ الإعلام بأن أهل الشقاء والكفر في الدنيا؛ الذين كُتب عليهم: الشقاء في الاخرة، وأهل السعادة والايمان هم: من كتب لهم في الدنيا هم أهلها في الاخرة، لا يتبدل من الأمور التي أحكمها ودبرها شيء[23].

أهم العوامل المؤدية لانحراف العقيدة:

من خلال الاستقراء في الانحرافات التي وقعت في الأمة نجد أن أعظم العوامل المؤدية إليه ما يلي:

أولا: العلماء، أو الغلو في طاعة العلماء وبالمعنى الأصح من تلبس بلباس العلم، ورفعهم فوق منزلتهم، وهؤلاء هم الذين يلبسون الحق بالباطل، وأشد ما يكون ذلك التلبيس؛ عندما يكون باسم التمسك بالسنة، أو الولاء لآل البيت، أو بحجة الدبّ عن أعراض المسلمين، وغير ذلك من التلاعب بمشاعر المسلمين. والناس في أمر دينهم تبع لعلمائهم.

ثانيا: السلطان: وهذا سببه الطاعة المفرطة للسلطان، والذي هو بدوره يأطر الناس على اتّباع ما يعتقد أنه صواب وحق، أو ما يوافق هواه وإن كان يعلم أنه باطلا لغلبة شهوته في ذلك، أو وجود من يزين له القبيح من علماء السوء، والله المستعان، وقد جمعهما الله تعالى بقوله:﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[الأحزاب: 67]، قال الإمام الطبري في تفسير الآية: "وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴾؛ يقول: فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا"[24]. وقال الإمام الماتريدي: " قال بعضهم السادة: الملوك، والكبراء: العلماء"[25].

وقال الإمام الماوردي: " في السادة هنا ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم الرؤساء. الثاني: أنهم الأمراء، قاله أبو أسامة. الثالث: الأشراف، قاله طاووس. وفي الكبراء هنا قولان: أحدهما: أنهم العلماء، قاله طاووس. الثاني: ذوو الأسنان"[26]. وقال الإمام القرطبي: " السادة الكبراء، والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلال؛ أي: أطعناهم في معصيتك وما دعونا إليه:﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾، أي عن السَّبيل وهو التَّوحيد"[27].

وقال الإمام ابن عاشور: "وهذا شأن الدهماء، أن يُسَوِّدُوا عليهم من يُعْجَبُون بِأَضْغَاث أَحلامه، ويُغَرَّون بمعسول كلامه، ويسيرون على وقع أقدامه، حتى إذا اجتنوا ثمار أكمامه، وذاقوا مرارة طعمه وحرارة أُوَامِه، عادوا عليه باللائمة، وهم الأحقاء بملامه...، لأن كبراءهم ما تأتَّي له إضلالهم إلا بسبب طاعتهم العمياء إياهم، وانشغالهم بطاعتهم عن النظر والاستدلال فيما يدعوهم إليه من فساد ووخامة مغبّة، وبتسَبُّب وضعهم أقوال سادتهم وكبرائهم موضع الترجيح على ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ"[28].

ثالثا: (الانترنت والفضائيات): الانفتاح الإعلامي، الذي لا يخلو في جملته من نفع كالتعرف على حقائق الأخبار بالصوت والصورة وبعض المعارف والعلوم، لكنه في أغلبه فتح على الناس شرًا عظيمًا ما حسب الناس له حسابًا، وخصوصًا على فئة الشباب، فالتقليد الأعمى بأخذ أقوال الناس من غير معرفة صحيحها من سقيمها؛ كما هو الواقع على تلك القنوات وشبكات التواصل الاجتماعي، حيث انبهر الشباب بما يعرضه هذا الإعلام من فساد مدروس، يحمل بين رماده النار الملتهبة، ويشيع في أجواء الأرض رائحة الخبث والمجون، ويسهل له الوصول إلى الفواحش، ويزين له صور السكر ومعاقرة الفجور، ويدله على حفره ومواقعه، ويتعلم منه الشاب ألوانًا من العنف والإرهاب، ويعوده على مشاهدة مناظر الدماء وسفك الأرواح، حتى أصيب جملة من شبابنا بألوان من التفلّت على مبادئ دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم، بل وحتى تقاليدهم ومروءتهم ، وأصبحوا غير مبالين بأمتهم

ومجتمعهم، وأصبحوا يشاهدون خلال شاشته الشبه التي تثير حماسهم ضد عقيدتهم ودينهم، فراح صاحب الشهوة يفجر شهواته في بؤر الفساد هنا وهناك، وراح الجاهل منهم يستقبل تلك الشبه المضلة بقلب خاوٍ ليترجمها إلى تفجير للممتلكات وإهدار لكرامة النفس والأرواح المستأمنة. بل أصبح بعض الناس في تقلب وشكوك وتبدل من عقيدة إلى أخرى.

رابعا: الجهل والفهم الخاطئ عن الدين: تعتبر الأفكار الدخيلة على المجتمع المسلم من العوامل المؤثرة على العقيدة؛ لأنها تأتي غالبا على صورة الاستحسان، ولذا نجدها توقع الكثير من شباب الأمة في الانحراف؛ لرغبتهم في الخير وظنا منهم أنهم في الطريق الصحيح، ومن هذا الباب دخل الشيطان على الناس قديما وحديثا، ولو تفقه الإنسان في دينه، وأقبل على العقيدة علما وتعلما، وينشأ على ذلك، لاستطاع أن يميز بين الحق والباطل، ولعرف مداخل الشيطان، (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ)[29]، وكم من مستقيم حرفة الشيطان بهذا السبب، حتى اعتقد أن التشدد في الدين مطلوب، ولذا تجد من ابتلي بذلك يسعى إلى إلزام الأخرين بأفكاره، وهو يظن أن في ذلك قربة، قال ابن القيم: " إن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصا على السنة، وشدة طلب، ولم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، أمره بالاجتهاد، والدور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلا له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل ، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها.. وهذا حال الخوارج؛ الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة وهذا إلى بدعة المجاوزة والإسراف"[30].

خامسا: الدوافع الداخلية للمعرفة: هناك دافع داخلي في كل البشر هو الذي يوجهه نحو التدين، ولذلك نجد أن الناس يسعون إلى المعرفة والوصول إلى الحقيقة، لمعرفتهم أن تلك الحقيقة فوق مستوى العقل البشري ولا يمكن أن يحاط بها بواسطة الدليل الحسي الملموس، وإنما يحاط بها بما جاء من عند الله عن طريق الوحي إلى رسله. وعندها يحصل التيه والحيرة، فإن ذلك طريق إلى الانحرافات، قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلا تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهر الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان. فكل الخير في الاقتصاد وإخلاص مقرون بالاتباع، كما قال بعض الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف السنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم"[31].

إذا هذه بعض عوامل الانحرافات، فلولا وجود الدافع الداخلي الذي ينقب عن الخير، وفي الغالب، يحصل الخطأ لعدم الفقه في الدين، أوهناك من يبحث عن المتعة ونحوها، أو هناك من يبحث عن دنيا وصدارة كحال بعض العلماء، أو هناك من يريد الحفاظ على العرش كحال الملوك.

الحواشي

1 الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة (حرف)

2 رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمَّد النعَيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة، من 1979 –2000.

3 الحصين بن حمال بن حبيب أحد بني عبدود بن القطامي. شاعر، أنظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي القاسم الآمدي.

4 في القاموس: بالضم والكسر.

5 رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، مرجع سابق.

6 الجوهري، الصحاح، مرجع سابق، مادة (حرف)

7 المرجع السابق.

8 غباري، محمد سلامة، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث؛ العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، (الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط 2، 1989م)، ص 6.

9 العيد، سليمان بن قاسم، وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، (الرياض، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 4، العدد 28، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ)، ص 246.

10 السدحان، عبد الله بن ناصر، رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1417هـ)، ص 14.

11 محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، (دمشق، دار القلم، ط1، 1414هـ)، ص 163.

12 المالكي، عبدالحفيظ بن عبد الله، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في موجهة الإرهاب، أطروحة دكتوراه، الفلسفة في العلوم الأمنية، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006)، ص 70.

13 طالب، حسن، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، (الرياض، مركز الدراسات بجامعة نايف الأمنية، 1426هـ)، ص 116.

14 الهماش، متعب بن شديد بن محمد، استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، "المفاهيم والتحديات"، (الرياض، جامعة الملك سعود، 22 – 25 جماد الأول، 1430هـ)، ص 8.

15 الجحني، علي بن فايز، الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، (أبها، جامعة الملك خالد، حولية كلية المعلمين، العدد 12، 1429هـ)، ص63.

16 القليطي، سعيد، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة السعودية، (جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2007هـ)، ص 5.

17 أل الشيخ، هيا، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، (الرياض، جامعة الملك خالد، المؤتمر الوطني للأمن الفكري، 1430هـ)، ص 6.

18 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص5.

19 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص5.

20 الحلبيي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 1425/4/15هـ) من موقع: HTTPS://SAAID.NET/ (بتصرف)

21 حسين، حامد بن محمد، فتح الله الحميد المجيد، تحقيق: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1، 1417هـ /1996م)، ص279.

22 السمرقندي، بحر العلوم، (لا يوجد أي معلومات نشر) ج1، ص511، الآية (30) من سورة الأعراف.

23 ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422)، ج2، ص392.

24 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000)، ج20، ص331

25 الماتريدي، أبو منصور، محمد، تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج8، ص417.

26 الماوردي، أبو الحسن علي، النكت والعيون، ت: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007)، ج4 ص426.

27 القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: البردوني وأطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964)، ج14، ص249

28 التونسي، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984)، ص437.

29 أخرجه الدارمي، في السنن، (211)، باب: كراهية أخذ الرأي، وهو أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه. ت: حسين الداراني، (السعودية، دار المغني، ط1، 2000)، ج1، 286.

30 الجوزية، ابن القيم شمس الدين، مدارج السالكين، ت: محمد المعتصم بالله، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1996)، ج2، ص108.

31 الجوزية، ابن القيم شمس الدين، مدارج السالكين، (مرجع سابق)، ج2، ص108.

الباب الأول:

الربيع العربي الأسباب والتحديات

إن المتتبع لحال الشعوب العربية، ودل الربيع العربي بالذات؛ يجد هناك تراكمات بلغت منتهاها في النفوس، وتكاد أن تنفجر لأدنى سبب ليكون هو الذريعة الموصلة للغاية، كما أن من الواضح أن الأسباب التي قامت لأجلها ثورات الربيع العربي جوهريا تكاد متشابهة، ولا تختلف كل واحدة عن مثيلاتها، فهي خليط من العوامل، والأسباب تراكمت على مدار عقود، جاء الوقت الذي أتيح لها أن تصرخ.

لا شك أن موجة التحرر من التسلط في المنطقة العربية قد تأخّرت وكان لهذا التأخر أسبابه. ولدى البحث في سؤال لماذا انطلقت اواخر عام (2010)؟ ولا تزال تتفاعل، فإننا نقع على تفسيرات تشمل بعض أو كل العناصر التالية: التغيير الذي طرأ على دور الدولة وأدى إلى تراجع وظيفتها الرعائية في المجالات الاجتماعية، وارتفاع أسعار الغذاء، والازمة المالية العالمية، فضلًا عن أثر الثورة المعلوماتية، وتغير الثقافة السياسية لدى فئات واسعة من الشباب خصوصًا، الى أثر التغيير في العراق، والثورة الخضراء الإيرانية[1]. ولكن ما هو بنيوي وأكثر اقناعًا إنما يعود الى ظاهرة ازدياد اعداد فئة الشباب المتراوحة اعمارهم بين (15 – 35) سنة؛ الذين لعبوا الدور الرائد في هذه التحركات. وتشير الاحصاءات إلى ان عدد هذه الفئة قد قفز من حوالي (40) مليون في عام (1980) إلى أكثر من (90) مليون عام (2010)[2].

ولا شك أن هناك الكثير من الأسباب التي أدت لتدفق موجة الربيع العربي، والتي أخرجت الناس من حيز الكبد النفسي، إلى حيز الغضب الجماهيري الثائر، الذي لم يعد يبالي بالأنظمة، وجبروتها، بل أدت تلك الاحتجاجات إلى سقوط أنظمة لم يكن أن يُتصور أن تسقط للحظة. لذا سأشير إلى أبرز الأسباب الرئيسية التي قد تكون كفيلة لإقامة أي ثورة وفي أي بلد، حيث من الممكن فيما يتعلق بطبيعة وأسباب الثورات الربيعية هي اختلافها عن بعضها بعض الشيء، وذلك لاختلاف الجغرافيا الطبيعية لكل شعب من تلك الشعوب، لكن الذي من المؤكد هو أن هناك بعض الأسباب التي يمكن أن تعتبرها هي المحرك الرئيسي لجميع الاحتجاجات والتظاهرات في عالمنا العربي، بل هي التي بمثابة الوقود التي احدثت ذلكم الانفجار العظيم، ويمكن اجتماع تلك الأسباب برمتها في بلد ما، مع الاكتفاء ببعضها في بلد آخر، لكنها كفيلة لإشعال ثورة فيه، لذا قد يتعذر رصد وتحليل كل الأسباب في كل بلد على حدة. لذا يمكن إجمالها جميعا في محاور ثلاثة رئيسية وهي: (المحور السياسي، المحور الاقتصادي، والمحور الاجتماعي).

المطلب الأول: الأسباب المؤدية للربيع العربي:

سطرت لنا كتب التاريخ والتراث الكثير من الحركات الداعية للتغير والإصلاح، باء البعض منها بالفشل كما كتب للكثير منها النجاح، بغض النظر شرعية ذلك التغير من عدمه، أو بأهلية من قام بتلك الدعوات من عدم ذلك، غير أن واقع التغيير قد تم، وما شاهدناه في الدول العربية في فترتنا المعاصرة ما هو إلا امتداد لتلك السلسلة، فلقد شهدت معظم الدول العربية خلال الفترة محل الدراسة الكثير من دعوات التغير وحالات من الاحتجاج على النظم العربية، إي نعم البعض منها ظهر على الساحة ووجد صدى واسعا، فيما البعض منها واجه قمعا مباشرا وأده في مهده، بينما يمكن التوقع أن هناك دعوات كامنة قد تنهض في أي وقت؛ وهي التي تحمل العوامل الهيكلية التي استندت عليها عمليات التغيير في المنطقة، إلا أن هناك بعض العوائق هي من حالت دون قيامها، قد يكون من أبرزها عدم وضوح الأبعاد والمعالم. ولا شك أن جميع تلك الدعوات لم تكن لتقوم من باب الترف الثوري، أو العبث الشعبي، بل جميع دعوات التغيير كان لها أسباب استحثت أولئك التغييريين، وبررت لهم الصدع بالتغيير.

"وقد حكمت فلسفة اللا منطق الثورات والحركات الشعبية في هذه المرحلة؛ حيث لم تسقط النظم التي كان يتوقع الجميع سقوطها منطقيا (مثل اليمن، حتى كتابة هذه التقرير)، وسقطت النظم غير المتوقعة، كما حدث في تونس ثم مصر ثم ليبيا. الأمر الذي يتطلب الوقوف على العوامل الهيكلية التي تحكم عملية التغيير السياسي في المنطقة العربية، والنماذج المعروضة لهذا التغيير، وأنماط الاستجابات الرسمية (الداخلية والخارجية)، والسيناريوهات المحتملة لمستقبل النظم السياسية العربية، وتداعيات ذلك الإقليمية الدولية"[3].

وبالنظر إلى شمولية الأسباب والدوافع التي تقف وراء احتجاجات الشارع العربي، والانتفاضات العارمة التي شملت معظم الدول العربية ما ظهر لنا منها وما لم يظهر، جعلنا نرى أن هناك من الأسباب اشترك فيها الجميع، وهي ما نسميه بالأسباب رئيسية كبرى، وهذه الأسباب يمكن اسقاطها على جميع دول الربيع العربي، ثم إن هناك أسباب اختصت بها كل دولة من دول الربيع العربي لسبب قد يكون في دولة دون أخرى وهي ما نسميه بالأسباب الفرعية أو الصغرى، وسوف نعرض في هذا المطلب الأسباب الكبرى التي جمعت جميع دول العربية وكانت هي الدوافع من رواء قيام تلك الثورات.

السبب الأول: المحور السياسي:

إن الضغوطات السياسية التي تمارسها الأنظمة في الدول العربية شكلت في مجملها جموداً في الحياة السياسية، وأكدت الاحتكار الشمولي للحكام لمعظم مجالات الحياة، ونسى الحكام وزبانيتهم أن الخير كل الخير في العدل والإحسان إلى الناس، وهو مصداق لقول الله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[الأعراف: 95-99]. قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعليقا على هذه الآية: " قيل: آمنوا واتقوا قبل أن يهلكوا بعد ما أصابهم من الشدائد والبلايا؛ لأعطوا كل خير ينال من السماء والأرض، والبركة ما ينال من كل خير على غير – مؤنة وقيل: البركة: كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة – ذكر هاهنا أنه يفتح عليهم بركات من السماء والأرض لو آمنوا واتقوا، وذكر إذا لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به أنه يفتح عليهم أبواب كل شيء، ولم يذكر البركة، ففيما لم يذكر البركة ينقصهم ما فتح عليهم من كل شيء ويسوؤهم وفيما ذكر فيه البركة بعد الإيمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا غرم، واللَّه أعلم"[4].

الملاحظ على جميع الدول ثورات الربيع العربي، يرى أن هناك تزايداً ملموسا وقويا يتمثل في كبت الحريات الشخصية والعامة، والتسلط على الملكيات الشخصية، وتقييد النشاط السياسي، وتحجيم الدور النقابي، وممارسة جميع أنواع الانتهاكات الحقوقية عموما، والإحساس المشاهد والملموس بالتميز العائلي لحقبة العصابات الحاكمة، وكل ذلك يمكن أن نسميه بالضغط السياسي ونلخصه في النقاط الآتية:

أولا: التوريث العائلي والاستحواذ والاستبداد التام على السلطة.

شهدت ثورات الربيع العربي الكثير من التشابهات في هذا الجانب وهو الاستحواذ والاستبداد التام من أفراد الحزب الحاكم على السلطة والحكم، والهيمنة على المناصب العسكرية، والسياسية والوزارات العليا في الدولة، والإدارات العامة، وعزل الشعب عن المشاركة في إدارة شؤون البلاد، والتقليص والاستبعاد المتزايد والمستمر لفئات ممن كان لهم دور ومشاركة في صناعة القرار، وبالمقابل زيادة في احتكار السلطة، وحصر القرارات الفاعلة بيد الفرد الحاكم، مع توسع بسيط لحصر دائرة القرارات العامة بيد العائلة الحاكمة، ومن هم من المقربين لهم. فنحن إذا " نتحدث عن الأنظمة العربية جمهورية كانت أو ملكية وعن الإصلاح السياسي وتوسيع قاعدة المشاركة وحماية حرية الرأي والتعبير لكن تلك الإصلاحات في أحسن الأحوال تشبه النباتات الصحراوية التي تظهر بسرعة ثم تختفي ليحل محلها رمض الصحراء وسرابها"[5].

يقول العماني: "فلا وجود لما يسمى التعددية؛ التي تعد ضابط حضاري عند الاختلاف، فغابت التعددية من الدول العربية عموما، والدول الربيعية خصوصا، ولم تعد تلك الدول تتمتع ببنية تعددية، أي كان نوع ذلك التعدد –تجوزا –سواء كانت عرقية أو ثقافية أو فكرية أو مذهبية. وكما هو معلوم، فإن للتعددية، قيمة أصيلة في المجتمعات الإنسانية، القديمة والحديثة. ونظراً لغياب التعددية كطريقة مثلى، وكأسلوب حضاري لمواجهة الخلافات والصراعات والتحديات التي قد تحدث بين بعض مكونات وفئات المجتمع، فقد يستخدم المختلفون الكثير من الأساليب والطرق، لإدارة صراعاتهم وحروبهم، ولعل الخروج للشارع كان أحد الحلول التي وَجَدت لها مصفِّقون ومرحبون[6]".

إن من أعظم ما ابتلي به المسلمون هو إقصاء الإسلام عن الحكم، ثم تولي حكام أمور المسلمين، وهؤلاء بلغ شرهم مشارق المسلمين ومغاربهم، وعاثوا في أرض المسلمين فسادا، وكان من فسادهم المزمع عقده هو حق أسلوب توريث الحكم تأسياً بالأنظمة الملكية الأخرى ليكمل الشر وتضيق الحلقة على أعناق المسلمين مستخدمين الطريقة الديمقراطية (الزائفة)، –وقد سموا دولهم (جمهورية)؛ زورا، وبسبب هذه الخلافة قام أهم عنصر من عناصر الثورات العربية[7].

وقبل عام من قيام الثورات العربية كتب أستاذ الديمقراطية العربية في جامعة قطر العربي صديقي: " بات الحُكّام الأوتوقراطيون العرب ماهرين للغاية في العلاقات العامة. فهم يجيدون استخدام لغة الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والأسواق الحرة، فيما يُثابرون على الحفاظ على الادوات القديمة والاعتباطية في عملية اتخاذ القرار. وخلال السنوات العشر الماضية، سقطت الأنظمة العربية فيما يمكن تسميته "الجُمْهوريانيّة السُلالية"، وهو شكل من أشكال الحكومات يُترجم نفسه تقريباً بتعبير الإرْداف الخُلْفي: "الرئاسة الملكية". لكن، ومهما كان شكل المظاهر الخارجية التي تعرضها الحكومات الجمهورية داخل الأنظمة العربية، إلا انها لا تتقدم في الواقع بأي ضمانات تاريخية أو قانونية. فالهيمنة العائلية على الحكومات العربية تختصر الدول إلى مجرد أدوات لتعزيز المصالح الخاصة والشخصية، بدلا من تحقيق المصلحة العامة. هذا علاوة على أن الدول العربية التي توجد فيها مؤسسات سياسية محدودة، غالباً ما تكتنفها القَبَلِية. وهذه الأخيرة تُسفِر بدورها عن مؤسسات سياسية لاديمقراطية ومُشوّهة"[8].

وعند قيام تلك الثورات كان التحضير قد لتوريث قد بدى على تلك الدول، والواقع كان ينبئ بتمرير تلك المراسم ببساطة ويسر؛ كون مفاتيح التشريع مضمونة لأنها تدين بالولاء التام للأسر الحاكمة، والانتماء الحقيقي لمؤسسات الدولة للحزب الحاكم، والرأي العام العالمي يبدو انه لا يعارض؛ لما حققه من إنجازات على يد أولئك الحكام الذين هم جزء من مخططهم في المنطقة. فمسألة التوريث أضحت محسومة إلى حد كبير، والتي تتمثل في انتخابات شكلية دأبت عليها البلدان الربيعية في الفترة الماضية.

ومن خلال ما كتبه صدِّيقي والذي كان قبل سنة تقريبا من قيام الثورات نرى أن قضية التوريث كانت من القضايا المسلَّم بها والتي لا يتمارى فيها رجلان، وقد بدأت تلك الأنظمة مسلسل الدراما؛ حينما تم تفويض الكثير من صلاحيات الرئيس إلى مؤسسات يقف على قمتها ابناء الرئيس وأقاربه، مع ووضع دكتاتوري يحول دون منافسة أحد لأبناء الرئيس في تولى الملك، وأهم ما في ذلك هو الإشراف القضائي الكامل على الانتخابات بما يمكن النظام من التحكم في الانتخابات والذي يؤدي بدوره إلى تزوير الانتخابات بشكل فاضح، وهذا الذي كوّن فقدان الثقة لدى الكثير من المواطنين في جدوى إبداء رأيهم في الانتخابات، لعلمهم المسبق بالنتيجة، وكل ذلك لم يكن ليتم لولا وجود بعض المواد في الدستور والتي مفادها منح سلطات واسعة وفضفاضة للرئيس، وبالمقابل أدت إلى ضعف سائر سلطات الدولة، وبدا ذلك الدكتاتور هو الآمر والناهي؛ الذى لا تحل المشاكل التي عجزت الحكومة عن حلها إلا تحت يده، كل ذلك يحصل ولا يمكن لأحد محاسبة تلك الأنظمة، أو يسألها[9].

ثانيا: الاضطهاد، وعدم مراعاة حقوق الإنسان:

إن الأنظمة الحاكمة في الدول العربية قد أوجدت منظومة عسكرية، لا لتحقق الغاية التي أرادها الله من إرسال الرسل، وهي إعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، والدفاع عن حمى الإسلام، بل غايتها الدفاع عن حماها، وأن تحكم الشعوب بقبضة حديدية، والويل لمن خالفهم؛ حتى وإن سعى في مصالح الشعب بإخلاص، أما ما يعرف في الغرب بحقوق الإنسان، أو الهيئات الإصلاحية، أو السلك القضائي المستقل، فهذا قد محي من قاموس تلك الأنظمة الأحادية التسلطية. ولا شك أن الاضطهاد وعدم مراعاة حقوق الإنسان واحتقار الشعوب لدرجة الاستعباد، وغياب الدور الأمني الحقيقي الذي أنشئ لأجله، وخمول الدور القضائي عن الواجبات المناطة عليه، كل هذه الضغوطات لا شك أنها ستؤثر سلبا على واقع الحياة، وتنعكس صورة عدم الرضى على كافة المجالات، والتي بطبيعة الحال ستوجد طبقات ناقمة داخل المجتمعات، التي خيّمت عليها حالة من الشعور بالظلم والمهانة وضياع للكرامة الإنسانية.

يقول الدكتور كريم:" وبتلخيص بإن المنطقة العربية واجهت نظام متكامل ذي أشكال متنوعة من التسلط الذي حكم المنطقة لعقود طويلة، لتدخل المنظفة العربية في مرحلة انتقالية طويلة ومعقدة تسعى خلالها إلى تلمّس الديمقراطية، لكنها مرحلة مليئة بالصراعات التي ستطال كل الأنظمة بأوقات ودرجات متخلفة، وستشمل كل المنطقة، رغم صعوبة الحسم في مآل الأمور نتيجة التعقيدات المعروفة المختلفة، حسب أوضاع تلك البلدان"[10].

ظل التعدي على حقوق الإنسان يحدث في سبات مهمل أو مفتعل من المجتمع الدولي، واللجان الحقوقية المتخصصة، وإن حصل منهم يقظة في يوم ما، فإنهم يكتفون بالعد والإحصاء، ولم نرى معاقبة أو حتى مساءلة، ويمكن الإشارة هنا إلى ما يقوم به النظام السوري اليوم من تنفيذ إعدامات جماعية لنحو ثلاثة عشر ألف سجين مدني بسجن (صيدنايا) العسكري منذ (2011)، فأين اللجان المتخصصة بحقوق الإنسان من تلك الجرائم، ولو بتمكين فريق يقوم ببحث أوضاع السجون السورية والتعذيب فيها[11].

وفي التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية لعام (2016)، أشار فيه إلى إن تنامي شيطنة الإنسانية، والقتل السياسي، وجرائم الحرب، والاعتقالات الجماعية، والمحاكمات الظالمة، والخطب التحريضية، جعل العالم مظلماً وغير آمن. ورسم التقرير صورة قاتمة لأوضاع حقوق الإنسان في (159) دولة. يقول فيه: "لقد شهد عام 2016 استخداماً بغيضاً لخطاب تقسيم البشر إلى معسكرين متضادين "نحن" و"هم"، بما ينطوي عليه من إلقاء اللوم على الآخرين، وبث الكراهية، ونشر الخوف. وساد هذا الخطاب على مستوى العالم بشكل لم يسبق له مثيل منذ ثلاثينيات القرن العشرين. ويلجأ كثير من السياسيين إلى الرد على المخاوف الاقتصادية والأمنية المشروعة باستغلال سياسات التمسك بالهوية على نحو سام وانقسامي، في محاولة لكسب أصوات الناخبين"[12].

لقد سجلت دول الربيع العربي ترديا كبيراً في أوضاع حقوق الإنسان، وانعدام حرية الرأي الآخر، إضافة لتزايد جرائم الإخفاء القسري، وقيام تلك الأنظمة بإغلاق العدد من المراكز التي تهتم بالجوانب الإنسانية الإصلاحية، خوفا من مزاحمة القائمين على تلك المراكز لهم على الملك، ومنع النشطاء من السفر، وتجميد أرصدتهم، كل ذلك يتم بدعم من السلطة والبرلمان؛ بسنَّ قوانين جديدة تكرس قمع الحقوق والحريات، بشكل يبعث الفزع والخوف من القيام بأي نشاط ديني، أو ثقافي، أو اجتماعي. وما حصل من قمع وقتل للمحتجين في ثورات الربيع العربي خير شاهد على ذلك.

إن المتأمل في واقع الأحزاب الحاكمة للدول العربية عموما، والدول الربيعية بالخصوص، ليرى الممارسات التي مفادها لا للمعارضة وأحزابها، لا للحريات، لا للحياة الكريمة، نعم لتصفية المعارضة، نعم لقمع الحريات، نعم لتجويع وتشريد الشعوب، ولو تحقق العدل والحق لصلحت الشعوب، ولما كان هناك الحاجة إلى الممارسات الوحشية والاعتقالات والممارسات الغير إنسانية، وهذا هو الدستور السائد لدى خلفاء الأمة لاتصافهم بصفات الصلاح، فعندما كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: فإن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فعلت، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الجراح بن عبد الله، سلام عليك، أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وإنه

لا يصلحهم إلا السيف والسوط، وتسألني أن آذن لك؟ فقد كذبت يا جراح، يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، والسلام[13].

ثالثا: اقصاء النجاح، بسبب التلاعب بالانتخابات وعدم السماح بالتعددية

الممارسات القمعية، والسجن للجماعات والأحزاب والحركات المناهضة للنظام الحاكم، مهما كانت مصلحة الشعب فيها، طالما أنها جاءت لفضح تخلف النظام القائم، أو معارضته؛ هذا هو الحال السائد في عالمنا العربي للأسف –الذي بات يوصف بالعالم الثالث– نعم لقد عانت الحياة الكريمة في العالم العربي طوال سنوات، مارس فيها الحكام حياة الاستبداد لعقود عدة، ومن توغّل في دهاليز تلك الأحزاب الحاكمة، وما تمارسه من تصفيات للقوى المعارضة، بالتواطؤ مع المؤسسات الأمنية التي تدور في فلك الأنظمة ليرى عجبا.

يقول الدكتور العتريسي متحدثا عن أحوال الدول العربية قبل الثورات:" في تونس ومنذ أكثر من عشرين عاما لا تزال حركة الاتجاه الإسلامي محظورة. وقد زج أتباعها في السجون، وفر آخرون إلى الخارج، وأبرزهم راشد الغنوشي الذي بقي في لندن نحو من عشرين عاما لا يقدر على العودة إلى بلادة، وعلى الرغم من نزع الصفة الإسلامية عن الحركة وتحويلها إلى «حركة النهضة» بقيت ممنوعة ولم يتمكن أعضاؤها من العمل علانية، أو المشاركة في سياسة البلاد، ولم تشهد تونس أي حياة حزبية حقيقية باستثناء الحزب الدستوري الحاكم الذي حظي لوحده بحق المشاركة وبالهيمنة مع مؤيديه وأنصاره على مقدرات البلاد الاقتصادية والسياسية. "[14].

إن سياسة "إقصاء النجاح" تنامت في العالم العربي بين الحزب الحاكم والأحزاب المناهضة له، فتجد أن الحزب الحاكم يسخّر جميع مؤسسات الدولة الإعلامية والعسكرية والقضائية؛ لمحاربة تلك الأحزاب، ورميهم بأبشع التهم، ونبزهم بأفظع الألقاب، وكون جميع أجهزة الدولة بأيديهم فإنهم لا يجدون صعوبة في ذلك، ومع أن المجتمع العربي بات على ثقافة عالية بسبب الانفتاح الذي خلفته وسائل الإعلام، إلا أن تلك الحقبة الحاكمة لم يعد يهمها مطالب الشعوب، ولا غضب الشارع. كما أن أي حزب معارض يشارك في الانتخابات ويكون له صدى كبيراً في أوساط الشعوب، للتفاؤل بالمستقبل، سرعان ما تواجه تلك الآمال باعتماد تغيرات في الدستور تصبّ في مصلحة الحزب الحاكم، كما أن المرشح لن يسلم من التشويه؛ إما الرمي بالتطرف أو العمالة.

وبطبيعة الحال لن تخلو انتخابات عربية من اتهامات حارة، وانتقادا شديدة؛ لأن الشارع العربي سئم من الكذب المتوالي عليه حيال تلك الانتخابات، لأن الطابع الواضح عليها بلا نزاع أنها انتخابات صورية

صممت لحكام للبلاد؛ التي تقام لهم تلك الانتخابات، والذي يرى حال العالم العربي مع الانتخابات يرى أنه لا جديد فحقيقة الانتخابات في العالم العربي هي لتهدئة احتقان الشعوب، يقول الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان: "في خضم فترة تموج فيها المنطقة بعديد من الاستحقاقات الانتخابية التي تترافق مع تحولات كبرى وجذرية في العديد من بلدان المنطقة، سواء في البلدان التي شهدت اندلاع الثورات وواجهت مراحلها الانتقالية عقبات وانتكاسات، أو تلك البلدان التي جرى فيها تحريك نسبي للأوضاع لاحتواء الغضب الشعبي المحتمل"[15].

يقول الدكتور العودة: " من حق الإسلاميين أن يستعيدوا وجودهم المسلوب وحريتهم، وهم جزء ضمير الأمة وحاضرها ومستقبلها، ولا يعني أن يتحركوا وكأنهم القوة الوحيدة في الميدان، وأن يعبروا عن أنفسهم وكأنهم وحدهم ضمير الأمة أو المعبّر عن آمالها وتطلعاتها، ولن يقوم بمشروع الأمة فصيل واحد من فصائلها، بل بمجموع أفراد الأمة بإسلامييها وغير إسلامييها، وكافة تياراتها واتجاهاتها الفكرية والمذهبية، ومن غير المسلمين الذين هم جزء من شعوب عربية وكان لهم أدوار تاريخية"[16].

يقول كريم خميس: "معظم الأُقطار العربية عرفت –منذ حصولها على الاستقلال– أشكالاً متباينة من الانتخابات، بل إن بعضا منها التزم بدوريتها وأعطاها درجة من التنافسية، لكن ذلك لم يكن غير وسيلة لإعطاء النظم الحاكمة شرعية شكلية تتصدى بها للمعارضات الداخلية أو لتحسين صورتها أمام العالم الخارجي. وصحيح كذلك أن كثيرا من هذه الأقطار شهد منذ تسعينيات القرن الماضي تناميا ملحوظًا في الوعي العام بأهمية الانتخابات كآلية للتطور الديمقراطي السلمي؛ وذلك بتأثير عوامل متشابكة، من بينها تحولات النظام العالمي، وثورة الاتصالات، وتطور المجتمع المدني، إلا أن هذا الوعي لم يغير في عملية صنع القرار، ليس فقط للطبيعة التسلطية للنظم الحاكمة، ولا للعزوف الشعبي عن المشاركة السياسية، وإنما أيضا لأنه تزامن مع ظاهرة عكسية، تمثلت في الاتجاه المتزايد لمركزة الحكم، سواء كان بيد شخص أو عائلة أو حزب، وهو ما ولَّد حالة إحباط أنتجت لاحقًا حركات الاحتجاج الجماهيري التي وجدت في الشارع طريقًا وحيدا لانتزاع الحقوق"[17].

ولذا كان الطابع السياسي مفرغ من فكرة التعددية عن مضمونها، كما لا يخلو قانون الانتخابات العربية من قيود محتومة المآل، وحقيقة الانتخابات إنما تقام لأجل إخراج دراما وضع لها سيناريو، بإخراج الحزب الحاكم، وما يؤكد هذا أن المنطقة العربية من أكثر مناطق العالم التي لم تشهد تغيير لرؤساء بقوا في الحكم فترات قاربت نصف القرن، ولم يثني أولئك الحكام عن الحكم إلا الموت المحتم على بني آدم، أو تغير جبري كما شاهدناه واقعا في الثورات الربيعية، لهذا رأينا أن عدم تداول رئاسة الدولة بين الرؤساء العرب، كان له دور رئيسي في قيام الربيع العربي، ولذا " لا بد من التعددية، والاختلاف كمقدمة لا غنى عنها،

بصياغة عقد اجتماعي متوازن، يوفِّق بين منازعات بشر تتباين هموهم ومصالحهم، ويضمن للجميع حقوقهم على قدم المساواة في المشاركة السياسية وإدارة شؤون الوطن. هذا العقد هو التعاقد بين طرفين بحفهما الرضى:﴿ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾[النساء: 29]، على الإيفاء بالشروط والالتزامات:﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، بين السياسي والناس؛ لأجل تأمين الحقوق والحريات والأمن. على حين أن كلمة تأمين الأمن يجب ألا تنصرف لأمن فئة محددة صغيرة، تملك القرار السياسي والمالي والإداري. وتحت كلمة (الأمن) قد يتم خرق وانتهاك أمن شعوب بأكملها، وأمن حريتها، وأن حقوقها، وأمن ذواتها وأفرادها"[18].

السبب الثاني: المحور الاقتصادي:

هناك إفرازات تسببت بها أنظمة دول الربيع العربي، وتتمركز تلك الإفرازات بالوعود المتمثلة في الإصلاحات الاقتصادية؛ التي كانت تلتزم بها تلك الأنظمة بين الحين والآخر، ولم ترى تلك الشعوب من الإصلاح السياسي المزعوم غير الديون المتراكمة على بلدانها من البنك الدولي، الذي طبق نظامه المعولم عليهم عبر تنفيذ شروط أدت إلى تراجع وضع الدولة اقتصاديا واجتماعيا، وبطبيعة الحال أينما حل البنك الدولي فإن الفقر والبطالة تحل معه، وهذا ما كان واضحا عيانا في الدول الربيعية خصوصا، والوطن العربي عموما. ويمكن حصر الواقع الاقتصادي المزرى لشعوب تلك الدول، التي عانت من الفقر، والتجهيل، والتهميش لفترات طويلة، مع ارتفاع في معدلات البطالة، ونسبة الفقر، في الدول الربيعية كما يلي:

أولا: الفساد المالي والإداري:

انتشار الرشوة، وتزايد الديون على الدولة، وارتفاع الضرائب، كذا جميع ما تحدثنا عنه في جميع المحاور السابقة فإنها تصب في هذا المحور بالذات؛ الاستحواذ، والاستبداد التام من أفراد الحزب الحاكم على السلطة والحكم، والهيمنة على المناصب العسكرية، والسياسية والوزات العليا في الدولة، والإدارات العامة، وعزل الشعب عن المشاركة في إدارة شؤون البلاد، والاضطهاد، وسلب الحقوق والحريات، والبطش الجائر من أجهزة الأمن، واختلاق التهم ضد الغير، والتزوير، المحسوبية والرشوة، وتغييب الوحدة الإسلامية، وانتهاج سياسة (فرق تسد)، وخلق التمييز العنصري والطائفي، والتوريث، كل ذلك وغيرها يمكن أن يدخل تحت هذا المحور، لأن جميع ما ذكر يندرج تحت الفساد بأصنافه.

إن "مجتمعاتنا الطامحة إلى بناء الحياة الديمقراطية التي تجسدها ثورات الشباب العارمة، والناتجة بفعل عوامل الفقر الفاقة المستديمة، إلى جانب الانفتاح على العالم المتقدم بكل ما يحمله من ثورة تقنية ومعلوماتية، وما تحمله من دوافع إنسانية؛ تسعى لبناء مجتمع واسع ومتسامح يسع للجميع، بعيدا عن الصراعات المذهبية والعرقية والدينية والقبلية، وهذه الثورات لا تقاتل على جبهة الإطاحة بالنظم والدكتاتورية، بل أيضا على جبهة حماية الثورة من الانحراف والبناء والتأسيس لثقافة التسامح والتصدي لاختراقات بعض القوى التي تسعى لإعادة أنماط من الحروب الأهلية الداخلية والحروب الإقليمية"[19].

يتم إرهاق المواطن بالضرائب الجائرة، مقابل عدم توفير أي من الخدمات الضرورية، وفي حال وجود تلك الخدمات تكون على أدنى المستويات المعمول بها عالميا، يقول النجار: "يتحدد توزيع الدخل الأولي في أي بلد بنظام الأجور، بينما تتم إعادة توزيع الدخل وتحسينه من خلال نظم الضرائب، والدعم، والتحويلات، والخدمات العامة المجانية أو شبه المجانية. وقد ساء توزيع الدخل في الدول الربيعية لدرجة

جعلت غالبية المواطنين لا يشعرون بأية ثمار للنمو الاقتصادي الذي تشير بيانات الحكومة إلى تحقيقه، بغض النظر عن دقة هذه البيانات من عدمه، وذلك بسبب سوء نظام الأجور الذي يطلق يد أرباب العمل في تحديد أجور العاملين لديهم، في ظل حد أدنى هزلي للأجر الشهري"[20].

يقول الدكتور العتريسي: " ما هو مشترك أيضًا في تجربتي تونس ومصر – وفي اليمن أيضا –أن الحكم تحول بمرور الزمن إلى حكم العائلة التي تدير البلاد وتمسك بالاقتصاد وتجنى مليارات الدولارات من مشاركتها المباشرة في كل مشاريع الاعمار والتسلح والتجارة والاستيراد والتصدير في المجالات كافة. وقد تداولت كثير من التقارير حجم الهيمنة العائلية للأسر الحاكمة وأقاربهم مع شخصيات كثيرة من رجال الحزب الحاكم. لقد نتج عن ذلك كله إفقار غير محتمل بالنسبة إلى معظم قطاعات الشعب، في الوقت الذي أثرت فيه «العائلة الحاكمة» ثراء فاحشًا تبين بعد سقوط النظامين أن ثروة كل واحد منهما تقدر بعشرات مليارات الدولارات"[21].

كما أدت المحسوبيات إلى عدم تكافؤ الفرص بين أفراد الشعب، بالإضافة لوضع الرجل غير المناسب في وظيفة لا يستحقها، وإهمال الأكفّاء. "جاء في تقرير أعلنت عنه منظمة الشفافية الدولية؛ وهي منظمة دولية لرصد جميع أنواع الفساد بما في ذلك الفساد السياسي، مؤشر الفساد لسنة (2010): تبين أن مصر تحتل المرتبة: (98) من أصل: (178) بلد مدرج في التقرير"[22]. وجاء في مقال عرب في المهجر يتحدثون عن ثورة الياسمين: "إن الحكم على أي سياسة اقتصادية لا يتم إلا من زاوية قدرتها على الاستجابة الفعلية لمقتضيات النهوض بالبلاد في مختلف المجالات، وإخراجاها من دائرة التبعية للدول والاحتكارات الامبريالية أوّلا، وعلى تلبية حاجات الشعب الأساسية المادية والمعنوية ثانيا، وليس من زاوية ما توفره من منافع لأصحاب رأس المال المحليين والأجانب. وقد تمثلت تلك الاسباب في السياسات الاقتصادية للنظام الحاكم السابق"[23].

ثانيا: البطالة، وتردى الأوضاع المعيشية:

سوء الأحوال المعيشية على عامة الشعوب يبدوا واضح الأثر، مع زيادة ملموسة لنسبة الفقر، ونسبة البطالة، مقابل غلاء الأسعار، وتدني الدخل، كذلك أدى لاتساع الفجوة بين الطبقة الغنية والفقيرة، وهو مدعاة لأن تثور تلك الشعوب، ولم تكن الشعوب لتتحرك بوحي من مطالب التغيير السياسي فقط، فالأغلب على شعوبنا العربية البساطة من ناحية، والفقر من ناحية أخرى، لذا نجد أن تلك الشعوب لا يولون اهتماما للمشهد السياسي، أو التحول الديمقراطي، ولا يعي الكثير منهم مفهوم التعددية الحزبية، بقدر اهتمام تلك الشعوب بلقمة العيش، وتوفير الحياة الآمنة المتمثلة في القوت لهم ولمن يعولون، لذلك كانت الشعارات

التي تردد في تلك الثورات: (عيش، حرية، عدالة) ولهذا فقد تحركت هذه الشعوب بإلحاح من الظروف المعيشية، والوضع الاقتصادي القاسي، مع ملاحظة تنامي الفجوة التي بين الأغنياء و الفقراء، ولهذا لا يمكن إغفال أن يكون المحور الاقتصادي من أهم محاور الثورة، بل هو بمثابة شرارة تسببت في إشعال تلك الثورات، معبرة للرفض التام للانتهاكات والممارسات من تلك الأنظمة، مع تراكمات أخرى قد مررنا على البعض منها وسنأتي بعون الله على البعض الآخر[24].

إن تفاقم نسبة البطالة في الدول الربيعية من الأسباب الرئيسية لقيام الثورات، والتي لا يكمن إغفالها نهائيا، إذ أن فتيلها الأول الذي أدى لاشتعالها من طرف البوعزيزي؛ كان مبدأه من أجل البطالة، ومما زاد الأمر سواء كون تلك البطالة انتشرت في صفوف المتعلمين من خريجي الجامعات؛ بل وحتى من ذوي المؤهلات العالية، فارتفاع نسبة البطالة، وانتشار الفقر؛ من الأسباب المؤدية لخروج الكثير من الناس، ليس من الشباب فقط، وإنما من كافة أطياف الشعب، التي تعاني من الظلم لعقود عدة

في تقرير لمنظمة العمل الدولية جاء فيه: "لا تزال بيئة استخدام التشغيل في المنطقة تستدعي اعتماد اجراءات ملحة وخاصة فيما يتعلق بالنساء والشباب. وتعاني منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أعلى مستويات البطالة في أي إقليم في العالم، حيث تبلغ: (10,9 و12,2. %) كما تعاني المنطقة من أعلى مستويات البطالة في صفوف الشباب على المستوى العالمي؛ (27,2 و29. %)[25].

يقول غاي رايدر، المدير التنفيذي لمنظمة العمل الدولية:" في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تعاني الكثير من الاقتصاديات من ضعف استحداث فرص العمل، وعمق الفروقات. ومن مواطن الضعف الكامنة التي لم تعالجها بعد التحولات السياسية في مرحلة ما بعد الربيع العربي"[26]. لقد انقسمت تلك المجتمعات إلى فئتين؛ فئة تمثل (20%) من الشعب تملك كل شيء، وفئة تمثل (80%) لا تملك أي شيء، ولا يوجد بينهما وسط؛ فئة أقلية غنية مسيطرة تستأثر بالسلطة والثروة، وفئة اغلبية فقيرة؛ مستلبة الحقوق، عرضة للقمع والاضطهاد، هذا هو الواقع الذي تعايشه دول الربيع بالخصوص، وتعتبر البطالة أشد المخاطر التي تهدد الأمة[27].

ويمكن أن نرجع السبب الرئيس في تنامي ظاهرة البطالة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية لسبب هام كنا قد أشرنا إليه؛ وهو ما تحدثا عنه الأستاذان الطيب وبهلول: "بالإمعان في تطور النمو الاقتصادي في الدول العربية، نجدها مخيبة للآمال، فلم ترفع نصيب دخل الفرد بدرجة محسوسة، وأشد من هذا أن الفجوة بين الدول العربية والدول الصناعية في تزايد مستمر؛ لتباين معدلات النمو في كل منها؛ حيث يوعز ذلك إلى جمود الهيكل الاقتصادي للدول العربية، إضافة إلى تأخر الجهود الإنمائية والصناعية، حيث نرى أن

صناعاتها ناشئة لا تستطيع منافسة منتجات الدول الصناعية. ومما يزيد العقبات؛ تباطؤ النمو الاقتصادي، وفشل السياسة الاقتصادية، والتي كان المنظر حل لأزمة البطالة"[28].

ثالثا: استئثار النخبة الحاكمة بالثروة، ونهب ثروات الوطن والمواطن،

حالة الفقر والتفاوت الطبقي الكبير بين الفقراء والأغنياء، وبين المدينة والريف، حتى أن الطبقة الوسطى تكاد تنعدم إن لم تكن عدمت، وفشو البطالة في أوساط الشباب، وبالمقابل الثراء الفاحش، الذي تتمتع به الأسر الحاكمة، كل ذلك وغيره من الدوافع الرئيسية لنهوض الثورات الربيعية. وبالنظر إلى "التشابه في عوامل التغيير؛ والدوافع المحفزة على الانفجار السياسي والهيمنة الكلية على مقاليد الأمور في البلاد، وتحول الحكم إلى حكم العائلة التي تدير البلاد، وتمسك بالاقتصاد، وتجني المليارات من مشاركتها المباشرة في كل مشاريع الإعمار، وصفقات التسلح، والتجارة، والاستيراد والتصدير في كافة المجالات، وسياسة التبعية للولايات المتحدة دون إي اعتراض على ما تقوم به من ممارسات أو ما تتبناه من سياسات"، فنرى أن الأنظمة قد مارست برنامجا شموليا يقضي بعدم الاكتراث بالمدنيين، وجميع طبقات الشعب الذي يمكن أن نعده في طبقة المهمشين[29].

ثم ليتهم اكتفوا بذلك! بل كان نصيب الشعب؛ الحرمان من إيراداتها المستحقة، ولم تستثمر كذلك في تحسين المنشآت الخدمية لتلك الشعوب، تقول الباحثة آية عبد السلام في مقال أسباب قيام ثورات الربيع العربي: "لقد تم تبديد الممتلكات العمومية بعنوان (الخصخصة)؛ التي شملت كافة القطاعات بما فيها الاستراتيجية كالإسمنت والكهرباء والغاز والاتصال والنقل، وقد استأثر الرأسمال الأجنبي إلى حد الآن بـ(75%) من عائدات الخصخصة، وهي حصة قابلة للارتفاع، وهو ما سيمكّن أصحاب رأسمال المال الأجنبي من السيطرة على مصادر البلاد، وتجريد الشعب من كل إمكانية للتحكم في خيرات بلاده وثرواتها، بالإضافة لظهور طبقة اجتماعية مصالحها تتعارض مع وجود صناعات وطنية، وأصبحت كل الخدمات التي يجب أن تتوفر للمواطن بالمجان غير موجودة، ولكي يحصل عليها لابد من ان يدفع مقابل ذل؛ لأن القطاع الخاص هو المسئول عنها[30].

فالوالي المسلم هو الذي ينبغي عليه أن يفكر بالتفكير الإيجابي الذي اتخذه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجعله مسلكا في طريق خلافته، ولا يفكر بالنظرة السلبية التي كان ينظر بها الجراح وأن يجعلوا شعارهم قول الله تبارك وتعالى:﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الأنبياء: 47]. قال الصابوني في التعليق على الآية: " أي وإن كان العمل الذي عملته زنة حبةٍ من خردل جئنا بها وأحضرناها. قال أبو السعود: أي؛ وإن كان في غاية القلة والحقارة،

فإن حبة الخردل مثلٌ في الصغر ﴿وكفى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي: كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد مجازياً عليها. قال الخازن: والغرضُ منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون على أشدّ الخوف منه؛ أي الله تبارك وتعالى"[31].

السبب الثالث: المحور الاجتماعي:

أمام تفاقم الأزمات السياسية والاقتصادية، لم تكن الأزمة الاجتماعية بأقل شأن منهم حيث بات الوعي الشعبي لدى الشعوب في تنامي تجاه الأنظمة الحاكمة، وتجاوزت لديهم مرحلة الشكوك في تلك الأنظمة إلى مرحلة اليقين الجازم، لما رأوا من تجاوزات طغت على تراث الأمس، وتطلعات الغد، فأصبحت الشعوب ترى من تلك الأنظمة هدما لمبادئ المجد التي ورثوها عن أسلافهم والتي تمثلت في مقاومة الاستعمار، بإدخال الاستعمار بحلله الجديدة على البلاد، تارة بحجة الإصلاح الاقتصادي، وتارة بحجة الاتفاقيات الأمنية، وأخرى بحجة تبادل المعلومات، فليست هناك شعوب غبية وأخرى ذكية. الشعوب هي الشعوب في كل مكان، الفارق ربما يكون في درجة الوعي أو الخبرة التاريخية التي مرت بها. فهناك شعب اكتوى بنار حاكم فكون مضادات للحكم الاستبدادي، وهناك شعب طال عليهم أمد الظلم فقست قلوبهم، لكن مسألة بقائه في المستنقع السياسي مسألة وقت. وليست هناك حصانة لهذا أو لذاك من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل إن فكرة الإيمان بتفوق شعب معين على بقية الشعوب، أو أن هناك شعبا متخلفا بطبعه، هي أفكار عنصرية غير صحيحة. في كافة قوانين الحقوق.

"في عام 1970، كتب رئيس الوزراء الماليزي الحالي، مهاتير محمد، كتابا بعنوان "معضلة الملايو"، وذلك حينما كان سياسيا شابا، داعيا إلى ثورة صناعية. كان الكتاب صادما في حينه وتم حظره، وبعدها بنحو عشر سنوات، كانت ماليزيا على موعد من وضع هذا الكتاب الممنوع موضع التطبيق، بعد أن وصل مؤلفه إلى منصب رئاسة الوزراء. وكلنا يعرف نهاية القصة وما أصبحت عليه ماليزيا. ما الفرق بين الشعب الماليزي وأي شعب آخر، سواء أكان عربيا أم غير عربي؟ هي فقط درجة من الوعي، وهذا الوعي لا يستحدث من العدم، ولكنه ينشأ عبر مبادرات فردية ونخبوية تستقبلها الشعوب بترحاب إذا أحسن زارعوها، وبالتالي، فإن نكبة أي شعب هي نكبة وفشل نخبته في الأساس، قبل أن تكون فشلا شعبيا"[32].

لقد أصبحنا نرى إلى جانب الاحساس بالظلم السائد، صاحبته حالة من الشجاعة والتحدي لدى الشعوب الذين واجهوا الرصاص بقماش نقش عليه (الشعب يريد إسقاط النظام). أعطت مؤشرا أن النصر حليف الثورات. ويمكن حصر المحور الاجتماعي في الفروع التالية:

أولا: العزوف عن التعليم الشرعي، وتدني المنظومة التعليمة، وارتفاع نسبة الأمية.

التأثر بالحياة المادية، والتهوين من الموروثات الثقافية لامتنا، من أعظم البلايا التي ابتليت بها الأمة، فلقد بدأنا نلحظ في الآونة الأخيرة عزوفا عن تعلم العلم الشرعي من شباب الأمة، حتى أضحت حِلَق العلم خاوية على عروشها؛ فلا تكاد ترى بها إلا القليل من طلاب العلم، وهذا القليل لا ترى فيه مجتهدا إلا أقل من ذلك القليل، وهذا الأمر ينذر بخطر عظيم على أمتنا الإسلامية يفوق كل خطر؛ خشية أن يسري علينا حديث النبي الكريم عليه أزكى الصلاة والتسليم: (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيفتون برأيهم، فيُضلُّونَ وَيَضِلُّونَ)[33]؛قال الإمام ابن حجر عند كلامه على الحديث: " وفي الحديث الزجر عن تريس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلا عفيفا، لكن دار إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف أولى لأن ورعه يمنعه عن الحكم بغير علم فيحمله على البحث والسؤال وفي الحديث أيضا حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض"[34].

حتى ترتقي هذه الأُمَّة التي فقدت مكانتها المناسبة لها بين الأُمم. يجب الاجتهادَ في طلب العلم؛ خاصة في زمن أضحى الترويج الإعلامي ضد العلماء تارة باللمز، وتارة السب، والتجرؤ على طلبة العلم، وحلقات تحفيظ القرآن والمراكز الشرعية، ورميهم بألقاب شنيعة، والتعدي عليهم، بل واتهامهم زورا بتفريخ الإرهاب؛ وما ذاك إلا لتعمد التضييق عليهم وإغلاق تلك المحاضن التربوية النيرة، مع زيادة الضغط على أهل العلم، مما أدى لإهمال العلم الشرعي، والإقبال على العلوم الأخرى. كما أدى الخلاف السياسي إلى عرقلة طلاب العلم، والحيلولة بينهم وبين العلماء بحجج واهية، مما جعل الشباب يلجأ إلى تلقي العلم من مصادر مجهولة عبر (الانترنت) فتارة تهوي بهم للبدعة، وتارة للغلو.

ثم إن وسائل التقنية الحديثة قضت على البقية الباقية من أسباب العزوف عن العلم الشرعي، فقلصت من تعظيم العلم، وإهمال منزلته الرفيعة في الدارين، فانشغل شباب الأمة بتلك الوسائل التي شوشت عليهم دينهم وعقولهم. كما أن لغياب الجانب الروحاني الذي كان يطفوا على حلقات العلم، والجلوس بين يدي العلماء دور كبير في تزهيد الشباب في طلب العلم.

ولو استشعر المسلم مسئوليته تجاه أمته لما أهمل هذا الجانب العظيم وزهد فيه، يقول نصار: "إذا كانت كل أمة تحرص على أن تكون ثقافتها وفكرها ونظمها التربوية والتعليمية نابعة من عقائدها وفلسفتها التي توارثتها عبر الأجيال، فأولى بأمة الإسلام أن تكون سياستها التعليمية والتربوية نابعة من عقيدتها، تلك العقيدة التي ترفع العلم إلى أسمى مكان، شريطة أن يدور العلم في فلك الإيمان. وبنظرة إلى واقع التعليم في

بلداننا نلاحظ أنه لا ينطلق من الأهداف التي تمثل حياة الأمة، ولا يعمق العقيدة التي تقوم حياتهم عليها، ولا يؤدي وظيفته في إيجاد جيل راسخ الإيمان، مثقف القلب، قابل للتضحية والفداء في سبيل الأهداف والغايات الكبيرة في الحياة، بل إن أهداف التعليم في أي بلد عربي لا تختلف عن الأهداف المرسومة في مناهج أية دولة غربية؛ لأننا لا نستمد أهدافنا من قيمنا وتراثنا وما يميزنا بقدر ما نستمدها مما نترجم من العالم من حولنا"[35].

تحت عنوان السيطرة الاستعمارية الغربية في التعليم، جاء فيه: " كان التعليم الإسلامي التقليدي، والذي أنقص إلى الحد الأدنى، يقدم تحت إشراف صارم من السلطات الاستعمارية، بيد أنه بفضل هذه الجهود ذاتها أمكن الحفاظ على الدين والهوية الإسلامية لأبناء الشعب في البلدان المستعمرة، كما حاولت بلدن الاستعمار من القضاء على الهوية الوطنية للبلدان المستعمرة وثقافتها ولغاتها، واعتبر استخدام لغة أجنبية في الحياة اليومية بدلا عن اللغة الأصلية للبلد دليل على الحضارة والثقافة"[36].

كما لم يقف الأمر بالعلوم الشرعية بل تجاوز إلى انخفاض مستوى التعليم العام؛ مع تفاوت في الدول العربية في ضعف المنظومة التعليمية، مما أدى بالتأكيد إلى زيادة سخط الناس وقيامهم بتلك الثورات، ولقد رأينا تدنيا ملموسا لمستويات التعليم في الدول الربيعية، رغم الزيادة العددية في نسبة المتعلمين، إلا أنهم لم يصلوا لمستوى التأهيل الذي وصل إليه التعليم في مختلف دول العالم، فلو قارناه مثلا بالتعليم في دولة كماليزيا لوجدنا أن هناك فرق بائن بين الدول الربيعية –بل وكل الدول العربية–، وبين تقدم المنظومة التعليمية في ماليزيا، التي سعت ولا تزال إلى أن تنافس الدول الكبرى في التعليم على قلة في مواردها الوطنية، إلا أن التعليم كان من أولى الاهتمامات في الحكومات المتعاقبة عليها.

وتحت عنوان الدفاع عن الاستقلال الوطني والسلم العالمي من كتاب اليونسكو مختلف جوانب الثقافة العربية: " تعاني الأمم الإسلامية بوجه عام من تأخر شديد في المجال التقني ومن سوء استعدادها عسكريا ومن التمزق السياسي، فهل يمكن للتربية الإسلامية أن تعزز الكفاءات التقنية والتكامل السياسي، وأن تعد الرجال والنساء للدفاع عن بلدانهم كي يستطيع العالم الإسلامي أن يواصل حياته في حرية وسلام مع سائر البشر؟ إن مستقبل العالم الإسلامي يتوفق إلى حد بعيد على نجاح التربية الإسلامية، أو بعبارة أدق على الإجابات التي يمكن لهذه التربية أن تقدمها لتلك القضايا الحاسمة بغية بناء مجتمع يجد فيه الإسلام أصدق تعبير عن مبادئه، ويمكن للمسلمين أن يسهموا في تحقيق أخوة إنسانية بهدي من إله واحد هو رب الكون وخالقه، تلك هي نهاية المطاف والغاية المثلى للتربية الإسلامية"[37].

ثانيا: ارتفاع معدلات الجريمة:

الرسالات السماوية جميعها تخاطب في الإنسان النزعة الدينية الأصيلة، وتوقظ في أعماقه هذا الشعور الديني المتأصل في النفوس، فالوحي الإلهي جاء رحمة من عند الله، يهدي النفوس الضالة، ويساعد العقل الإنساني على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها، والوازع الديني هو المحرك النفسي الفعال الذي يدفع الإنسان إلى ترجمة أحكام الدين إلى واقع ملموس، وغياب الوعي الديني، وتجاهل القيم العليا للوجود الإنساني، المتمثلة في العبودية المحضة لله عز وجل، والتي هي منبع الحرية الحقيقية، لابد أن تؤثر سلبا على السلوك الجماعي للمجتمع، فإن كل سلوك فردي له بالضرورة انعكاس اجتماعي؛ قلَّ أو كَثُر ومن حيث الأصل، فكل من الأخلاق، وإعمال الضمير، والالتزام بالسلوك الحميدة، كل ذلك نشأ ابتداء عن الحاجة الاجتماعية لضبط نزعات الفرد داخل دائرة المجتمع، وليس لضبط نزوات الفرد في دائرته.

كما أنه ليس البدائي النبيل المفطور على الطيبة (طبيعيا)، قبل أن تفسده الحضارة؛ كما عند جان رسو. وهو أيضاً ليس منقاداً بالضرورة إلى القانون الأخلاقي الداخلي الفطري (السياسي/ القانوني) الذي قال به كانط[38]. ليس لأن النوازع الذاتية قادرة على اختراق هذا القانون بتفوقها عليه فسحب؛ وهذا هو الأهم، لأن مبادئ هذا القانون الذاتي ليست محل اتفاق بين جميع الأفراد؛ وبالتالي، فتعارضها عند أكثر من فرد يخرق مبادئها؛ فيوهن من الثقة بها. كما أنه إضافة إلى كونه تعارضاً يفتح المجال لحالة صراع المبادئ، ومن ثم، صراع الكل ضد الكل؛ لنعود إلى حالة (ذئبية) في نهاية المطاف[39].

المجتمعات البدائية؛ ما قبل السياسية، حاولت ترسيخ القانون الأخلاقي كضابط لمصالح الأفراد؛ لكنها أدركت أن الأخلاق المجردة غير كافية لتحقيق الضبط، ومن ثَمَّ، شرعت القوانين، وإنزال العقاب على المخالف، ولا شك أن الخارج على القانون خارج على الأخلاق. ومع هذا، تبقى القوانين والأنظمة في المجتمعات البدائية قليلة، أو هي كثيرة ولكنها ضعيفة، حتى إن قويت؛ فإن تطبيقها المتخاذل يجعلها في حكم الضعيفة، وفي المقابل يكون تعويض ذلك بتعزيز الوازع والرادع الأخلاقي و الديني –مع القوانين الرادعة– مع أن هذا الرادع الواسع كثيراً ما يُعوّل عليه المجتمع التقليدي؛ الذي ينفر بطبعه من النظام، ...، إن الرادع الأخلاقي، والديني يبقى –في كل أحواله– ليس أكثر من موانع فردية ذاتية، غير ثابتة، وليس محل اتفاق المجتمع"[40].

وخلاصة القول في جميع المحاور: أن العوامل المشتركة بين جميع دول الربيع هي في الأغلب نفس المبررات، بل قد تكون هي نفسها المبررات لدى اغلب الدول العربية، لا اختلاف في ذلك، وإنما الخلاف قد يكون شكليا في نسبة تأثير أي من تلك العوامل في دولة ما عن مثيلتها، وحجم ذلك التأثير. ويمكن القول بأن جميع الدول العربية مرشحة لثورات ربيعية أخرى، لأن وجود الاختلافات في نسبة التأثير ربما يتنامى في وقت ما لأي مبرر كان؛ حيث أن بالنظر إلى مبرر البوعزيزي؛ فإنه ليس بالمؤثر القوي الذي هاجت

له تلك الجموع، ومع ذلك نجد أنه أشعل فتيل الثورات على الجميع؛ للأسباب السابقة. بل ربما أن شباب تلك الدول التي لم تقم بها ثورات يبتدع أسلوبا جديدا، يتم من خلاله إشعال نمط جديد تكون نتيجته واحدة وهي؛ الثورة. فالقوى التي تبنت التغيير ونفذته هم شباب الجامعات، ويمكن القول بأنه في حينها كان شباب عشوائي غير منظم؛ وربما هذا الذي أعطاها قوة كبيرة عند انفجارها؛ لعدم وضوحها ولعدم تمكن أي نظام من تحديدها للسيطرة عليها، كما أنها استطاعت أن تتغلغل في كل قطاعات المجتمع، بغض النظر عن الانتماء القومي أو الديني، أو أي انتماء طبقي أو سياسي، لذلك البيت.

المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الربيع العربي

المحاولات التي استخدمت لوأد الثورات كثيرة منها ما هو داخلي يقوم به غالبا الأنظمة الساقطة، ومنها ما هو خارجي تتلاعب به أيد خبيثة ممن كانت تجمعها مع الأنظمة الساقطة مصالح شخصية؛ لأن الأصل في الأنظمة الساقطة أنها لم ترعى المصالح العامة لشعوبها، إذ لو كانت كذلك لما أطيح بها.

الربيع العربي وتحديات التغيير

لقد شهدت منطقتنا العربية في أواخر 2010م منعطفا سياسيا خطيرا، تمثل في ميلاد الحديد والتي بدأ مخاضه مع لتظاهرات الشعبية والتي باتت تعرف الربيع العربي، هو مصطلح أطلق على تلك الثورات التي أطاحت بحاكم تونس زين العابدين بن علي، وحاكم مصر حسني مبارك، وحاكم ليبيا معمر القذافي، وحاكم اليمن على عبد الله صالح.

وقد أدى هذا الحدث أدى إلى "تغييرات مؤثرة على الساحة العربية لها تداعيات طويلة الأمد، كما تركت نتائجه حراكا ولغطا حول مكاسبه وخسائره، ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل الاقتصادي والاجتماعي والفكري والعقدي والعسكري والأمني، فالبعض يراه أثمر وأينع، والبعض الآخر يراه حرك المياه في البحيرة العربية التي بدأت بمد وانتهت بجزر، وفريق ثالث يضع خسائر الثوار والأنظمة السابقة إضافة إلى مخاوف تيارات وطوائف بعينها في كفة واحدة، ومكاسب تيارات الإسلام السياسي التي صعدت وتولت السلطة في الكفة الأخرى، وما زالت المحصلة النهائية للمكاسب والخسائر لم تظهر بعد تحت وطأة الضجيج، الحشد السياسي، وتغليب أيديولوجية الشارع على منطق الدولة، إضافة إلى قصر المدة الزمنية التي مرت على نشوب هذه الثورات والتي لم تعد كافية لرصد النتائج النهائية كما قال الزعيم الصيني ماوتسي تونغ عام 1975 م، عندما سئل عن الثورة الفرنسية التي نشبت عام 1799م: إنه من السابق لأوانه الحكم على هذه الثورة"[41].

المؤثرات الداخلية – الأساس الوهمي للأنظمة الساقطة:

الأنظمة التي سقطت تحت تأثير الثورات، لا زالت تحاول الظهور بشتى الوسائل، سعيا في استعادة العرش البائد التي تربعت عليه لعدة عقود، فتارة تخرج بوجه تهدف من خلاله إلى إفشال تلك الثورات، بصناعة تحالفات ظاهرها فيه البراءة وباطنها فيه الإجرام والدمار، فنرى أن تلك الأنظمة قد صنعت تحالفاً مع جزء من ركائز الثورة، ممن يرفع شعار التسامح، والوطن للجميع وبالجميع يُبنى، متناسياً ما فعلته تلك الأنظمة؛ للقضاء على الجزء الآخر منها، والذي يُعدّ في نظرها راديكاليا يرفض عودتها نهائيّاً.

كما الأنظمة لا زالت ترى في نفسها الأحقية بالسلطة، وترى فيمن قام بالثورة وأسهم فيها رموزا للعمالة، كما ترى أنها هي الوطن، وما عداها هو عميل وخائن ولا يستحق الحياة، لذا نراها لا زالت تستمر بالطريقة الاستبدادية وترفض التنوع والتداول السلمي للسلطة، ونرى أنها تسعى لإعادة إنتاج نفسها من جديد أو تعرقل أي عملية نقل للسلطة، ولا زالت محاولات الأحزاب الحاكمة مستمرة في وأد الثورات، وهي المسبب الرئيس وراء كل ما تشهده تلك الدول من الفوضى وعدم الاستقرار لضمان استمرارية نفوذها في السلطة، ودعمها منافسيه؛ طالما ضمنت لهم حرية الوصول إلى موارد الدولة، وذلك غبر تنظيماتهم السياسية ووسائلهم الإعلامية، وشبكاتهم العسكرية"[42]. لذا نجد أن الطرفين الداخلي منها والخارجي يستخدم الكثير من المحاولات لعرقلة العملية السياسية الجديدة؛ كمحاولة إطالة أمد الصراع قدر المستطاع، ومحاولة إظهار عدم الارتباك أو الانهيار السريع لأقصى فترة ممكنة، مع الاعتماد على الدعم الخارجي من أجل مصلحة النظام، وزيادة الإرباك في صفوف الخصوم الداخليين والخارجيين.

" ومع اندلا ع الموجة الثورية أرادت المؤسسات القمعية إيهام الشعب بالانحياز إلى ثورته؛ كنوع من أنواع (التصالح مع الشعب)، وكأن تلك المؤسسات تحولت في يوم وليلة من مؤسسات قمعية إلى مؤسسات وطنية تنحاز إلى إرادة الجماهير! بالإضافة طبعاً لتقديم المؤسسة العسكرية والداخلية كمنقذ للشعب. ومع انتشار الحملات الإعلامية المكثفة التي تضخم فكرة وجود تنظيمات إرهابية (فاشية) تسعى لتدمير البلاد، وتصوير أي تحركات سياسية ذات مضمون اجتماعي بأنها من فعل تنظيمات سرية تسعى لنشر الفوضى والتخريب، فضلاً عن كونها تحمل أجندات خارجية، لم يكن الأمر بحاجة إلى أكثر من مجرد الرقص على إيقاع (الوطنية) والحرب على الإرهاب لوأد الحركة الجماهيرية. إن تصدير الرعب للجماهير سَهّل ظهور تلك المؤسسات كالبطل المنقذ من كل هذه الأهوال التي تم تصويرها في الإعلام، وساهم في جعل رجوع الدولة البوليسية مرحباً به من الكثيرين أحزاب وحركات وأشخاص كانت محسوبة على قوى الثورة[43].

في حين أن تلك النُظم تتوانى عن تقديم أي من التنازلات التي من شأنها أن تجنب البلاد ويلات الحرب والدمار؛ كما هو الحال في ليبيا وسوريا. أو تقديم تنازلات بهدف المراوغة والالتفاف على الثورة بطريقة يراد منها كسب الرأي العام؛ كما هو الحال مع النظام اليمني، " فبالتزامن مع القمع العنيف لقوات الأمن، أعلن رئيس الجمهورية عن بعض التنازلات. ففي 2 فبراير، أعلن الرئيس علي عبد الله صالح أنه سيتنحى عن السلطة في عام 2013، عند انتهاء ولايته، كما عبر عن استعداده لإرساء حوار مع تكتل اللقاء المشترك. ثم أعلن بعدها عن تأجيل الانتخابات التشريعية المقررة في 27 أبريل والتي لم توافق المعارضة على تنظيمها ما لم تجر إصلاحات سياسية هامة. وفي 20 مارس/آذار، بُعيد مجزرة صنعاء، أقال رئيس الجمهورية حكومته وأمر بفتح تحقيق، وفي 23 مارس/آذار، اقترح تنظيم استفتاء دستوري وانتخابات تشريعية ورئاسية ثم أعلن عن مغادرته الحكم قبل نهاية 2011. استمرت الاحتجاجات رغم كل الوعود المقدمة. ففي شهري مارس/ وأبريل، توحدت المطالب في كل أرجاء البلد. إذ اتفق كل المتظاهرين سواء أكانوا في الشمال أو الجنوب أو أعضاء في المعارضة أو من شباب الثورة أو كانوا اشتراكيين أو لبراليين أو إسلاميين، على المطالبة باستقالة الرئيس وبإقالة نجله أحمد علي عبد الله صالح من منصب قائد الحرس الجمهوري والقوات الخاصة، وبتشكيل حكومة وحدة وطنية، رفض الرئيس الاستجابة لمطالب المتظاهرين في حين واصلت قوات الأمن قمعها الدموي للمظاهرات"[44]. نرى أن المجتمع الدولي بدلا من أن يطلب تنازلات من النظام، أصبح النظام هو من يرى الاولوية في تقديم التنازلات له من الأطراف الدولية والإقليمية، والتمسك حتى الرمق الأخير بعدم تقديم أي تنازلات للمعارضة الداخلية

وفي سوريا نجد أن النظام " يدرك أنه لابد من تبني استراتيجية لها غايات سياسية وعسكرية ألا وهي سياسة (صنع العدو) نظرية – غوبلز – القيام بعمليات تمثيلية على أساس أنهم من جبهة النصرة، أو من الجيش الحر، وأنهم طائفيون وهمجيون وإرهابيون فقد عمل النظام الأسدي على فبركة مشاهد « فيديو» مروعة لإعدامات ميدانية اتهم بها الجيش الحر، وبعض المقاتلين المنطوين تحت أعلام أخرى وإن كانوا قلة، بحسب بعض المراقبين المطلعين على يوميات الحدث السوري ، وكانت غاية النظام من ذلك هو تخويف دول العالم من أن مستقبل سوريا –فيما لو سقط الأسد – سيكون بأيدي غير أمينة ولن تحقق مصالح العالم الحر، مدركا بأن هذا الخطاب يحقق له انسجاما مصلحيا مع الكثير من الدول الإقليمية والدولية بالمعنى الاستراتيجي"[45].

المؤثرات الخارجية: القوى العظمى؛ وموقفها من التغييرات العربية:

أما ما يسمى بالقوى العظمى أوروبا وأمريكا وروسيا، بداية لم تصدق قيام الثورات بهذه السرعة والكيفية، كما لم تقتنع بما تشاهده يفعل بحلفائها وعسكرها في تلك المناطق، غير أنها سرعان ما سلمت

للأمر، وأخذت بالواقع، فكان منهم من عارض تلك الثورات، ووقف بجانب حلفاءه كما هو الحال مع روسيا، في الوقوف مع القذافي علانية، وعارضت القرارات الدولية في التدخل في ليبيا، وفعلت العكس تماما الشعب السوري بوقوفها إلى جانب الأسد، ومنهم من رحب بها؛ لا حبا في ذلك الصنيع وإنما لاحتواء الشارع العربي، ثم يتم العمل في الخفاء على إجهاضها والتآمر عليها.

وهكذا أصبح التلاعب منهم بالثورات واضح جدا، خاصة في ظل أحقية كل منهم في استخدام حق (الفيتو)، ففي حين تمتنع روسيا والصين عن استعمال القوة ضد النظام الليبي، نراها بالمقابل تصر على استخدام القوة ضد المعارضة السورية، وتقف بجانب النظام السوري، وتبرر الصين ذلك استخدام حق (الفيتو)؛ لمنع تدخل غربي في سوريا؛ لأنها ترى أن استخدام القوة في أفغانستان والعراق أسفر عن مصائب، وحقيقة الأمر أن الصين لديها حساسية إزاء التدخل والعقوبات لمعاناتها من التدخل الأجنبي في أواخر القرن الماضي، فضلا عن منعها من إشغال مقعدها الدائم في مجلس الأمن لربع قرن"[46].

ومن هنا نجد مثلا أن " الأزمة السورية شكلت نقطة اشتباك بين نظم إقليمية ونظم دولية، وامتزج التنافس الدبلوماسي بين أطراف دولية وإقليمية بعراك عضوي على الساحة السورية، ولهذا السبب أصبحت الدول تتنافس سواء تنافس صراعي أو تنافس تعاوني؛ من أجل الحصول على المكاسب الاستراتيجية التي أصحبت أكثر أهمية في منطقتنا في ظل الثورات والفوضى الخلاقة، ومن هنا يمكن ازدواجية موقف كل من الولايات المتحدة وفرنسا في التعامل مع الأزمات، ففي الوقت الذي تكون لها مواقف متشددة في ليبيا وتصر على إنهاء النظام الليبي، نجد أنها تتهاون في اتخاذ موقف حازم حول ما يحدث في سورية. أما موقف روسيا والصين تجاه الأزمة السورية فهو مفاجأة للكثير من المراقبين، حيث أنهما لهما الدور الفاعل في بقاء الأزمات تتأرجح دون أن تحسم لصالح جهة معينة، وخلق فوضى خلاقة وهو ما أرادته القوى الكبرى"[47].

الربيع العربي لم يكن مريحاً لأمريكا، فهي في مستهل الأمر كانت تظن أنها أمام شرق أوسط خامل، لذا تمتعت فيه بتحالفات كانت تعتمد عليها مثل: النظام المصري –القائم على حماية إسرائيل– كما لم تستطع أن تجاري الأحداث المتتابعة في مصر والتي على إثرها تم انتخاب محمد مرسي؛ وهو رئيس ينتمي لأحد الأحزاب إسلامية، والذي تم عزله من قبل الجيش بعد عام، وسط تآمرات دولية.

في مقال لكيفن كون وللي يقول فيه: "لا يمكن لأحد أن يلوم إدارة أوباما لفشلها في مواكبة الأمور في الشرق الأوسط، فهي إدارة تحب الانتخابات، ولكن لا تحب نتائجها؛ عندما يفوز الإخوان المسلمين فوزاً كاسحاً، في مصر، وهي أيضاً لا تحب الانقلابات العسكرية (في القرن الواحد والعشرين على الأقل)، لكنها مرتاحة لوجود نظام مدعوم من الجيش يحافظ على فكرة السلام مع إسرائيل، ولا تزال أمريكا بالطبع

قوة عظمى، ولكنها لم تعد تفرض الأمور في الشرق الأوسط، وهي لا تعاني وحدها من هذا الفشل، فتركيا أيضاً لم تختر الجانب الفائز في مصر، وتتعثر في علاقات إشكالية مع الثوار في سوريا"[48].

وكحال الأنظمة في قناعاتهم بأحقية بالحكم، كذا هو حال القوى، -التي تتسابق في التنافس فيما بينها-ترى لنفسها الأحقية، وأنها الأجدر في تسيير المنطقة، معتمدة على مبدأ القوة تارة، وعلى ادعاء الحضارة تارة، لذلك ترى أن نشوء أنظمة جديدة حرة في اتخاذ قرارها، وتعطي الحق لشعوبها أن تعبر عن رغباتها، ليس في مصلحتها، بل هو مؤشر على بداية انتهاء نفوذها وتقليص دورها.

إن تحول الدول الربيعية إلى نظام جديد يتم فيه مراعاة الحقوق، وإقامة العدل والقانون، يعني تطوراً لتلك الدول، وتطوير اقتصادها، والانتقال من دور التابع إلى دور المنافس -كما هو الواقع في دول أمريكا اللاتينية؛ التي تشهد نهضة اقتصادية كبرى، وصارت من الدول المنافسة، وباتت تقترب من الدول العظمى- لذا نرى أن القائمين على السياسة الخارجية للدول الموسومة بالعظمى -خاصة أمريكا- يدركون أن نجاح الثورات العربية يعني نهاية السيطرة، وأفول نجم النفوذ على تلك الدول، ويمكن تحولها إلى أقطاب منافسة،" لذلك ترسخت لديهم قناعات بضرورة تغيير الاستراتيجية الأمريكية تجاه سورية وهذا كان متوافق مع رغبة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، لذلك بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الأمريكية السورية"[49].

يقول ولد أباه: " لم تكن الولايات المتحدة الأميركية بأكثر حظا من مقارباتها الاستراتيجية للأوضاع العربية الجديدة، صحيح أنها واكبت عملية التغيير في تونس ومصر بيد أنها أظهرت عجزا فادحا عن التأثير في المعادلة الجديدة في البلدين، على الرغم من تحركات وتصريحات وزيرة الخارجية (هيلاري كلنتون) التي زارت مؤخرا المنطقة والتقت بالحكومتين المؤقتتين في مصر وتونس. فإدارة أوباما حرصت بقوة على تغيير صورة أمريكا الباهتة في الرأي العام العربي، ووجدت الثورات العربية الأخيرة فرصة سانحة لاستعادة خطاب تصدير الديمقراطية للعالم العربي الذي بلوره المحافظون الجدد، وتبناه الرئيس السابق بوش في مقاربته لمواجهة الإرهاب بصفته رديف الاستبداد القمع "[50].

وكذا الحال في اليمن؛ نجد أمريكا والدول الغربية لم تقم بأي تحرك تجاه الحوثي، بل ولم ترعي أي اهتمام للانقلاب الذي قام به، وكأن ذلك الانقلاب وجد قبولا لديهم؛ إن لم يكونوا هم وراءه أصلا، وفي ظل الأعمال الإجرامية التي يقوم بها الحوثيون نجد أن الطائرات من غير طيار تقيس الأمور بمكيال بخس، فنسمع بين الحين والآخر أن تلك الطائرات الأمريكية من غير طيار تصب جام غضبها على القاعدة، بينما الحوثيون يسرحون ويمرحون بحماية تلك الطائرات؛ فأين منهم شعارات (الموت لأمريكا)! يقول الدكتور عادل الشجاع الكاتب اليمني المعروف: " لو كانت صرخة الحوثيين (الموت لأمريكا) حقيقية لحركت امريكا

اساطيلها، وقدمت إلى اليمن، ولاحقت الحوثيين بالطائرات بدون طيار، والصواريخ الذكية، وبما أن الموت لأمريكا مجرد شعار الهدف منه قتل اليمنيين، فإن امريكا تحمي الحوثيين، وتمنع اجتثاثهم، ووصول المبعوث الاممي إلى صنعاء، واستقباله من قبل عصابة الحوثي الإرهابية، يكشف الوجه الإرهابي لأمريكا الداعم الرئيسي لهذه العصابة"[51].

ومما ساعد في المراوغة واستمرار الفوضى؛ لعبة الأمم المتحدة، بتركها الباب مفتوحا على مصراعيه للدعم الخارجي العسكري والأمني على الأرض لحلفاء تلك الأنظمة، وعطلت منابر الأمم المتحدة عن الوظيفة التي أنشئت من أجلها وإن كنا أصلا لم نشاهد منها أي موقف إيجابي تجاه المسلمين، وهذا ما ألمحت إليه رايس بقولها: "حين صوفت (الفيتو) بأنه مخز. وقالت كلنتون: "الفيتو سوف يزيد من احتمالات نشوب أهلية. وانتقدت الولايات المتحدة الفشل الكامل للمجلس الأمن في إيجاد حل للأزمة السورية[52].

وهناك سؤال يتوارد كثيرا: هل الثورات العربية ربيعا أم خريفا؟

الجواب على ذلك: أن ثورات الشعوب العربية نجحت جميعها في المطلب الرئيسي الذي صرحت من أجله وهو (الشعب يريد إسقاط النظام)، عدا سوريا التي لا زال طاغيها يراوح في مكانه بمساعدة حلفاءه غير أنه واقعيا سقط في عين الجميع إلا بقيا من فلوله وحلفاءه. ومهما كان نوع تلك الأنظمة الشمولية، بسياستها التقليدية، التي ترى أي شكل من أشكال المشاركة الشعبية، ولا تقبل بها ولا حتى بالحد الأدنى منها، لأن تلك الأنظمة كانت عبارة عن هيكل دولة، ومظهر وطن، لكن بلا جوهر وانتماء حقيقي لتلك الأرض. إن جميع تلك العوامل السابقة هي في نظر البعض أساس فشل الثورات الربيعية إلى يومنا الحاضر وإن كنا نرى أن رياح التغيير آتت بعضا من ثمارها، وحتما ستأتي رياح أخرى مجددًا.

ومن وجهة نظري أن هذه الثورات: ربيعية من جانب، وخريفية من جانب آخر؛ أما الجانب الربيعي، فإنها قد حققت بعض أهدافها، والتي تتمثل في يقظة الشعوب وانتباهها من سباتها، ونفضها لغبار الخوف والذل الذي كان جاثم على صدورها لعقود من الزمن، كما أن من أهم الأهداف التي حققتها أنها استطاعت أن تزيل تلك العروش الطاغية المقيتة الاستبدادية؛ حتى وإن لم يأت إلى اليوم من يكون الفارس المنقذ حقيقة، إلا أنها استطاعت أن تتخلص من الديكتاتورية المهيمنة على البلاد لفترات طويلة، كما أن تلك الثورات استطاعت أن تقصي جميع زبانية تلك الأنظمة سواء كانت تلك الزبانية من العائلة المالكة أو من المقربين منهم، بل واستطاعت اذلالهم وجعلوهم يسقون من كأس الخوف الذي سقوا منه تلك الشعوب، حتى أن الديار التي كانوا يعيثون فيها فسادا لم تعد تسعهم فلاذ من لاذ بالفرار وسقط من سقط في يد الثوار، وعاش الباقي في خوف وهلع يتوارى عن الأنظار.

"إن الثورة كفكرة ومحو لأنظمة الاستبداد لم تفشل ومازالت مستمرة، وكإرادة وبرنامج تغييري نحو الأفضل، وبحسن الظن بثوراتنا الشبابية الشهمة يمكن القول بأنها تلكأت بعض الشيء، قد يطول ذلك التلكؤ وقد يأذن الله بالفرج العاجل؛ ولكن الكثير من السياسيين والمحللين يعبرون عنها بالفشل التام"[53].

صحيح أن الثورات تعثرت تعثراً شديداً، إلا أننا لا زلنا لا نقول بالفشل التام لتلك الثورات، وقد نقول حدث فشل ابتدائي، متمثل في الحركات المعارضة أنفسها، فهي في الحقيقة التي فشلت في إنجاح طريقتها في إدارة الموقف، ولا شأن لذلك الفصل بذات الثورات، لأن الثورات قامت على مبدأ واحد وهو (الشعب يريد اسقاط النظام) وبالفعل سقطت تلك الأنظمة، ولكن الحركات المعارضة هي التي لم تنجح في السيطرة على الوضع، ولهذا نقول بأن الثورة تحتاج الى مناضلين متمرسين في مواجهة الأنظمة المراوغة، بل وتحتاج إلى كوادر علمية ذات كفاءات عالية، في الفنون السياسية والقانونية[54].

إن الذي لا زال يظن أن الثورات الربيعية لم تحقق أهدافها، ينبغي عليه ألا يخلط بين (قيام الثورة، وقيام الدولة). يقول المفكر الامريكي بنجامين باربر: "تؤدي لهفة الحرية إلى الانتفاضة. وعاجلا أم آجلا يتم إزاحة المستبدين عن العرش. كما تشكل لهفة الحرية زخما كبيرا للتطلع الديمقراطي وتدفع به إلى الأمام. غير أنه ومع اندلا ع الانتفاضة يكون الوقت قد تأخر للحديث عن تأثير الثورة على مسار تأسيس ديمقراطية حقيقية. يظهر التاريخ أن الطرق المؤدية إلى الديمقراطية مختلفة، وليس من الواضح ما إذا كانت انتفاضة مسلحة –حتى ولو تم فيها الإطاحة بدكتاتور مستبد – تؤدي حتما إلى الديمقراطية. على العكس من ذلك فإن الانتفاضات الثورية، سواء في باريس عام (1789)، وفي موسكو عام (1917) أو في طهران عام (1979)، لم تفلح في إرساء نظم ديمقراطية رغم نجاحها في إسقاط الأنظمة الديكتاتورية. وكانت النتيجة المباشرة في كثير من الأحيان عدم الاستقرار والفوضى والحرب الأهلية، أو الاستبداد مرة أخرى في حلة جديدة"[55].

دائما ما تقوم الشعوب بالثورات من أجل التخلص من العيوب بمجملها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى ثقافية، التي سيطر عليها حقبة من الديكتاتورين بمساندة من الزبانية الذين يقومون بالدور العسكري القمعي أو بالدور الوعظي من علماء السلطان. أما الدولة فهي تقوم على برنامج عمل يومي متجدد لأجل تحقيق المطالب الشعبية، وتتغير حسب الظروف المكانية والاجتماعية.

ونقول للشعوب: بما أنكم تخلصتم من أنظمة الحكم في فترة وجيزة، دون حسبان للهلع السابق، لا بد أن تعلموا أنه ليس من السهولة التخلص من الفكر العاطفي بين عشية وضحاها، فلا زلنا نسمع من يدندن

بأسماء شخصيات كانت من أعمدة الانظمة الديكتاتورية السابقة، لإقناع الشعوب أنه لن تقوم لدولنا قائمة إلا إذا ظلت تلك الشخصيات هي القابضة على سدة الحكم.

الحواشي:

1 For discussion of causes, see Foreign Policy, Revolution in The Arab World, 11 February 2011.

2 روجر أوين، الشبان في مواجهة المسنين، (الحياة، 10، آب، 2012).

3 عبد الشافي، د. عصام، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (مرجع سابق). ص73.

4الماتريدي، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج4، 510.

5 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (المركز الديمقراطي العربي، 28 نوفمبر، 2016، DEMOCRATICAC.DE.

6 العماني، فاضل، الأسباب العشرة للربيع العربي، 2 /2/ 2014م، العدد 16932، HTTP://WWW.ALRIYADH.COM.

7 المحمود، محمود أحمد، توريث الحكم في بلاد المسلمين، (لبنان، مجلة الوعي، ع، 282-283، السنة الرابعة والعشرون، رجب وشعبان 1431هـ).

8 صدّيقي، العربي، الابن سرّ أبيه: "الجُمْهورِيانيّة السُلالية" في مصر وليبيا واليمن، (بيروت، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 نوفمبر 2009)

9 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، والسياسية، 28 نوفمبر، 2016)، ص19، بتصرف.

10 كريم، حسن، الربيع العربي وعملية الانتقال إلى الديمقراطية، نقلا من (ثورة الخلاص من الاستبداد: دراسة حالات، (مصر، شرق الكتاب، ط1، 2012)، ص57. ص11. بتصرف

11 سجن صيدنايا" سجن عسكري سوري؛ يعد من أكبر سجون البلاد وأفظعها وأسوئها سمعة عُرف منذ تشييده عام 1987 بأنه "سجن عسكري" يضم آلاف الجنود والضباط المتهمين بمخالفة القوانين العسكرية، لكنه في الواقع كان معتقلا لمئات من السياسيين السوريين والعرب أغلبيتهم الساحقة من الإسلاميين. (ينظر تفاصيل المجزرة في الجزيرة نت، آخر تحديث: 8/2/2017، (HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET

12 التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية 2017/2016، 22 شباط / فبراير 2017 WWW.AMNESTY.ORG.

13 البغدادي، أبو بكر أحمد الخطيب، المتفق والمفترق، (دمشق، دار القادري للطباعة والنشر، ط1،1997)، ج3، ص1731.

14 عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، إعصار التغيير، (مجلة شئون عربية، دورية تصدر عن الأمانة العامة للدول العربية، 145، أبريل 2011)، ص.42.

15 شلبي، علاء، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ط1، ٢٠١٤)، ص7.

16 العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012م) ص162.

17 خميس، كريم، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (مرجع سابق)، ص9.

18 العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (مرجع سابق)، ص26.

19 عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، (مرجع سابق)، ص86.

20 السيد النجار، الاقتصاد المصري ومعضلة الفقر في عهد مبارك، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2011/10/13 http://studies.aljazeera.net بتصرف.

21 عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، (مرجع سابق)، بتصرف ص.43.

22 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (مرجع سابق).

23 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (مرجع سابق). بتصرف.

24 المرجع السابق. بتصرف

25 اللجنة الدولية النقدية والمالية واللجنة الدولية المعنية بالتنمية، (واشطن، أبريل، 2013). ص17.

26 رايدر، غاي، تكريس وتفعيل الحقوق في مرحلة التحولات: النتائج الإنمائية، (منظمة العفو الدولية، 2013/2/12)، ص17

27زايد، احمد، اركيولوجيا الثورة واعادة البعث للطبقة الوسطى الديمقراطية، السياسة الدولية، (مصر، مؤسسة الاهرام، ع 42، ابريل2011)، ص21

28 الوافي، ولطيفة بهلول، البطالة في الوطن العربي، (المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، 15 يناير 2012 hrdiscussion.com، بتصرف.

29 عبد الشافي، د. عصام، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (مرجع سابق). ص73.

30 ينظر: عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، مرجع سابق، بتصرف.

31 الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997)، ص336.

32 بشر، هاني، وعي الشعوب ووعي الأنظمة، مجلة عربي 21، HTTPS://ARABI21.COM، الأحد، 10 يونيو 2018

33 أخرجه البخاري رقم: (7307)، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

34 العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، باب ما يذكر من دم الرأي، (بيروت، دار المعرفة، 1379)، ج13، ص 287.

35 نصار، أحمد محي الدين، أسباب ضعف الوازع الديني، SAIDACITY.NET، الإثنين 15 تشرين أول 2012م. بتصرف.

36 نخبة من الباحثين، بإشراف عبد الوهاب بو حديبة، مختلف جوانب الثقافة العربية، الفرد والمجتمع في الإسلام، (لبنان، درغام وأولاده، ط2، 2000)، مطبوعات اليونسكو، ج2، ص175.

37 المرجع السابق، ص80.

38 المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، صحفية الرياض السعودية، 17 نوفمبر 2016، www.alriyadh.com. بتصرف.

39 المرجع السابق.

40 المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، (مرجع ابق)، بتصرف.

41 حرمل، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، رؤية تحليلية في ضوء فروض نظرية الثورات؛ الواقع وسيناريوهات المستقبل (الحوار المتمدن–العدد: 4068 -2013 / 4 / 20)

42 حسن، محمد فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، مجلة آفاق عربية، (مرجع سابق)، بتصرف ص131

43 علي، عبد الرحمن، حرب على الإرهاب أم قمع للحريات، (الاشتراكي، إعلام من أجل الثورة، 20 سبتمبر 2013). HTTP://REVSOC.ME/POLITICS/HRB.

44 كوزموس، كاتالينا مارتن، الثورة اليمنية، تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان / مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ط1، 2012)، ص8.

45 فهد، معن، الثورة السورية، قصة البداية، (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2014/7/22)، ص19.

46 الخزرجي، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العد الثامن، 2016)، ص40.

47 الجبوري، معتز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية العلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016)، ص47.

48 كيفن كون وللي، الربيع العربي: عشر نتائج غير متوقعة، (مراسل بي بي سي في الشرق الأوسط، القدس، 14ديسمبر 2013 م)، بتصرف.

49 الجبوري، معتز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية العلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016)، ص47.

50 ولد أباه، السيد، الثورات العربية الجديدة، المسار والمصير، (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، ط1، 2011)، ص86.

51 شجاع، عادل، الحوثية المحمية من أمريكا، (أبابيل، أنباء يمنية، 6 يونيو 2018).HTTPS://ABABIIL.NET.

52 الخزرجي، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مرجع سابق)، ص45.

53 حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (العربي الجديد، 19 نوفمبر 2014)، WWW.ALARABY.CO.UK.

54 حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (مرجع سابق).

55 BENJAMIN R. BARBER UNI NEW YORK، المجتمع المدني، مفتاح نجاح الثورات، تم نقل كلام الكاتب كما هو للاستشهاد، مع التحفظ على بعض العبارات فيه، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي نقل الكلام كما هو. موقع. HTTP://WWW.DW.COM

الباب الثاني:

قضايا فكرية، وأثرها على الربيع العربي

لا زالت النخب الغربية، وحلفاؤها من العلمانيين والحداثيين، يشنون حملة شعواء في عالمنا العربي ضد الهوية الإسلامية، لزحزحة رسوخها لدى شعوب المنطقة، وقد طالت سنوات تلك الحملة، وعندما بدى لها أنها انتصرت في حملتها، ولفرط غبائها لم تدرك أنها أيقظت المارد الإسلامي، الذي اكتسح جميع تلك الحملات، مما حدى بها لأن تنهج نهجاً مغايراً، من خلاله تستطيع أن تكبح جماح ذلك المارد؛ من خلال الإسلاميين أنفسهم، فأخرجت لنا حركات متعددة تدعى (تنويرية)؛ همّها كما تزعم الحفاظ على الإسلام بصورته الصحيحة، وتحميه من "التطرف".

وعندما قامت الثورات الربيعية، وظهرت قوة التيارات الإسلامية، وأن الشعوب متعطشة للحكم الإسلامي، حاولت تلك النخب مداهنة هذه التيارات، والاقتراب منها، وحينما شعرت بأن الحال سيكون مختلفاً مع تلك التيارات، عادت لعادتها التي دأبت عليها، من بث النزاعات دخل المجتمع المسلم، وخلق الفتنة، وإثارة النعرة الطائفية، والمذهبية؛ حرصاً منها على إفشال تلك الثورات.

وقد استطاعوا أن يوهنوا من عزيمة الثورات؛ لغياب الرؤية الواضحة والشاملة لها، مستغلين الاختلاف بين العناصر الفاعلة، مع تحريك المتآمرين من الداخل؛ من العلمانيين والليبراليين، فظهر في الوسط من ينتقد تطبيق الشريعة، ويطعن في الحدود الإسلامية، وينتقص من كتب الصحاح خاصة البخاري ومسلم، ويسخر من حياة البرزخ، ويرمي العلماء والمصلحين بأنهم أصحاب استغلال لنفوذهم في مصالحهم الشخصية. وكأنهم يشجعون لعودة الحكم العلماني والديكتاتوري، الذي لديه القدرة على مواكبة العمالة الغربية، وتضييع الشريعة الإسلامية، وصوروا للناس أن الإسلام الحقيقي هو ذلك المنهج الذي يحتوي على الكثير من الخرافات التي كانوا في يوم ما ينتقدونها، ولأنه منهج يكتفي بحلقات الذكر، والتبرك والاستغاثة بالقبور، والترانيم والموشحات، وليس له اهتمام بالسياسة، ولا المطالبة بتحكيم الشريعة، رضوا به كحل مؤقت للأزمة؛ حتى يتخلصوا من التيارات الإسلامية الحركية المضادة، ثم وصل الأمر بهم في آخر المطاف إلى أن أعلنوا الحرب صريحة ضد هوية الأمة الإسلامية، في محاولة لطمس تلك الهوية من قبل أطراف قام لها نفوذ بطريقة أو بأخرى في عالمنا الإسلامي، ممن يختبئون وراء الشعارات البراقة، ملبّسين الحق بالباطل، ولا أدل على ذلك من المواقف التي نشاهدها من أحفاد المرجئة، وأذناب الخوارج، وأبناء الرافضة.

لقد رأينا من بعض المتظاهرين بالحرص على الإسلام؛ أنهم بحق هم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين في وقتنا الحاضر، فهم يناصبون المجتمعات العداء بشكل سافر، ويتمنون هزيمة الإسلام لمصلحة دول وأحزاب هنا وهناك، رافعين رايات الاعتداء على ثوابت الدين، ومفهوم التوحيد، ومعاني العقيدة السليمة، سعياً منهم للوصول لسدة الحكم، وعندها تتحقق لتلك النخب الغربية ما أرادوا، وتسير الأمور تحت أعينهم كما كانت، وبات من يخالف أولئك البغاة عرضة لانتهاك المال والعرض النفس، كما بات واجب على

العلماء، والمفكرين، والدعاة التصدي لحملتهم الشنيعة. إن معظم دول العالم الإسلامي تعاني من التخلف السياسي والاقتصادي والثقافي، وبالخصوص الدول العربية منها، ولهذا لابد أن ندرك بأن فكرة الإصلاح ليست فكرة وليدة، استحدثت في ثورات الربيع العربي، إن فكرة الإصلاح فكرة قديمة بقدم الإنسانية، ولهذا كانت دعوة جميع الأنبياء مبدأها هو الإصلاح؛ وصحيح أن الهدف الأول لدعوة الأنبياء هو الإصلاح العقدي والفكري، لكن أيضا فإن دعوة الأنبياء لم تكن لتغفل عن الإصلاح السياسي، والإصلاح الاقتصادي، إذ بصلاح الدين تصلح الدنيا؛ كما تصلح الآخرة.

كذلك قد وجدت فكرة الإصلاح في كثير من كتابات قدماء المفكرين من أمثال أفلاطون وأرسطو تحث على العدل، وتنظيم المجتمع، والاستقرار السياسي، والعدالة في توزيع ثروات الدولة، ولهذا يمكننا القول إن فكرة الإصلاح كانت ومازالت الهدف الأسمى لكل المخلصين من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين والاقتصاديين والمثقفين، في مختلف أرجاء العالم. وقد حدثت كثير من التغيرات الإصلاحية على مر القرون الإسلامية منذ انبثاق فجر النبوة مروراً بعصور الخلافة، في جميع المجالات العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والإدارية.

وفي هذا الباب بعون الله سنسلط الضوء على قضية الصراع الفكري، ونرى من خلاله المشهد الأمريكي والغربي حيال القضايا الإسلامية، وبيان القول في نظرية المؤامرة.

المطلب الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع:

لا شك أن لكل طائفة من شرائح المجتمع سواء كان ذلك على مستوى؛ المفكرين، أو السياسيين، أو الاقتصاديين، أو... إلخ، رؤيتها وتصوراتها، ومواقفها، ولهذا كان من الواجب استماع تلك الرؤى والتصورات، ولكي نقف على بداية الطريق لا بد من التماس القواسم المشتركة بين كل الشرائح؛ كي يتم الانطلاق منها.

إن المتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام، يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوروبية. هذا الحقد، وذلك الخوف، لا شأن لنا بهما إن كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسياً، واقتصاديًا، وحتى هذه الساعة، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم[1].

أصبح الكلام عن التدافع والمقاومة، من المعضلات الدلالية، كما أصبح الكلام عن الجهاد من المعضلات اللفظية، فالخطيب والكاتب والمقاتل في ارض الميدان؛ جميعهم إرهابي في نظر المفاهيم الدولية، التي صارت هي القاموس المعتمد عالميا في كل نازلة ألمّت بالعالم، كل ذلك في ظل غياب كامل وتام عن سنة من سنن الله الكونية المشروعة في الأرض وهي سنة التدافع عموما، والتدافع العقدي بوجه خاص.

وفي حمأة الجدل الصاخب لم يعد من نوافل القول بأن الحديث عن (صراع الحضارات) حديث يطول الخوض فيه ولا يغني مطلب عن إشباعه، وإنما الذي يهمنا في هذا المطلب هو التنويه على الصراع القائم بين الحضارات والذي يقوم على الأساس العقدي الديني، وإن تلبّس في كثير من الأحيان بلباس الحرب الاقتصادية أو حرب التكنلوجيا أو الدفاع عن الحقوق والحريات، إلا أن الثوب الأصلي لهذه الحروب برمتها هي حرب من أجل الحضارة (ثقافية – دينية)، وإن تعددت المواقف، وتباينت المفاهيم، حول التحايل على هذا الصراع، وقيل في حواشيه ما لم يُقل عن أي قضية غيره. وكم من داخل في متاهته إلا وتراه يأتي فيه بما أملت عليه مرجعيته الخاصة والتي تنطلق من النظرة الدينية العقدية، وفق ظروف خاصة، ملتزمة بأنساق هي كذلك خاصة، ولو أن المهيمنون على العالم بالسلاح والتكنولوجيا تعاملوا بإنصاف مع الشعوب من حولهم، على مختلف مللهم وأجناسهم لكان حال العالم في هذه الفترة الزمنية التي غمرتها العلوم والمعرفة أصلح وأقوم.

إن صلاح الأرض وفسادها قائم على مقدار التدافع بين الحق والباطل، فهذا ناموس من النواميس الإلهية، وقانون رباني، كي يسود الخير، وتطمئن البشرية، وينعم الأنام، وكلما فرط أهل الحق بالأخذ بهذا القانون وتناسوا هذا الناموس؛ فإن حقهم يعتبر في عداد المفقود، ولهذا لابد أن نعلم أن مبدأ القوة قرره الله عز وجل في كتابه:﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مريم: 12]، ولكن لا يقوم هذا المبدأ، ولا يُعمل بهذا القانون إلا بشروط شرعية؛ وهما مصدرا التشريع، والتي يراد منها ربط القوة بالحق، وضبط التدافع بالعدل، فإن تحقق ذلك عم الخير، وتحقق الأمن للبشرية. يقول هنتنجتون: " التاريخ الإنساني هو تاريخاً للحضارات ومن المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنسانية بأي معنى أخر، والقصة ممتدة عبر أجيال من الحضارة منذ السومرية القديمة إلى المصرية إلى الكلاسيكية والأمريكية الوسطى، وعبر تجليات متتالية للحضارات الصينية والهندية، والنتيجة أن أسباب وظهور وصعود وتفاعلات وانجازات وانهيار وسقوط الحضارات؛ كان يتم استكشافها بواسطة مؤرخين وعلماء اجتماع وأجناس متميزين. ورغم اختلافات المنظور والمنهج وبؤرة الاهتمام والمفاهيم؛ إلا أن هناك اتفاقا عريضا على الفروض الرئيسية التي تتعلق بطبيعة وهوية الحضارات وقواها المحركة"[2].

ويقول: " الأديان الكبرى مثل الإسلام والمسيحية على نحو خاص تضم مجتمعات من أجناس مختلفة، أم الاختلافات الأساسية بين الجماعات الإنسانية؛ فتتعلق بالقيم، والمعتقدات، والبنى الاجتماعية"[3].

والذي تقوم عليه أسس الحضارات وهو بحق مؤسف على البشرية هو: أن تتسلط إحدى تلك الحضارات التي ملكت القوة في عصر ما على الناس فتقلب موازيين التعايش والمساواة؛ فتجعل من الباطل ملازما للقوة، والظلم للضعف، وعندها ستتبدل حياة الأنام بؤساً وجحيما؛ لما سيصيب البشرية من هدر للكرامات، وسفك للدماء، وتدنيس للمقدسات، ولا شك أن هذه هي المقومات لإحياء سنة التدافع. وقد لا يكون ثم هنالك حقيقة ما يسمى الحرب على الإرهاب، ولو كان هنا تنازلا دوليا عما بات يعرف بسباق التسلح والتنافس الاستعماري لكان هناك حفظ للحقوق والحريات، ولم نكن عندها سنسعى لمحاربة جماعة ما، ومحاربة ملة ما.

كما نرى الاحتلال والاستيطان وحروب الإبادة والتفرقة؛ أضحت في أرشيف التاريخ الغابر، ولكن للأسف حين تتملك المصالح، وتقدس الأيديولوجيات المهيمنة، وتغطى بعض المفاهيم بمصطلحات لطخها الحقد وحب التسلط، فلا شك أن كل تلك المعاني الجميلة ستُفرّغ من حقيقتها وستظل الصراعات هي سيدة الموقف، وراعية القوة، وعندها يظل التنازع والخلاف في نمو مطرد؛ وذلك ما نحاول القول به فيما يعرف بصراع الحضارات، ولهذا عندما قامت السيادة على القوة، وهيمن القوي على من حوله، وظن أن غيره

مجرد ضعيف لا يؤبه به؛ جاءت سنة التدافع لتدحر الهيمنة ولتقول للظالم قف، وهو ما يوكده الله بقوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، [البقرة، الآية: 251]. قال الإمام الماتريدي: " قال بعضُهم: دفع بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين، لما شغل بعضهم ببعض، وجعل بعضهم لبعض أعداء إلى أن لم يتفرغوا عن أنفسهم للمسلمين، وإلا كان في ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: دفع بالرسل والأنبياء شرهم عن المسلمين، وكفاهم بهم. وقال غيرهم: دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض –دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد، وإلا لغلب المشركون على الأرض. ثم اختلف في قوله: (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ). وقيل: لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضًا، وأهلك فريق فريقًا، وفي ذلك تفانيهم وفسادهم، وفي ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: لو لم يدفع لفسدت الأرض، أراد بفساد الأرض فساد أهلها؛ لأنه لو لم يدفع لغلب المشركون على أراضي الإسلام وأهلها. فإذا غلبوا فسد أهلها. وقال: (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)، إذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع، ففيه فساد الأرض"[4].

لا يخفى أن صراع الحضارات يُغذى بالألاعيب السياسية، والتي تقوم في الغالب على التآمر والذي قام باستغلال ضعاف النفوس والدين؛ ليقوموا بالدور المناط بهم إما بإشعال نار الفتن الداخلية عن طريق فصيل من فصائل التطرف بشتى أنواعه؛ الديني أو الحداثي أو العلماني أو الليبرالي، مع ضرورة ألا نهمل الاستثارة المتتابعة من الدول التسلطية في ضغطها على الشعوب، وكثير من تلك الأحداث كونت منعطفا خطيرا في حياة الأمم والشعوب.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية كثر الحديث بأنها كانت حربا لتحقيق السلام العالمي وقمع الكبت والتسلط، وأنها جاءت لتقرير المصير للأمم. ووجدت هذه الأضحوكة اهتماما بالغا لدى معظم شعوب العالم بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي روزفلت والبريطاني تشرشل: أنهما لا يريدان التوسع على حساب الآخرين كما أنهما يحترمان حق الشعوب في اختيار نظم الحكم التي تناسبها. وكان هذا الإعلان عام (1941م)[5].

وهذا ما أكدته الأمم المتحدة في ميثاقها الصادر (1945)[6]. كما أكد القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (2102) والصادر في (1973) على أن "كفاح الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية والنظم العنصرية في سبيل إقرار حقها في تقرير المصير والاستقلال هو كفاح مشروع يتفق كل الاتفاق مع مبادئ القانون الدولي"[7].

وعلى غرار قوانين الأمم المتحدة جاءت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والتي جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية: "لا تعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي "[8].

كما أيد وزراء العدل العرب هذه الاتفاقية في اجتماع دورتهم السابعة عشرة في 5 ديسمبر (2001م)، والتي تعطي الحق لأي شعب بالدفاع عن أرضه بمختلف الوسائل، كما أنهم فرقوا بين الإرهاب وبين حق المقاومة للمحتل، بموجب قوانين الأمم المتحدة والمجتمع الدولي؛ المنصوص عليه آنفا، كما أكد الوزراء على أن الربط بين الشريعة الإسلامية والإرهاب يعد تعديا على الإسلام وعدم فهم لمقاصده"[9].

إن الناظر في قوانين الأمم المتحدة يرى أنها باتت تتوافق مع القانون الشرعي في سنة التدافع، ولذا نراها أعطت الحق لكل أمة محتلة أن تدافع للحصول على خلاصها من الاحتلال بكل ما أوتيت من الوسائل حتى وإن كانت بالوسيلة المسلحة حتى تحقق استقلالها. وقد فرقت هذه القوانين بكل وضوح بين المقاومة المشروعة والتعديات الإرهابية، سواء من الدول أو المنظمات. وهذا ما دفع بكثير من شعوب العالم لتخليص أوطانها من الاستعمار البغيض، في الخمسينيات من القرن الماضي، ففي عام (1965) استقلت 17 دولة أفريقية ثم توالت حركات الاستقلال حتى وصلت في سنة (1980) إلى خمسين دولة[10].

غير أن هذه القوانين، لم تعجب أمريكا وإسرائيل فوقفت منها موقفاً مغايراً يناسب أهدافهما الاستعمارية للشعوب ونهب خيراتها، وهذا ما جعل أمريكا تتملص في تقرير مفهوم خاص للإرهاب لأن لها مفهومها الخاص في تقرير حق الشعوب في الدفاع عن أوطانها والكفاح من أجل استقلالها.

ولذا ينبغي لنا عند النظر إلى تلك الدول أن نعلم أن الغرب يبنى علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه؛ فسياسة أمريكا مثلا معنا تُخَطِّط على هذا الأَساس، يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة المسيحية). لقد كان الصراع مُحْتَدِمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي[11].

ومن هنا لنا أن نسأل سؤالا؛ ماذا عسانا أن نسمي احتلال فلسطين من قبل إسرائيل، والعراق من قبل أمريكا، وقس على ذلك كثير من أنواع الاحتلال في العصر الحديث بصور شتى. "ليس من المستغرب أن

يكون لكل من أمريكا وإسرائيل مفاهيم مختلفة عن بقية العالم للإرهاب وحق الدفاع عن الأوطان ولا يعود هذا إلى عدم استيعابهما وتفهمهما لهذا الحق وإنما وببساطة شديدة فإن إسرائيل احتلت دولة عربية مسلمة وكانت أمريكا أول دولة تعترف بها وتساندها بكل إمكاناتها وما زالت تمد لها كل أنواع المساعدات انطلاقا من دوافع سياسية ودينية، وأمريكا أصبحت اليوم تحتل العراق، وبالتالي فهي لا تريد أن تعترف بحق العراقيين في الدفاع عن بلادهم، ولهذا كله عدّت أمريكا وإسرائيل المقاومة العراقية والفلسطينية إرهابا مرفوضاً، كما جعلتا أن ما يقومان به من إبادة جماعية وهدم وتدمير لكل البنى التحتية عملاً مشروعاً لا يجب إنكاره، ومن أجل ذلك حاولت كل من إسرائيل وأمريكا تشويه صورة المسلمين والإسلام وربطهم بالإرهاب، والتأكيد على أن كل حركات المقاومة تعتبر حركات إرهابية يجب محاربتها بكل الوسائل. كما شوهتْ هاتان الدولتان صورة الجهاد المشروع في الإسلام وجعلتاه عملاً عدوانياً ينبغي أن يختفي من المفهوم الإسلامي وإلى الأبد"[12].

إن المرء ليحار كيف تتم المساواة بين من يمارس حقه المشروع في الدفاع عن دينه وأرضه لاستخلاص الحق المشروع الذي قررته جميع الشرائع السماوية والقوانين البشرية، وبين من استغل نفوذه وقوته وبطشه، فقام بكل غطرسة باستعمار الأوطان واغتصاب الحرمات وتدنيس المقدسات ونهب الثروات، غير مبالٍ بالقوانين الدولية والمبادئ الإنسانية للعدالة والحريات، وتزداد الحيرة عندما يوصف ويتهم صاحب الحق بالإرهابي، ويوصف المعتدي بحامي الحقوق والحريات، وأن ما يقومون به عبارة عن أعمال لصالح الإنسانية، بل ويمنح لهم كل الحق في ممارستها، ويلام عندها كل من أشار إليهم أو انتقدهم عليها.

لا شك أن هذه مفارقات لا يمكن أن تتقبلها إلا أمة ضعيفة، وإن تقبّلها هذا الجيل؛ مهانة وخوفا، فلن تقبلها الأجيال القادمة مهما كان؛ لأن الذل له نهابة ولن يدوم، والأيام دول.

إن مبدأ القوة الذي يتمتع به المستعمرون هو الذي جعلهم يفرضون آراءهم على الضعفاء، وما أصاب الأمة الإسلامية من الضعف والوهن إلا عندما تركت الاعتصام بكتاب الله عز وجل، وإلى هذا يشير النبي ﷺ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سَلَّطَ اللَّهُ عليكم ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حتى ترجعوا إلى دينكم"[13]. قال العظيم أبادي: " أَيْ: سلّط الله عليكم صغارا ومسكنة، ومن أنواع الذلِّ هو الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملّاك الأرض، وسبب هذا الذل هو أنهم تركوا الجهاد في سبيل الله؛ الذي فيه عز الإسلام، وإظهاره على كل دين، فعاملهم الله بنقيضه؛ وهو إنزال الذلة بهم، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر، بعد أن كانوا يركبون على ظهر الخيل؛ والتي هي أعز مكان"[14].

ولتأكيد سنة صراع الحضارات نجد أن المنطلقات الدينية لليهود هي التي تجعلهم يمارسون جميع صنوف الإرهاب ضد أهل فلسطين، هي ذات المنطلقات التي تجعل من القيادة الأمريكية تؤيد كل الوسائل المتبعة من إسرائيل، وهي نفس المنطلقات التي تجعل من النصارى يصرحون بالوقوف مع إسرائيل في تناسٍ تام لكل التصرفات الوحشية، بل ويحاولون القضاء على كل مقاومة تقف بوجه الحرب العدائية الإسرائيلية.

والدارس لتاريخ الأمم والملل يرى أن الصراع القائم بين الحضارات ليس بجديد على البشرية، وأن الممارسات القائمة على الإسلام من اليهود والنصارى واضحة العداء، ولهذا نرى أنهم كثيرا ما يوجهون الملام على الإسلام في كل محفل لهم، ويرون " أن الإسلام يشكل صورة من صور الإرهاب، كما أنه يهدد الحضارات، وقد أعلن بعض المثقفين في الغرب بصراحة تامة أن الإسلام هو دين حرب وإرهاب، وأنه لا أمان لهذا العالم إلاّ بإزالته من العالم. وقالوا أيضا: إذا كانت قوة الإسلام متمثلة في دولة من الدول فيجب إزالتها – وهذا ما حدث فعلا لطالبان والعراق–، ولعل المقصود يأتي كذلك على كل دولة من الدول الإسلامية ذات القوة العسكرية والتصنيع العسكري، وإذا كانت هذه القوة متمثلة في جماعات أو مبادئ فيجب محاربتها، ولعل المقصود هنا كذلك الجماعات والأحزاب الإسلامية. وعلى هذا الأساس المنحرف قال فوكو يوما نظريته الداعية إلى جعل الإسلام العدو الحقيقي للغرب لأنه – كما يقول –: "العدو الحقيقي للمنظومة الفكرية التي قام عليها الفكر الغربي"[15].

إن المسيحيين الصهاينة في أمريكا تلقفوا الأقاويل الداعية إلى العداوة مع الإسلام، بالإضافة إلى إيمانهم السابق بهذه العداوة والتي من مستلزماتها لديهم؛ الاعتقاد بالنهاية الكارثية للكون، وأن الصورة النهائية للعالم ستكون في الشرق الأوسط، عندما يعود المسيح عليه السلام إلى الأرض؛ والذي به ستقام – كما يزعون–دولة المسيحيين الموسومة بالعدل، والتي ستظل (1000) عام قبل النهاية العالم الأخيرة.

وكل هذا التصور لن يتم – كما يقولون – إلاّ بعد قيام دولة إسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا كان هذا الاعتقاد وراء كل المواقف غير المشروعة التي يقفها الأمريكان مع اليهود، وهذا الاعتقاد أيضا كان وراء الادعاء بالحرب على الإرهاب كما كان وراء غزو العراق واحتلاله.

ولقد عبر عن هذه المعتقدات عدد من المفكرين منهم (كولن شابمان) بقوله: (من الصعب التفكير بوجود حالة أخرى في العالم حيث السياسة ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين، وحيث للنصوص الدينية هذا التأثير العميق على العمل السياسي). كما يوضح هذا الارتباط القس (والتر ريغانز) وهو أحد المقربين من الرئيس (بوش)، بقوله: (إن من واجب كل المسيحيين في العالم دعم سياسة إسرائيل مهما كانت. وعلل هذا القول

بأنه يعبر عن الاستجابة لإرادة الله، هذه الاستجابة التي تعبر –حسب زعمه–بأنها رحمة من الله لهذا العالم)"[16].

ولا شك أن المواقف الأمريكية حيال القضية الفلسطينية، بل والعربية تؤكد أن عدداً من صانعي القرار في أمريكا ينتمون إلى الحركة الصهيونية، وقد استلهموا مواقفهم المعادية للإسلام والمسلمين من الأدبيات الفكرية التي قامت عليها هذه الحركة، والتي من أهمها المواقف المؤيدة لإسرائيل؛ بدون تحفظ ومهما كانت مخالفة لقوانين الأمم المتحدة، ويؤيد هذه البروتوكول تجاه الإسلام هو غزو العراق والذي يهيمن على اعتقاداتهم أنه مصدر الخطر على إسرائيل، وبالتالي كان لا بد من إضعافه ثم احتلاله والقضاء عليه ونهب ثرواته.

لقد بات من مؤكدا أن الحركة الصهيونية، والمتمثلة في اليهود والنصارى، على اتفاق تام حول مشروع (إعادة بناء هيكل سليمان)، والذي محال أن يقام إلا على أنقاض المسجد الأقصى. وهذا هو التوجه الذي يعبر عنه بالفعل الحاخام اليهودي (شلومو شايم رفينر) بقوله: "علينا ألا ننسى أن الهدف الأسمى من تجمع اليهود من المنافي، ومن إقامة دولتنا إسرائيل؛ هو بناء الهيكل. إن الهيكل يقع في رأس الهرم"[17].

ويتضح مما سبق أن لكل مُحتَلِ الحق في الدفاع عن وطنه؛ حتى وإن كانت بالمقاومة المسلحة، وهذا الأمر منصوص عليه شرعا وقانونا، ولا يعاقب القانون الدولي هذا اللون من القتال ما دام هدفا ساميا للدفاع عن الأوطان؛ ضد أي محتل أجنبي، مهما كانت الأسباب التي يبرر بها هذا الاحتلال، فلكل شعب من شعوب العالم الحق المطلق في تقرير مصيره، وليس من شأن أحد فرض أي تدخل مهما كان.

كما نخلص كذلك إلى أن ادعاء من يدعي أن من يدافع عن أراضه المحتلة من منظمات أو غيرها مجرد إرهابي؛ بأن هذا القول مرفوض جملة وتفصيلا، وهذا هو الادعاء الملموس من أمريكا وإسرائيل ومن سار على طريقتهما، كما ينبغي الوقوف عند هذا الاتهام الأهوج، لأن تقرير مصير الشعوب يخص الدول المتضررة وحدها، وهو متعلق بمصالحها، ولا شأن لغيرها به، وهذا هو القانون المقرر في دهاليز الأمم المتحدة، وجميع المنظمات الحقوقية والدولية، كما أن الجميع يرفضون في قراراتهم وصم أي مقاومة مشروعة بالإرهاب، كما يرفضون هذا التصنيف ويركدون على أحقية الدولة المحتلة أن تقاوم بكل ما تملك من وسائل.

أما ما يسمى اليوم بـ(العولمة) وهو أمر جديد لا يمكن إنكاره، إنما يرد إلى سيادة الشركات العابرة للقارات التي ستفضي في النهاية إلى تحطيم قدرات الدول القومية، ومنها أمريكا نفسها، وإلى تعظيم النزاعات الداخلية في نطاق الدولة الواحدة داخل الدولة الواحدة لإضعاف مقاومتها لسيادة السوق العالمي. فهذه

الشركات تخترق وحدة الدولة وتقوم بتحطيم قدراتها على مواجهة الغزو الجديد الناتج عن قوانين السوق، وتضخيم الصراعات والنزاعات الدينية؛ ليتسنى لهم تفكيك الدولة. وهي كما عرفة الدكتور العشي بقوله: " العولمة وخطاب ما بعد الحداثة؛ المعروف عن هذا الخطاب أنه يسعى إلى هدم كل نظام وإعادة صياغة جهاز المفاهيم بحيث يصبح التفكيك هو السمة البارزة، تفكيك العقل لكيلا يصبح وحده المسؤول عن التفكير، وتفكيك القيم لكيلا تكون بمثابة حاجز يعيق تحقيق المصالح الشخصية والغرائز البشرية، وتفكيك النظام حتى يمكن تمرير الأفكار الهجينة والشاذة، وتفكيك الأمم والمجتمعات والدول حتى تعيد تشكيلها وبناءها وصياغة قيمها من جديد. خطاب فقد ثقته في الحداثة بوصفها خطابا مهادنا في نظرها، وهي تحاول التجاوز والتمرد والثورة. فالعولمة قياسا على ما بعد الحداثة هي ما بعد الرأسمالية أو الرأسمالية القصوى، هي ما بعد السياسة، هي ما بعد الثقافة، هي ما بعد الدولة والأمة، هي ما بعد الدين واللغة والهوية، هي إذن مشروع لإعادة صياغة العالم بعيدا عن المكونات السابقة، هي مشروع مفتوح محفوف بالمخاطر، هي أخيرا مغامرة"[18].

ومن الأعراض والنتائج لسيادة العولمة وتفكك الدول هو ارتفاع أصوات النزاعات الطائفية الثقافية. وهكذا يؤدي ذلك إلى البحث عن حضن دافئ في برد العراء ويتورط الكثير في التفتيش عن مرجعية تكون الأصل والملاذ لهم، وعندها يبدأ التعصب لها والعنف مع غيرها بمثابة للقناعة التامة بإيحاءات المرجعية.

وكل ذلك كما ذكرنا في مسألة نشؤ الفرق يكون عبارة عن رد الفعل المؤدي إلى القيام بذلك الفعل الذي نتج عنه صراعا حضاريا (فكريا أو ثقافيا) تسببت في إضرام ناره الأصولية بمختلف أطيافها وعقائدها، ف " الأصولية بكل أنواعها وشعارتها؛ نزعة ثقافوية، بمعنى أنها تثبت مجمل تاريخ الانسان وسلوكه عند عامل متغير من عوامل أو متغيرات الثقافة، بحيث يغدو فطرة أو غريزة لا تتحول، وبالتالي يميز أمة عن أمة، لأن البشر يصنفون في أغلب الأحيان طبقا للعقيدة الدينية التي لا تتصل بموضوعات الطبيعة، بل بنظم القافة وعناصرها ويتفق الأصوليون بأن محور التصنيف هو الدين"[19].

يقول كيسنجر: " النظام العالمي الجديد في القرن الواحد والعشرين سيضم على الأقل ست قوى رئيسية (الولايات المتحدة، أوروبا، الصين، اليابان، روسيا، وربما الهند) بالإضافة إلى عدد كبير من الدول متوسطة أو صغيرة الحجم. والقوى الرئيسية الست عند كيسنجر تنتمي إل خمس حضارات متباينة، بالإضافة إلى دول إسلامية مهمة تجعلها مواقعها الاستراتيجية وتعدادها أو مواردها البترولية مؤثرة في الشئون العالمية، في هذا العالم الجديد تكون السياسة المحلية هي السياسة العرقية، والسياسية الكونية هي سياسة الحضارات، ومحل المنافسة بين القوى الكبرى يحل محل صدام الحضارات"[20].

ويفهم من ذلك أن الصراعات الجديدة الملحة لن تكون بين الغني والفقير، أو بين الطبقات الاجتماعية أو الاقتصادية، وإنما ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات دينية تحمل ثقافات مختلفة. يقول فاكلاف هافيل:" الصراعات الثقافية تتزايد، وهي أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ، ويتفق جاك ديلوز في أن: الصراعات المستقبلية سوف تشعلها عوامل ثقافية أكثر منها اقتصادية أو أيديولوجية"[21].

والناظر إلى حال الصراعات الدينية في عالم فيما بعد الحروب الباردة يرى أن الثقافة قوة مفرقة وبنفس الوقت مجمعة، فهناك شعوب تجمعهما الثقافة الدينية، كما أن هناك شعوبا تجمع بينهما الأيدولوجيات والوقائع التاريخية، ولكن بينهما تقسيم بسبب الحضارات، وهناك من الشعوب من تجمعهما القرابة العرقية، ولذا نجد أن الدول التي تجمعها العناصر الدينية الثقافية أكثر نجاحا من الدول التي يربطهما العرق والتاريخ، لأن الانتماء الديني يفوق كل الانتماءات وهو المتغلب في النهاية.

لذا نجد أن من يسعى للسيطرة الاقتصادية أو السياسية لا بد أن تعتريه نزعة ثقافية دينية تكون هي المحرك والدافع المساعد للوصول لغايته. وبنظر بعض المفكرين الغربيين" فإن الثقافة الإسلامية تفسر إلى حد كبير فشل قيام الديمقراطية، في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، كما أن المجتمعات ذات التراث المسيحي تتقدم نحو النمو الاقتصادي والسياسة الديمقراطية. كما يرون أن الغرب هو أقوى الحضارات وسيظل كذلك لسنوات عدة، إلا أن قوته تتهور عند مواجهة الحضارات، وتأتي قوته تلك لأن الثورة العلمية أصبحت تهيمن عليها وتوجهها مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية، وهي نفسها التي توجه الحضارة المعاصرة لتهيمن على الكوكب الأرضي كله، وليس ثمة من خطأ في الثورة العلمية المشار إليها، ولا أظن أن فينا من سيقف موقفا سلبيا أمام الفتوحات العلمية، ولكن الخطر يأتي من المؤسسات المحتكرة للعلم والموجهة له، لقد ثبت واقعيا أن هذه المؤسسات هي مؤسسات مؤدلجة، بمعنى أنها لا تتمتع بحياد العلم وموضوعيته، بل هي مؤسسات تحمل أفكارا رهيبة، مشروعات فكرية وسياسية أقل ما يمكن أن توصف به أنها مشروعات استعلائية متكبرة، تعتقد أن العالم على ضلال إلا من اتبعها، وأنه لا يقوى على فعل شيء ما يعتمد عليها، وترى أن هذا العالم لم يعد يتسع للجميع، فهو فقط لمحتكري الثورة العلمية، وعلى الآخرين الالتزام والتبعية والتقليد[22].

فلا العجب عندما يحاول الغرب أن يبرهن قوته للحضارات الأخرى، لأننا نجد أن تلك المجتمعات تواجه خيارين: إما الانحياز إلى الغرب واللحاق به وهو ما حصل بالفعل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والبعض يحاول أن يؤكد وجودة ويحافظ على مصالحه ويعزز من قوته العسكرية والاقتصادية، سعيا للتوازن مع الغرب كما يحصل مع تركيا. والحاصل أن تلك الحضارات والعوامل المحرضة للخصومات

والتقارب بينها هو العامل الثقافي الديني أو الفكري، وهذه الصراعات هي الأكثر توسعا وامتدادا لقيامها على ذلك العنصر. ولهذا نرى أن الأجندة الرئيسية هي التي تتضمن اختلاف الحضارات.

وهذا كله يؤكد أن الدين هو العامل المهم في تعريف الحضارات، والحضارة هي تاريخ الإنسانية؛ التي كانت متطابقة في معاني الديانات لحد كبير، وما ذاك إلا لأن جميع الرسل والأنبياء كانت تجمعهم في الخالق عقيدة واحدة، ولكن عندما دخل الشرك للبشرية تعددت الديانات في كيفية عبادة الخالق، ولذا نجد الناس يتوحدون في دين ما ويختلفون في العرق واللغة، ولأجل الدين تقوم الصراعات ويقتل الناس بعضهم بعضا، وليس لأجل اللغة واللون، وقد نجد أناس ينتمون للحضارة ويختلفون في الجنس واللغة، لكن القيمة الأساسية للاختلاف تكمن وراء الاختلاف الحضاري دينيا وفكريا.

وهذا هو الذي شكل أهم الصراعات بين الأديان الكبرى على مر العصور. يقول هنتنجتون: " وهكذا فإن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر، وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى، ...، والحضارات ليس لها حدود حاسمة التحديد ولا بدايات أو نهايات دقيقة. الناس بإمكانهم إعادة تعريف هوياتهم ويفعلون ذلك حقيقة، وكنتيجة لذلك فإن تكوين وشكل الحضارات يتغير مع الزمن"[23]. ويرى (توينبي) أن الحضارات تقوم على تحديات ثم تمر بمرحلة نمو تتضمن سيطرة متزايدة على بيئتها بفضل أقلية خلاقة، يتبعها مرحلة صعوبات ثم قيام دولة شاملة، ثم بعد ذلك كون التفسخ"[24].

الحقيقة التي لا تغيب على عاقل؛ هو أن المراد من هذه الأوصاف هو الإسلام؛ لذات الإسلام، فمنذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر التي استهدفت أمريكا، أعلن (جورج دبليو) بوش الحرب على الإسلام صراحة، وقام بحملة إعلامية تبنت إلصاق الإرهاب بالمسلمين، وإثارة العالم كله حكومات وشعوباً ضد الإرهاب الذي بالطبع يكمن تحت المسلمين، ورُفع شعار (من ليس معنا فهو ضدنا)، فأسرعت كل الدول تقدم الدعم والمساعدة بالمال والسلاح والمعلومات، للقضاء على طالبان وتنظيم القاعدة[25].

وبعد أن تم القضاء على أفغانستان وليس طالبان، ازدادت شهية بوش في القضاء على المسلمين بذريعة وأخرى، فيمم وجهه تجاه العراق، بحجة امتلاك أسلحة دمار شامل، والذى قد أنهكه الحصار لمدة ثلاثة عشر عاماً، رغم أن صدام حسين كان قد سمح بدخول مفتشون من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، رغم علم الجميع أنهم من الاستخبارات الأمريكية، ولأن المستهدف هو الإسلام لم تغني تقارير الوكالة الدولية بعدم امتلاك العراق للأسلحة الكيميائية، فأصر بوش على ضرب العراق وتدمير جيشه الأقوى في المنطقة؛ والذي كان حجر عثرة في طريق التمدد الصفوي؛ وكان لهم ما أردوا[26].

وبعد سقوط نظام صدام حسين في عام 2003 واجتياح القوات الأمريكية لبغداد فهنا كانت بداية ظهور الأمور على حقيقتها فيما يخص العلاقات الأمريكية الإيرانية فظهر لنا أنهم أعداء من ورق حلفاء على الأرض، فكانت القوات الأمريكية الغازية للعراق أشبه بحصان طروادة الذي يحمل بداخله القوات الإيرانية لتبسط سيطرتها على العراق إلى يومنا هذا، فكيف لأمريكا التي حملت قواتها من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق لتخوض حربها على العراق أن تسلم العراق لعدوها الأول في المنطقة ألا وهو إيران فأصبح الإيرانيون هم المسيطرون على مؤسسات الدولة العراقية بجميع أركانها وها هم اليوم ينشئون لأنفسهم مليشيات إيرانية مسلحة عل الأرض العراقية بقيادة قاسم سليمان وأيضا كان لحزب الله نصيب من هذه الفوضى على الأرض العراقية فشكل لنفسه فرعا هناك وها هي المليشيات الإيرانية تقاتل على الأرض العراقية بحجة محاربة داعش وتحت غطاء جوي من قبل التحالف الدولي بقيادة أمريكا وأكثر من ذلك فساحة الحرب البرية في العراق اتسعت للقوات الأمريكية البرية وقوات الحرس الثوري الإيراني![27].

والبديل بلا شك أدهى وأمرّ، فقد استطاعوا تغيير أيديولوجية العالم الإسلامي من الحرص على الجهاد في سبيل الله، إلى الجهاد من أجل الديموقراطية، فقاموا بضخ مليارات الدولارات للمنظمات التي تسمى (المجتمع المدني)، بهدف التركيز على تنحية الشريعة الإسلامية بكل ما أتوا من الوسائل، وتكوين راي مناهض من عموم الشعوب للحكم الإسلامي؛ بحجة عدم القدرة على مواكبة التيار الحضاري، مع الانتقاء المتميز لبعض العناصر الشبابية اختياراً ممنجهاً، وتدريبهم تدريباً جيداً على التطبع بالفكر الغربي، وتحفيز الأخرين لذلك الفكر، وتشويه أهل الدين بصور مختلفة.

المطلب الثاني: المشهد الغربي على المسرح الإسلامي:

أن صلاح الأرض وفسادها قائم على مقدار التدافع بين الحق والباطل، فهذا ناموس من النواميس الإلهية، وقانون من القوانين الربانية، كي يسود الخير، وتطمئن البشرية، وينعم الأنام، وكلما فرط أهل الحق بالأخذ بهذا القانون الرباني، وتناسوا هذا الناموس فإن حقهم يعتبر في عداد المفقودين. ولهذا لابد أن نعلم أن مبدأ القوة قرره الله عز وجل في كتابه:﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مريم: 12]، ولكن لا يقوم هذا المبدأ، ولا يَعمل بهذا القانون إلا بشروط شرعية؛ وهما مصدرا التشريع، والتي يراد منها ربط القوة بالحق، وضبط التدافع بالعدل، فإن تحقق ذلك عم الخير، وتحقق الأمن للبشرية. أما أن تُسلط تلك القوة على البشرية، فتقلب الموازيين، ويلازم الباطل للقوة، ويلازم الظلم للتدافع، فإن الحياة ستتبدل بؤساً؛ لما سيصيب البشرية من هدر لكرامات، وسفك للدماء، وتدنيس للمقدسات.

وعندما الكلام على السيناريو الأمريكي المعدّ للمسرح الإسلامي، فإن المُشاهد سوف يحتار بأي منها سوف يبدأ، هل بالسيناريو، الفلسطيني، والتلاعب الدولي بهذه القضية. أم نتحدث عن المشهد الليبي وقضية الطائرة: (بان أمريكان)؛ والمعروفة بقضية (لوكيربي)، والتي تسببت في فرض حصار على ليبيا دام لسنوات عدة. أما قضية جنوب السودان التي لا زالوا يضغطون بها على الحكومة السودانية حتى تم تقسيم السودان إلى شطرين. أم بالسناريو الأفغاني؛ ومسرحية التخلص من الهيمنة السوفيتية تحت ذريعة الجهاد والذي جعل من أفغانستان مسرحا للقتل. ولازالت تعاني منه إلى اليوم. في مقال لأحد اليهود؛ عنوانه: (What We Have Done) ما الذي قمنا به؟ يقول: "نحن أيقظنا العملاق: الأمريكان بالذات والغربيون أحبوا أن تشتعل الحرب بين روسيا وبين الشعب الأفغاني"[28].

مع بداية التسعينيات بدأت المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام تدخل حيّز التنفيذ، عندما أعلن الرئيس الأمريكي (بوش الأب) حينها عن ولادة نظام عالمي جديد، على إثر تفكّك الاتحاد السوفيتي، وانهيار المعسكر الاشتراكي، وعندها تفرّدت الإمبريالية الأمريكية بقيادة العالم لتبدأ المؤامرة الكبرى ضدّ الأمّة الإسلامية، بدعم ومساندة من الصهيونية العالمية، ولوبي القوى الغربية الصليبية، بعدها تمّ تحويل الشارة الحمراء، (الناتو)، بالشارة الخضراء، إشارة إلى للقضاء على الإسلام، بعد أن تمّ القضاء على الشيوعية[29].

لا شك أن أمريكا وجميع الدول الغربية لو اجتمعوا كتلة واحدة للقضاء على الإسلام فإن ذلك محال، لأنهم ليس لديهم الجرأة على مواجهة الإسلام، ولكن طريقتهم هو أن يستمروا في تجزئة الإسلام من الداخل

ليسهل لهم للقضاء عليه، فهذا يمكّن من إضعاف الإسلام؛ ومع ذلك أيضاً لن يستطيعوا إلا بمعاونة من ضعاف النفوس وعديمي الضمير، وقبل ذلك عديمي الإيمان، وما سيناريو القضاء على العراق بمعزل عنا.

أمريكا تعلم يقينا أن العراق تعد قوة إسلامية ضاربة، وتعلم أنها تهدد البنت المذللة لهم: (إسرائيل)، ولهذا لم يريدوا بقاء هذه القوة ولو كلف القضاء عليهم ثروات طائلة، لهذا بدأوا بمشهد الغزو العراقي على الكويت، والذي استطاعوا من خلاله فرض حصار على الشعب العراقي حتى وصل الوهن به مبلغه، ومن ثم انتقلوا إلى المشهد الآخر الذي استطاعوا من خلاله قتل (صدام حسين)، والذي بموته تفتت تلك الإمبراطورية، وتكاد أن تنتهي. وهكذا يسهل عليهم حل المعادلة التي أسسوا فرضياتها، والتي تبلورت:

أولا: غزو العراق:

كيف يتم تفتيت العراق؟ لابد من حليف –عميل–داخلي؛ ومن هو العميل الأنسب؟ لا شك أنه (إيران)؛ لافتقار أمريكا لأي مساعدة داخل العراق والتي بالطبع تمتلكها إيران، للحنق الكامن في نفوس الشيعة تجاه صدام. وكيف يتم تقسيم الاقطار العربية؟ لابد من تفتيت العراق[30].

ثانيا: أمن إسرائيل:

كيف تتم المحافظة على الوجود الاسرائيلي والمصالح الامريكية؟ لابد من التخلص من الخطر الحقيقي؛ وهو الإسلام الحقيقي. ووفق هذه المعادلة التي يؤكدها الواقع العملي وليس النظري، فقد تجلى للعيان ان العلاقة (الامريكية – الإسرائيلية) مع إيران بدت علاقات تحالف لالتقاء المصالح ضد الامة الإسلامية. لذا نرى من مصلحة أمريكا وإسرائيل؛ الاحتفاظ بقدرة إيران على التأثير داخل العراق وفي الأقطار العربية؛ لمواصلة الدور التدميري والتقسيمي للعراق والعالم الإسلامي. إذا: هناك اتفاقية غير معلن عنها حُطت بنودها في ظلام دامس؛ أسال الله اللطف بالإسلام والمسلمين[31].

والسؤال التي يطرح نفسه: ما هو دور إيران المستقبلي في الأقاليم الإسلامية؟ وما هي حجم المكافئة التي ستعطى لها نتيجة تلك الخدمات؟

إن المسلسل الحي، الذي يعرض عبر القنوات الفضائية، ولم تنتهي قصته بعد في التحالف الصفوي الأمريكي، الذي تسعى أمريكا بإكمال آخر مشهد منه، هو اكتساح الهيمنة الإيرانية على المنطقة العربية، والإسلامية برمتها. ورغم أن التظاهر بالعداء والحصار على إيران؛ لم يعد ينطلي على المشاهدين، فقد باتت فصول السيناريو واضحة للأعمى، فكيف بالبصير؟!

يقول الدكتور تريتا بارزي، وهو أمريكي من أصل إيراني: " تبقى العلاقة الإسرائيلية الإيرانية لغزا غامضا في نظر أغلب المحللين بالرغم مما للتوترات بين هذين البلدين من أثر عميق في الشرق الأوسط وفي الأمن القومي الأمريكيين، وبالرغم من أن الثورة في إيران كانت بمثابة نكسة لإسرائيل، فهي لم تمنع إسرائيل من دعم إيران والسعي إلى تحسين علاقتها مع حكومة آية الله الخميني كثقل مكافئ لأعداء إسرائيل من العرب. ومن دواعي السخرية أنه عندما دعا القادة الإيرانيون إلى تدمير إسرائيل في ثمانينيات القرن الماضي، كانت إسرائيل واللوبي المؤيد لها في واشنطن يحاولان التأثير في الولايات المتحدة وحملها على عدم الالتفات إلى الخطاب الإيراني. وبعد أن أصبح حماس الثورة في إيران أضعف مما كانت عليه في الثمانينيات انتهجت إيران سياسة مزدوجة طوال هذه الفترة فجعلت من نفسها أكثر الداعمين الإقليميين مجاهرة بتأييد القضية الفلسطينية، لكن نادرا ما اقتران هذا الكلام بالأفعال، على اعتبار أن المصلحة الاستراتيجية لطهران؛ خفض التوترات مع إسرائيل، واستخدام الدولة اليهودية في إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة إذا ما تعارضت مع المستلزمات الإيدلوجية لإيران"[32].

لأن أمريكا تعلم أن الإسلام بمعناه الحقيقي يقف أمام القوى الغربية من السيطرة على ثروات المسلمين، ويعارض استضعافهم وإذلالهم. كما أنه هو الحق الذي يدعو إلى الرجوع إلى شرع الله في شئون الدولة – الداخلية والخارجية–وأن الدولة الإسلامية الحقيقية دائما ما تسعى إلى إعزاز دين الله ونشره في الآفاق، وتقوم على أوليات من أهمها: (إخراج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد)، وأيضا ستحارب كل ما يدعو إلى الشرك والإلحاد والفساد بجميع ألوانه؛ وتحرص على نشر العقيدة الصحيحة، وتسعى إلى إعزاز المسلمين، واستثمار ثرواتهم، وإصلاح أحوالهم، والاستفادة من القدرات والكفاءات، وتحفيز المبدعين، فلو حصلت هذه الأمور فلن تكون هناك قوة للغرب، بل سيصبح عالة على المسلمين. لذا لا يمكن لأمريكا أن ترضى بهذا أبداً، بل ستسعى جاهدة في التصدي لأي تيار يحمل الإسلام حقيقة؛ (سلوكا ومنهجاً)، ولهذا السبب، ولضمان استمرار هيمنتها على العالم، رأت أن تكوّن تحالفا مع تيار لا يحمل من الإسلام سوى الاسم؛ فلم تجد مثل: (الرافضة)، ومع دولة لا تنتسب للإسلام حقيقة؛ فلم يجدوا أصلح من: (إيران)، فعمدت إلى الدعم المبطّن لإيران، وكان أول دعم للتمكين الرافضي هو صعود (الخميني)، ثم قتل (صدام حسين) الذي كان يقف عثرة في تنفيذ المشروع الصفوي في المنطقة، وبعد أن تم لهم ذلك عمدوا إلى دعم أي كيان شيعي في المنطقة، فلم يزالوا في دعم (بشار الأسد) في سوريا، وحزب الله اللبناني، والتمرد الشيعي (الحوثي) في اليمن، والتمرد الشيعي البحريني، مع السعي الحثيث لدعم التمرد الشيعي في السعودية، وكل ذلك كان يتم من خلف الكواليس، لكنه اليوم أصبح ظاهراً.

وإلى ذلك يشير لورنس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي"، ويقول أيضا: "كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي، ولكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعية حلفاؤنا، وأما اليابانيون فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا؛ موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع، والإخضاع، وفي حيويته المدهشة"[33].

سيناريو (الموت لأمريكا).

شعار: (الموت لأمريكا)، من أبرز الشعارات التي أطلقها (الخميني) عقب استيلائه على السلطة، عام (1979)، ثم تحول إلى ركنٍ أساسٍ في أدبيات حكم الملالي هناك، الذي دأبوا على رفعه في كل مناسبة دينية، ورغم ذلك، كان عدد الإيرانيين يتزايد من للحصول على الإقامة في أمريكا عبر قرعة اليانصيب. ثم تمدد الشعار إلى بيروت، وإلى بغداد، والى صنعاء في اليمن، بل وإلى بعض دول أفريقيا، وشرق آسيا[34].

لا شك أن ذلكم شعارٌ جميلٌ، لا غبار عليه، لكن الخلاف ليس على عبارات الشعار ومعناه، إنما الخلاف حول حقيقته، والعمل به على أرض الواقع، حيث يُرى الشعار في الواقع على أنه من سياسات الولاء والبراء، ولكن في حقيقته يحمل أسلوباً من أساليب الخداع والمكر الرافضي، وقت تواطأت عليه جميع فرق الشيعة على اختلاف مناهجهم؛ سواءً النصيرية، أو الاثني عشرية، أو الجارودية.

ولأن عقيدة الشيعة قامت على مصادمة الشرع والفطرة، ومصادرةٍ للعقل والتفكير، وعلمت أنه ليس معها من الحق ما يجذب العقول الناضجة إليها، حينها لجأت لهذه الشعارات البراقة، ورأت أنها النفق الذي يمكنهم التسلل منه إلى البسطاء، وتأجيج العواطف الدينية؛ لعلها أن تزيل الحواجز النفسية عن الفكر الشيعي في عالمنا الإسلامي، والاستحواذ عليهم. "ورغم أن تلك الشعارات الخادعة كانت ولا زالت تأخذ حجمها الهائل من الضجيج، وتصطاد الكثير من البسطاء إلا أن الأكثر –من أمتنا– بات يدرك خواء تلك الشعارات من أي مصداقية، ويتكشف له –من خلال الواقع– أنها لا تملك أي قدر من الحقيقة على الأرض، فلا عداوة لليهود والنصارى، بل –على عكس ذلك– شهدت؛ وتشهد سجلات التاريخ الغابر والحاضر، بأن فرق الشيعة هي الأقرب دائماً إلى أعداء الأمة، وهم المطية التي يستخدمها الخصم للنيل من الأمة، فقد سجلت فرق الشيعة –عبر التاريخ– مواقف مخزية من التواطؤ مع النصارى والتتار على الإسلام، فعندما كان الصراع على أشده بين المسلمين وأعدائهم من التتار والصليبيين، كانت فرق الشيعة تباشر ألون التآمر المكشوف على الأمة الإسلامية، بل كانت تشكل الجبهة الخلفية للمتربصين بالأمة، وعقيدتها، ورموزها"[35].

وعندما رأى ابن تيمية ما وقع على أيد الرافضة قال: " الرافضة من أعظم الأسباب في دخول الكفار إلى بلاد الإسلام، وأما قصة الوزير ابن العلقمي وغيره كالنصير الطوسي مع الكفار ومعالأتهم على المسلمين، فقد عرفها الخاصة والعامة، وكذلك من كان منهم بالشام؛ ظاهروا المشركين على المسلمين، وعاونوهم معاونة عرفها الناس، ولما انكسر عسكر المسلمين؛ وقدم غازان، ظاهروا النصارى وغيرهم من أعداء المسلمين، وباعوهم أولاد المسلمين بيع العبيد وأموالهم، وحاربوا المسلمين محاربة ظاهرة، وحمل بعضهم راية الصليب، وقد كانوا هم أعظم سبب استطاع من خلاله النصارى قديماً أن يستولوا على بيت المقدس، حتى قيض الله لمسرى نبيه من استنقذه منهم. إلى أن يقول رحمه الله: فهذه الأمور وأمثالها مما هي ظاهرة مشهورة يعرفها الخاصة والعامة، توجب ظهور مباينتهم للمسلمين، ومفارقتهم للدين، ودخولهم في زمرة الكفار والمنافقين، حتى يعدّهم من رأى أحوالهم جنساً آخر غير جنس المسلمين، فإن المسلمين الذين يقيمون دين الإسلام في الشرق والغرب، قديما وحديثا، هم الجمهور، والرافضة ليس لهم همّ إلا هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به"[36].

ولو رجعنا للوراء قليلا لرأينا أن صورة ابن العلقمي تكررت في مجازر حركة أمل؛ مجزرة صبرا وشاتيلا الثانية، وهي مجزرة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في:(20مايو 1985م)، خلال حرب المخيمات التي استمرت لمدة شهر على يد مليشيات حركة أمل واللواء السادس من الجيش اللبناني، حيث تم نسف أحد الملاجئ وكان يوجد به مئات الشيوخ والأطفال والنساء ماتوا جميعاً، وبعد شهر من الخوف والحصار والجوع خرج الفلسطينيون من المخابئ، دفعهم الجوع للخروج فلم يجدوا سوى القطط والكلاب ليأكلوها، خرجوا ليشهدوا أطلال بيوتهم التي تهدم (90. %) منها و (3100) بين قتيل وجريح وخمسة عشر ألف من المهجرين أي (40. %) من سكان المخيمات[37].

إن التمدد المتمثل في الشيعة الاثني عشرية في كل من إيران، والعراق، ولبنان، واليمن، والباطنية النصيرية في سوريا، هو نفس السيناريو المستمر لمشاهد الاستخفاف والاستهتار بعقول السذّج.

والحاصل أن هذه الشعار التي يتردد في الهواء ضد اليهود والنصارى، وحقيقته هو استباحة الأعراض، والمجازر، والجرائم، القائمة على الشعوب المسلمة (السُّنة)! يهتفون بالعداء لليهود والنصارى، ويمارسون أقبح صور العداء على السنة! تنفيذاً للأجندة (الصهيوصليبية)، وكل ذلك يؤكد التساؤلات التالية:

أولا: فيما يتعلق براعية التشيع في العالم (إيران)، فالسؤال الموجه لهم هو: لماذا لم تقم إيران بأي محاولة للتصدي للأمريكان على حدودهم في أفغانستان؟ وما الذي يمنع إيران من استهداف الأسطول الأمريكي المتواجد بالقرب منها؟ ما سر التوافق بين تل أبيب وطهران، لبناء قواعد مشتركة في جزر دهلك

الإريترية؟ فلو كانت إيران صادقة في دعوى العداء لأمريكا فها هي أمريكا على حدودها من جهة أفغانستان فأين أنتم من عدو بات بجواركم؟! واللبيب بالإشارة يفهم.

ثانيا: ما يتعلق بالعراق، فإننا نقول لشيعة العراق: لماذا قام السيستاني مندوب إيران في العراق بإصدار فتوى يحرم قتال الأمريكان في العراق؟ وإن الناظر للمشهد العراقي يرى أن الشيعة لا تتورع من قتل السنة في العراق وممارسة أشد ألوان الأذى لهم، فلماذا حلّت لكم دماء العراقيين وحرمت دماء الأمريكان؟! أليس هذا ضحك على الذقون! ولماذا شعار الموت لأمريكا لم ينفذ واقعيا وقت حضر العدو المزعوم إلى دياركم.

ثالثا: ما يتعلق بشيعة لبنان، والمتمثلة في حزب الله، وهو ثاني مرجع للشيعة بعد إيران. فنقول لهم مالذي يمنع حزب (اللات) من الاصطفاف بجانب المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل؟ بينما يقوم بمساندة بشار الأسد ضد السوريين! وما يقال في حق إيران والعراق، يقال كذلك في حق حزب الله، فإن إسرائيل تعيث في الأرض فسادا منذ عشرات السنين في فلسطين، وأين فلسطين من لبنان، ومع امتلاك حزب الله لترسانه عسكرية قوية، إذ بنا نراها صبت جم عضبها على المقاومة السورية، وتركت العدو التي تدندن ليلا ونهارا بعدائه، وهو بجوارها، ولم تأبه به في حين أنه تتصنع بالعداء له.

رابعا: ما يتعلق بشيعة اليمن، فعند النظر إلى حقيقة تلك الدعوى نقول للحوثيين بعد أن أصبحت صنعاء في أيديكم، أين أنتم من المارينز الأمريكي في صنعاء؟ كما نقول لأمريكا ما هو الحائل دون قصف قيادات الحوثي بالطائرات من دون طيار الأمريكية، بينما نراها تغطي سماء مأرب وشبوة؟

الجواب على جميع تلك التساؤلات هو: أن (شعار الموت لأمريكا –الموت لإسرائيل) واقعاً يثبت أمناً وسلاماً لأمريكا وإسرائيل، وحربا وعداوة لأهل السنة. ومما يوكد ذلك ما تداولته الصحف الإيرانية من صور تتعلق بشروع السلطات الإيرانية بحذف وإزالة شعار (الموت لأمريكا) من حائط السفارة الأمريكية في العاصمة الإيرانية طهران، في حين قام الحرس الثوري باستبداله بشعار (الموت للسعودية)[38].

وجاء في موقع (فردا نيوز) المقرب من الجنرال الإيراني قالي باف: "خلال الأيام القليلة الماضية شهدت العاصمة الإيرانية طهران تطورات وصفت بالمدهشة؛ حيث تمت إزالة شعار الموت لأمريكا من شوارع العاصمة الإيرانية المزدحمة". وقد أصدر الحرس الثوري الإيراني بيانا طالب من خلاله وسائل الإعلام الإيرانية بعدم نشر أي خبر مرتبط بإزالة الشعار من شوارع طهران، دون التنسيق مع المؤسسات التابعة للحرس الثوري. واعتبر الحرس الثوري الإيراني في بيانه أن: نشر تقارير وأخبار تتناول موضوع إزالة شعار الموت لأمريكا من شانها أن تزلزل ثقة الشعب الإيراني بالنظام، ومصداقيته في مواجهة أمريكا والاستكبار العالمي"[39].

وذكرت صحيفة القدس العربي: " أن الحوثيين قدموا اعتذاراً صريحاً للولايات المتحدة عن شعار (الموت لأمريكا وإسرائيل)، الذي ترفعه دائما، حيث نقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية قولها: إن وفد جماعة الحوثي إلى الكويت التقى مساء الاثنين وكيل وزارة الخارجية الأمريكي(توماس شانون)، كما ضم وكيل وزارة الخارجية البريطاني لشؤون الشرق الأوسط (آلن دنكن)، وأكدت المصادر الدبلوماسية: أن وفد الحوثيين قدم اعتذاراً صريحاً للمسؤول الأمريكي عن شعار (الموت لأمريكا)، وكانت أجواء اللقاء بين الوفدين الحوثي والأمريكي في الكويت بالودّية للغاية[40].

وعندما سُئل (يحي الحوثي)؛ المقيم في ألمانيا عن الشعار قال: " مجرد كلام؛ فإخواننا إلى الآن لم يقتلوا أمريكيا ولن يفعلوا!". وهذا ما يؤكد أن الشعار كان عبار عن أغنية، يتردد صداها ما بين طهران وصعدة ولبنان، والكثير من المناطق التي رقصت على إيقاعاتها، مع رفع قبضات اليد[41].

وفي الوقائع، تبين أن شعار الحوثيين شعارات براقة لتخدير الشعوب المسلمة مع أن سلاح الحركة لم يشهر إلا في وجه المسلمين العزل في اليمن، وجارتها السعودية، أما أمريكا وإسرائيل فليس لها إلا الشعارات التي تردد لاستغلال السذج والمغفلين كما كان يفعل الخميني أيام ثورته البائسة؛ لأن التعبئة ضد أمريكا وإسرائيل لها قبول في الأوساط اليمنية؛ التي تتمتع بعاطفة جياشة، ونخوة عربية، وغيرة إسلامية، فكان الشعار بمنزلة الاستجابة لنداء وجداني في النفوس المسلمة[42].

كانت وثائق سرية كشف النقاب عنها من جانب وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي آي أيه) ونشرتها (بي بي سي) القسم الفارسي تزامناً مع الذكرى 27 لوفاة الخميني، هي السبب الرئيس للهجوم الذي شنه المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي ضد بريطانيا والولايات المتحدة. وأظهرت الوثائق الاعلامية أن الخميني كان على تنسيق مع أميركا، حيث كشفت صحيفة (غارديان)، المزيد عما تضمنته المراسلات بين الخميني والإدارة الأميركية إبان تحضيره للعودة إلى إيران، والتي كشفت عنها أخيراً الاستخبارات الأمريكية: (CIA)، حيث توضح أن إدارة الرئيس الأميركي جيمي كارتر؛ مهدت لاستيلاء الخميني على السلطة، عبر منعها الجيش الإيراني من تنفيذ انقلاب عسكري. وتبدي الصحيفة دهشتها من لغة الخميني، وأسلوب مراسلاته الأقرب للاستجداء مع الأميركيين. المتناقض تماماً مع مظاهر العداوة التي دأب على إبرازها في كل مناسبة[43].

وبعد الاتفاق النووي بين إيران وأميركا، بدأت إزالة الشعارات المعادية عن جدران طهران، وحلت محلها صور فنية للرسامين محليين وأجانب، وهذا ما أكده حسن روحاني الرئيس الإيراني في مقابلة مع برنامج "60 دقيقة" الذي تبثه محطة (cbs) الأميركية، إن شعار (الموت لأمريكا) الذي يردده الإيرانيون؛ ما

هو إلا للتذكير بالأزمات المتعددة منذ (35) عاماً بين طهران وواشنطن، وهو ليس إعلان حرب على الشعب الأميركي. بل هو حسب قول نائبة السفير الأمريكي في صنعاء: أنه مجرد شعار، وأن «العداوة مزحة كبيرة».[44] ويوم بدء إزالة شعار الخميني الأبرز، كان السؤال: ما البديل منه؟ ولم يمر وقت طويل حتى نظم الحرس الثوري الايراني تظاهرة أمام السفارة السعودية، رداً على حملة (عاصفة الحزم) العربية التي استهدفت الحوثيين الشيعة في اليمن، وسجّل إطلاق شعار (الموت للسعودية)، وصار في الضاحية الجنوبية لبيروت (الموت لآل سعود)، الى جانب شعارات أخرى مثل (الموت للتكفيريين)[45].

وحقيقة الأمر: أن ما تقوم به جماعة الحوثي، ومليشيات فيلق بدر، وحزب (اللات)، من جرائم وانتهاكات ضد كل من يخالفها بالدعم الإيراني يدل على أن شعار (الموت لأمريكا–الموت لإسرائيل)، هو مجرد قول لا فعل، وعندما يراد تحويله إلى فعل فإن ذلك يقع على رؤوس أهل السنة فقط. والعجب أن نجد من يقول عن الحوثيين؛ أنهم من الزيدية المعتدلين، وقد بيّنا ما يدل على أنهم من الرافضة الاثني عشرية في ثنايا الكلام عن الحوثية، وعضدنا ذلك التأكيد بالمواقف المخزية منهم تجاه أهل السنة، ومدى تواطأهم مع الرافضة وأعداء الإسلام على الإسلام.

كما أن بعد كل هذه الحقائق: لا يزال هناك من يغتر بهذه الشعارات الزائفة، فيقومون برفع تلك الشعارات وترديدها، إما غباء، وإما مقابل دريهمات من المال، ولو أدركوا ما هو الحكم الشرعي في معاضدة الحوثيين، وتكثير سوادهم؟ وخشية الدخول ضمناً تحت قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾[هود: 113]؛ لعلهم ينتهون.

فكيف لعاقل أن يرتضي مساندة قوم؛ يقوم دينهم على القدح في سنة النبي ﷺ ومحاربتها، والطعن في خير البشر بعد أنبياء الله تعالى وهم صحابة النبي ﷺ، بل ويكفرون الكثير منهم، مع المخالفة لجمهور المسلمين في عباداتهم وفي صلاتهم وصيامهم.

الباب الثالث:

الربيع العربي ونظرية المؤامرة

لقد اعتنى علماء الأديان والتاريخ؛ بتدوين نشأة وتطور الفكر الإسلامي منذ بدء ظهوره في المجتمع المسلم، حتى حاضرنا المعاصر، وإن الدارس لهذا الفن بعمومه وخصوصه لابد له أن يستعرض لحال تلك الأفكار والمعتقدات، ويبحث عن الأسباب المؤدية لنشوء تلك المعتقدات، وكيف ظهرت على الساحة الإسلامية. كما أن هناك من المعتقدات ما تشكل خطرا على المجتمع الإسلامي والتي أتت عليه بحجة أو بأخرى وما هيى إلا مبررا تعسى من خلاله لحرب عقائدية لصناعة الحضارة، لذا ارتأيت أن أقدم بين يدي الكلام عن أثر تلك التيارات المنحرفة، وأن أقف على أمر مهم؛ وهو أن أعظم وافد أفسد المجتمع، ومازج منابعه الصافية، ولوثها، وترك فيه أبلغ الأثر شكلاً ومضموناً، هو الغزو الفكري، فهو حقا أكبر حرب فكرية، وفكرية سُلطت على الإسلام. ولعل الذي وضع له أعظم الأثر وقوى من شوكته في العصر الحديث؛ هو الغزو الاستعماري الحديث، الذي وفد مع الحملات الصليبية التي جاءت بالشر والوبال على الأمة الإسلامية من جانب، وعلى البشرية من جانب آخر.

ولا مبرر لقبول هذا الغزو بأي صورة على الإطلاق، غير أن هذا الغزو أوضح نموذجاً من التفاوت الكبير في مستوى التقدم الحضاري بين الأمم المتصارعة، فهناك أمم تعاني من ضعف في جوانب شتى من مجالات الحياة؛ فعندها ليس غريباً أن تخضع لسطوة أمة هي أقوى منها؛ قد حققت –وفق سنة الله الكونية– من التقدم الحضاري الدنيوي من اختراعات، وتكنولوجيا، وصناعات، ما لم يكن يدور في الخيال البشري.

أما الظاهرة التي استعصت على العقلاء، والغريبة في تاريخ الإنسانية، هي تقبل أمة حية، قوية، تمتلك مصادر المعرفة والعلم، غزواً فكرياً من أمة منهارة أخلاقياً، منحلة إيمانياً، قد أضحت بائدة عقائدياً.

ويكمن نموذج الاستعصاء والغرابة أكثر، إذا كانت تلك الأمة المتقبلة للغزو الفكري هي أمة التوحيد الخالص، والتي كونت حضارتها من الوحي النقي؛ كتاب ربنا وسنة خير البشر محمد عليه الصلاة والسلام، التي فتحت قلوب الأمم، وحطمت طواغيت الاستبداد، وبلغت القمة في الاستعلاء بالحق، ما لم يكن لأمة قط أن تبلغه، ومع ذلك نجدها تتلقف ذلك الغزو من تراث قد انتدثر وتحطم من أمة قد انقرضت دينيا، وطغى عليها التخلف الفكري.

المطلب الأول: الربيع العربي، ودوره في إنعاش التيارات المنحرفة:

إنني هنا بصدد التركيز على إنعاش الانحرافات الفكرية في الدول الربيعية، وبعض الأفكار التي استغلت واقعة الربيع العربي، فركبت على الطوفان، لتحقيق أهداف عقائدية؛ كان حالها قبل الربيع العربي خلف الكواليس، ولكن سرعان ما تأتي الفرصة المناسبة لأرباب تلك الأفكار فأظهروا ما كان مندساً إلى الواقع، فظهرت هنا فرقة، وجماعة هناك، وفكر مارق بينهما، ولعل الأكثر إثارة من بين تلك الحركات والتنظيمات هي التي قامت في المناطق التي لا زال الربيع لم يقر ولم يسكن بسببها.

كما بينت في السابق أن أشد المناطق التي شهدت الربيع العربي تأزما بالدرجة الأولى: هي سوريا، لذا كان حريّ أن تكون الحركة أو التنظيم الذي انتعش بها هو أشد التنظيمات الذي وجد اهتماماً من السياسيين والمفكرين والعلماء والتربويين، بل وجميع طبقات المجتمعات المحلية والدولية، وأقصد بهذا التنظيم هو: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ولا شك أن هناك من يؤيد هذا التنظيم وبات ذلك جليا من الأعداد الهائلة التي تتوافد للانضمام إليه من كل مكان؛ ولكن نسبة المنضمين لا تكاد تذكر أمام المعارضين له والمحاربين.

وعلى الرغم أنه انتعش في سوريا أيضا المد النصيري، والمد الإيراني الصفوي، اللذان لهما حضور قوي وفاعل في سوريا، كما للمد الصفوي أيضا حضور فاعل في العراق، إلا أن هذين الطائفتين لهما أيضا تواجد سابق في المنطقة، كما أن لهما دولا وحكومات ترعاهما من قبل.

يقول: غوستاف لوبون: " قد ينتج عن الثورة في نهاية الأمر معتقد، ولكنها تنشأ في الغالب عن عوامل عقلية كالقضاء على ظلم فادح أو استبداد ممقوت أو ملك يبغضه الشعب، ومع أن العقل هو أصل الثورة فإن الأسباب التي تهيئها لا تؤثر في الجماعات إلا بعد أن تتحول إلى عواطف، فإذا أمكن بالفعل إظهار ما يجب هدمه من المظالم وجب لتحريك الجماعات إفعام قلوبها بالآمال، وهذا أمرٌ لا ينال إلا إذا استعين بعناصر العاطفة والتدين التي تجعل الإنسان قادرًا على السير"[46].

ثم إنني ذكرت أن من يحتل المركز الثاني في صدارة البؤس من بين دول الربيع العربي في التأزم وحالة اللاإنسانية التي تعصف بها؛ هي اليمن، لذا كان لزاماً أن يكون الفكر الذي ظهر نجمه بشدة في تلك الفترة، والذي لم يأفل بعد هي: (الحركة الحوثية)، وهي أيضا لا تقل كثير عن أختها التي ظهرت في سوريا من كل النواحي، سواء كانت من حالة الإجرام التي تمارسه على الشعب والمدنيين، أم من ناحية الاهتمام الذي يوليه تجاهها جميع شرائح المجتمع، ومن حيث الرعاية التي توليه لها إيران ونظام بشار وحلفاءهم.

وقد جاء معنا الكلام عن هذه الحركة؛ أعني (الحوثية) وسلطنا الضوء على كيفية ظهورها؟ وما هو التحول الحاصل في اليمن منذ أن هيمنت تلك الجماعة؟ وما هو التأثر الفكري لهذه الجماعة؟ وما موقفها من البلدان العربية؟ ومدي علاقتها براعية المد الصفوي في المنطقة؟، وماهي جذورهم الفكرية؟ ولعل الذي دفع كثير من السياسيين والباحثين والأساتذة والمثقفين وغيرهم من العامة إلى الحكم على هذه الثورات العربية بالفشل إلى حد كبير لدي البعض، وبالتآمر والتخطيط المسبق لها لدى الأكثر؛ لأن في الحقيقة قد يكون هناك تبرير لمثل هذه التشاؤمية، وخصوصاً أن بعض الذين ابتهجوا بأحداث الربيع العربي، وتفاءلوا بالخير؛ قد أصابتهم الصدمة مما آل إليه الربيع العربي، فلم تأت النتائج مثلما كانت التوقعات، لا في مصر، ولا في ليبيا، ولا في سوريا، ولا في اليمن ولا حتى في تونس التي تعتبر الحالة الأقرب إلى النجاح مقارنة بمثيلاتها من البلاد الأخرى.

وعن ثورة الربيع العربي في مقال بعنوان: (ليست نهاية الربيع العربي)، يقول فهمي هويدي: " لا أنكر شواهد الفشل والانتكاسات التي حفلت بها مسيرة الربيع العربي، كما أن الانتصارات التي حققتها الثورة المضادة ماثلة تحت أعيننا ولا سبيل لتجاهلها أو إنكارها بدورها، لكنني أزعم أن هذا كله وذاك لا يعني بالضرورة نهاية الربيع العربي، إذا احتكمنا إلى تحليل الواقع وخبرة التاريخ، وإذا اعتبرنا ما مررنا به درساً نتعلم منه ما يبصرنا بأخطائنا ومواطن الضعف فينا، وليس نعياً لتطلعات شعوبنا وأحلامها[47]".

ويقول الأستاذ بو خصاص: "أثناء حضوري لندوة عن الربيع العربي في جامعة كورنيل، كان هناك من الأساتذة من قسم العلوم السياسية من انتقد تسمية سلسلة هذه الثورات بالربيع العربي، وتسميتها بدلاً بالشتاء العربي؛ لأنها ليست أكثر من انعكاس لعدم رضا الشعوب وانقسامهم على أنفسهم، في ظل عدم توفر رؤية مستقبلية موحدة لقيادة البلد إلى الأمام، وغياب آليات التوصل إلى الحلول الفعالة، وبالتالي فإن النتيجة ليست أكثر من الانخراط في متاهات العنف بين أحزاب ومجاميع تسعى لإثبات وجودها لتحقيق نظام معين"[48].

ويقول بو خصاص: "إن أمام التغيرات التي رافقت الربيع العربي وفي سياق التحولات على مستوى الخريطة السياسية بالمنطقة، وفي ظل توالي الدراسات التي تستشرف الديمقراطية في دول" الربيع العربي"، رسمت دراسة أمريكية صورة بارزة عن نظرة الأمريكيين للتحولات الجارية في الوطن العربي منذ أشهر، وأماطت اللثام عن حقيقة تشاؤم مواطني الدولة العظمى من مستقبل الربيع العربي، وأكد (57 %) من الأمريكيين: أن إسقاط الأنظمة المستبدة، وإفراز حكومات إسلامية، لن يؤدي إلى نتائج إيجابية بالنسبة للمواطنين في مختلف القطاعات، بينما لم تتجاوز نسبة الأمريكيين الذين ينظرون بإيجابية وعبروا عن تفاؤلهم نسبة (25 %)"[49].

من خلال ما قد طرح نقول: إن الربيع العربي قد أنجز الخطوة الأولى في سبيل إحداث الوعي المغيب لدى الشعوب تجاه الديكتاتوريات المتمثلة في الحكام المستأجرين من النظام الدكتاتوري العالمي، وإنه من هذا المنطلق قد تصح تسميته بـ:(الربيع العربي) من ناحية تحقيق هذه الثورات الشعبية نجاحا جزئيا من خلال أطاحتها بالديكتاتورية، وما جرى على ذلك من تحرر ولو ضئيل من شتائها المظلم، لتخرج إلى حيز التطلعات والمحاولات في المشاركة في حوار يستهدف بناء مستقبل البلد، إلا أن مسار هذه الحوارات قد لا يخلو من عقبات داخلية وخارجية غالب شأنها أن تؤثر فيه سلباً أو ايجاباً، وقد تكلمنا عن ذلك بما فيه الكفاية.

والذي أردت أن أنبه عليه من خلال هذا الطرح، أنه لا يمكن أن نغفل عن أن الربيع العربي كان له تأثير فاعل في تمكين بعض الأفكار والتيارات المنحرفة في الجهر بما كانت تُخفي، أو أن تولد حركة لم تكن موجودة على الساحة ككيان بارز، يقول الدكتور شون: " إن الثورات العربية افتقدت إلى الإطار الإيديولوجي أو الفكري، وإن حياة الناس لم تتحسن بالشكل المطلوب، وإنّ أحداث الربيع العربي فتحت المجال أمام الفرق المختلفة للخوض في سياسة جدلية قد لا يكون منها مخرج، وبالتالي فإن تأثير موجة الربيع العربي لا يمكن التنبؤ بنتائجها سواء أنها ستجلب الخير أو الشر إلى المجتمعات العربية، وأن الزمن سيكفل لنا الإجابة عن مثل هذا السؤال، وهو بهذا التحليل يحمل نفساً من التشاؤم" [50].

وعلى الرغم من أن كل بلد من بلدان الربيع العربي لديه مشكلاته الخاصة التي تميزه عن غيره من البلاد سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، إلا إننا نجد أن هذه التيارات الفكرية والعقدية المنحرفة أرادت أن تتسلق السلم على ظهر تلك الشعوب المكلومة والمتألمة، فنجدها تحاول دغدغة تلك الشعوب؛ بأنها ما جاءت إلا لتحفِّف من معاناتها ومشاكلها الحياتية، والغالب على تلك الشعوب أن تلك الأكاذيب لم تعد تنطلي عليها، فلم يجد أولئك المنحرفون بُداً من النيل من تلك الشعوب بقوة السلاح وقوة السلطان، ولعل السيناريو السابق –الذي خط لبنته الأولى (جورج دبليو بوش)– يعيد نفسه: وهي مقولته الشهيرة التي خاطب بها العالم (إما مع أمريكا أو ضدها) هو نفس السيناريو الحاصل مع تلك الطوائف الضالة عن الصراط المستقيم، فحالهم كحال الأول؛ إما معنا أو القتل والسجن. وكل هذه الفوضى والتقلبات الحالّة بالدول الربيعية، كانت كفيلة بظهور جانب من التيارات المنحرفة التي قفزت من على عتباته، لتظهر لنا بالصورة التي نراها عليها اليوم، حيث أصبح لهم صولة وجولة في كل من اليمن وسوريا وليبيا، كما كان هناك ظهور واضح وجلي للجانب المضاد؛ في كل دول الربيع بالإضافة إلى مصر، وتأثير نسبي في تونس[51].

لكن لا يعني هذا أن ننظر بالنظارة السوداء ليلا ونهارا، فإن الذي جعل تلك الشعوب استطاعت على قلة عدتها وعتادها من الإطاحة بجبابرة الأنظمة التي عششت في قصور الحكم لعقود عدة، لقادر سبحانه

على أن يهيئ للأمة من يقود سفينتها إلى بر الأمان بإذنه ورحمته بحال المؤمنين. ويمكن القول إن هذه المشكلات كغيرها من المشكلات ستحتاج إلى الصبر والوقت، والتي من خلالهما للمجتمع أن يقوم على تطوير الحلول المناسبة لها. كما يمكن أن يتم ذلك عبر فكرة واضحة المعالم، تتطور عبر أناس بلغ بهم الإخلاص تجاه الإسلام والمسلمين منتهاه، وللتطوير هذا المفهوم والتفاعل الفكري بين شرائح المجتمع وتطوير النظام السياسي والاقتصادي والتعليمي وغير ذلك من شتى مناحي الحياة؛ التي تتناول جوانب وقضايا المجتمع بشتى أنواعها، ينبغي تجسيد المعنى الحقيقي للنظام الإسلامي، والنظرة التفاعلية من الشعب تجاهه، ليتسنى تسيير النظام الإسلامي الحق، وتوليه الحكومة بما يتفق مع الشريعة، ويلبي حقوق وتطلعات الشعب المسلم منهم وغير المسلم، لأن الإسلام كفل للجميع حقوقه. كذلك يحب أن ننبه إلى أن الربيع العربي قد يبدو متشابهاً في انفعالاته وحدوثه ومطالبه، إلا أن تأثيره لم يكن بنفس الحال في جميع مناطقه، فلا يمكننا أن نقول إن المسار الذي سلكه الربيع العربي في بلد هو نفس المسار الذي سار عليه في البلد الأخرى، فلا بد من تفاوت بين تلك المسارات في الخصوص وذلك بسبب الاختلافات الديمغرافية لسكان منطقة دون غيرها، فمناطق الربيع العربي رغم أنها عربية إلا أن لكل منها خصائصها وظروفها وتكويناتها المختلفة التي تميزها عن الأخرى.

وقد لاحظ الجميع مستوى الفارق بين مناطق الربيع العربي، فهناك فارق في الطريقة التي واجه بها شعوب تلك الدول، لمواجهة تلك الأنظمة الظالمة، ففي تونس على سبيل المثال؛ حسمت القضية بطريقة لم تسمح بالمواجهات المسلحة، وغلب عليها الطابع السلمي، مع التفاوت الواقع بين فصائل تلك المظاهرات والمتمثلة في الأحزاب؛ بغض النظر عن قناعتي بقيام تلك الأحزاب من عدمه، حيت تمكنت الأحزاب الإسلامية والأحزاب العلمانية من إيجاد تسوية ما للخروج بصيغة معتدلة؛ تدفع بالبلاد إلى الأمام، بينما نجد في مصر أن هناك تباعد سياسي وفكري لدرجة كبيرة، مما دفع شريحة من الشعب للخروج في مظاهرات أخرى مدعومة بأجندة ماسونية وليبرالية للتظاهر ضد حكم الإخوان المسلمين، انتهت بإسقاط مرسي من الحكم بانقلاب عسكري قبيح، لتعود البلاد إلى سابق عهدها من الحكم الديكتاتوري العسكري، وبالرغم من أن الحزبين اللَّذين تصدرا الانتخابات في كلا البلدين لهما نفس الخلفية الدينية، إلا أن تصرفهما السياسي كان مختلفاً في أعقاب الربيع العربي[52].

وبالنظر إلى تونس وجارتها ليبيا على الرغم من التقارب الجغرافي والتناسق البيئي إلا أن الحال في ليبيا قام على الصراعات الدموية، والتي لا زال الشعب الليبي يكتوي بشهبها إلى اليوم، وقس على ذلك في اليمن وسوريا، التي كان الحال فيهما أن في سوريا أقيمت الثورة ضد النظام المدعوم من الرافضة بحكومة إيران، والغاية منها إزالة الحكم النصيري، أما في اليمن فقد كان للروافض يد في الثورة ضد النظام القائم والذي كان

يغلب عليه السنة، فهتان ثورتان الأولى ضد الشيعة والأخرى قام بجزء منها الشيعة، وهكذا هو التأثير الفكري الذي قام على أنقاض الربيع العربي، ففي كل بلد من بلدان الربيع العربي قام تيار منحرف يبث سمومه الفكرية الموبوءة، مستغلا ذلكم الحدث التي تأمل الناس في بداية امره الخير، ولكن سرعان ما تبدل ذلك إلى شر محض في نظر تلك الشعوب المسكينة، والتي لا حول لهم ولا قوة[53].

المطلب الثاني: نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة:

قبل الولوج إلى مستنقع التآمرات على أمتنا، نشير إلى أنَّ التوسع المبالغ فيه حول (نظرية المؤامرة)، وإلقاء الملامة عليها في كل شاردة وواردة تصاب بها الأمَّة المسلمة، يعدّ تهميشاً للواقع الذي تمر به الأمة من الداخل، وتعتبر رؤية أحادية مخالفة للتفكير الموضوعي، وتسطيحاً للأمور العلمية.

إن قضية التآمر ونظرية المؤامرة، ينبغي ألا ينظر إليها بنظرة عاطفية، كما لا ينبغي محو أصل التآمر والتهوين من شأنه، أو نفي أن توجد مؤامرة حقيقيَّة على الإسلام من قبل أعداءه؛ سواء كان من الكفَّار الأصليين أو من المنافقين المندسين؛ الذين لا شك أنهم الخطر الحقيقي على الأمة، لتواجدهم داخل المجتمع. ولذا كان لزاما أن ننظر إلى (قضية المؤامرة) من زاوية معتدلة بين الذين ينفون المؤامرة من أصلها، وبين من يبالغون في الحكم على هذه القضية بأنها السبب في كل بلاء على الأمة.

ولماذا ذلك النزاع الحاصل في قضية المؤامرة؟ لأننا لم نعد نري في العقيدة الإسلاميَّة، وما تأسست به من كتاب ربنا وسنّة نبينا ﷺ، أنها المخرج لكثير من الظواهر السياسيَّة والاجتماعية والاقتصاديَّة. ولنعلم أن الجمع بين القضايا الشرعية والسياسية لا تَنافي بينهما أبداً، بل ويستحيل أن تخالف حقائق واقع منطوق القرآن، ومفهومه، وما ثبت من صحيح السنَّة النبوية على صاحبه أزكى الصلاة والتسليم.

يقول الدكتور عبد الشافي: " حاولت بعض التيارات الفكرية إثارة فرضية أن ما حدث من ثورات عربية جاء بتخطيط من الدول الغربية؛ وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت التخلص من الحكام الذين باتوا عبئا عليها وعلى شعوبها، وأن الولايات المتحدة هي التي أرادت التغيير لكي تبقى تحت السيطرة، بدلا من سيطرة قوى أخرى على مقدرات الأمور"[54].

الشواهد الموضحة لقضية التآمر من القرآن الكريم كثيرة؛ فالقرآن يبيَّن ما كان أعداء الأديان السماوية يتربصون به الدوائر، كما هو الحال من تآمرات حدث من أقوام الأنبياء مع أنبياء الله؛ إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، ويحي، وزكريا، ولوط؛ بل وجميع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وكذا حال فتية الكهف،

وغير ذلك الكثير من الوقائع التي تكشف أن هناك تآمراً من أعداء الإسلام على المسلمين، كما أن كتب السنة مملوءة بكثير من الوقائع، وما قصة الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بغائبة عنا.

ظهر مصطلح (نظرية المؤامرة)، على الساحة الإسلامية والعالمية، في عشرينيات القرن الماضي، ثم زاد صداه مع ما بات يعرف بالحروب الباردة التي كان للقطبين الغربي والشرقي، ثم بات هذا المصطلح شماعة يعلق عليها كل شاردة وواردة تحل بالأمة الإسلامية؛ لدى الكثير في المجتمعات الإسلامية؛ ممن غلبت عليهم الغيرة على الإسلام والمسلمين. يقول ديبتر سنغاس عند تحليله لكتاب هنتنجتون –صدام الحضارات –:" يكاد هنتنجتون يتغاضى عن الحضارة الإسلامية، وهذا أدعى إلى الدهشة أكثر؛ لأنه يعتبر الإسلاميين أو الأصولية المشكلة الرئيسية، بل الإسلام ذاته مفترضا أنه حضارة مختلفة تماما بالكامل عن جميع الحضارات الأخرى، ويوكد أن المجتمعات الإسلامية، والدول الإسلامية تقع عند خطوط المنازعات الثقافية لعالم، ولهذا بدت عنيفة بشكل مفرط؛ إذ نراه يدفع بأن المسيحين وغير المسلمين على السواء لا ينكرون الحماسة لحرب إسلامية، والاستعداد لاستخدام العنف، ولهذا يخلص إلى نتيجة واضحة هي أن الإسلام في ذاته يتصف بطابع العنف"[55].

الحديث عن المؤامرة؛ هو منظومة عامة لمؤامرة كبرى ضد الإسلام والمسلمين، وقد يرى البعض أن الكلام فيها لا يخلو من أمرين: إما التآمر من المروجين لها، وإما دعماً لهم عن غير قصد! وقد يرى البعض أن المؤامرة نادراً ما تؤثر في التاريخ، وبرأي هذا الكلام غير صحيح على إطلاقة؛ لأن الغالب على التقلبات الحاصلة بين الأمم والحضارات عبر التاريخ كان للمؤامرات حضور قوي، وهو ما حدث بالفعل في سقوط الكثير من الدول، فماذا نسمي مثلا ما حدث للمسيح عليه السلام من اليهود؟! أليس مؤامرة؟! يقول هنتنجتون:" عالمية الغرب خطر على العالم؛ لأنها قد تؤدي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة، وهي خطر على الغرب؛ لأنها قد تؤدي إلى هزيمته. بسقوط الاتحاد السوفيتي، يرى الغربيون حضارتهم في وضع سيادة لا نظير لها، بينما تبدأ المجتمعات الآسيوية والإسلامية في اكتساب القوة في نفس الوقت، والمسار الحصيف للغرب، هو ألا يحاول أن يوقف تحول القوى، وإنما أن يعرف كيف يبحر في المياه الضحلة ويتحمل الشقاء ويحمي ثقافته"[56].

ولعل أعظم صدىً يتردد اليوم هو المؤامرة على المجتمع المسلم فيما يعرف بالربيع العربي، في خضم المعترك القائم آنذاك قامت الأطراف الحاضرة والغائبة عن الساحات السياسية منها الفكرية بتبادل الاتهامات، وأن ما حصل برمته ما هو إلا مجرد مؤامرة حيكت من وراء الكواليس للإضرار بالأمة العربية والإسلامية، لكي تظل هذه النظرية حاضرة في أذهان الشعوب، ويكون حديث الشارع هل فعلا هناك مؤامرة؟ وإن وُجِدت فكيف نقدر على مواجهتها؟ ولعل الذي يثير الدهشة كما يقول سنغاس:" أن كتاب صدام الحضارات لا

يكشف صراحة وبوضوح عن الأفكار الرئيسية التي تمثل استعداد الحضارات للحرب، بيد أننا نقرأ تعليقات عرضية وإشارات تاريخية عن الحروب الصليبية (المسيحية)، والحروب المقدسة (الإسلامية)، وكذا عن ميل الدولة الصينية إلى التفكير تأسيسا على رؤية الهيمنة بدلا من توازن القوى"[57].

والغالب فعلا على الدول أنها لا تعادى بعضها لأجل العداء الخالص، وإنما الصراع بينهم يقوم على التنافس لتحقيق المصالح وفرض الهيمنة. أما الصراع بين الحضارات فإنه يقوم على مبدأ الولاء والعداء للمعتقد، فهو يقوم على العداء الخالص. ولذا أرى أن الحقيقة في نظرية المؤامرة أنها تقع بين طرفين ووسط وهو أن هناك طرفا مثل دعاة التنوير، من والحداثيين ومن على شاكلتهم يرون أن التعاطي المبالغ فيه في تفسير أي نازلة على المسلمين هو من باب المؤامرة إن هو من نسج الخيال، ولذا تراهم دوما يسعون لتفكيك هذه النظرية والتشكيك فيها، وهو يعتبر بوابة الدخول في أصل تلك المؤامرة، والتواطؤ معها، ولهذا تراهم يرون أن المؤامرة الحقيقية هي فيمن يروج لهذه النظرية، خاصة لو كان ذلك الطرف ممن يحسب على التيار الإصلاحي، وهذه الفكرة معاكسة لتلك الفكرة في الاتجاه ومساوية لها في القوة، وأحياناً تفوقها قوة!. أما الطرف الثاني فهم المهووسون بإقحام هذه النظرية في كل شاردة وواردة حلّت بالأمة على الإطلاق، فأولئك أيضا لا يقلّ ضررهم عمن يجعل المؤمرة مجرد أوهام، وتعتبر نظرية المؤامرة: (اسم قبيح لعملية عقلية مشروعة تماما، وهي البحث عن تفسير لظاهرة لا يساعد في فهمها ما نراه أو نسمعه مما يقال في تفسيرها)[58].

إن نظرية المؤامرة هي الوسيلة القديمة لبني البشر لتفسير أي حص يبدوا غامضا نفذ عن طريق المكيدة أو المكر، ولهذا ورد ذكر هذه الألفاظ في القرآن كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[القصص: 20]، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾[البلد: 15]،﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[يوسف:102]، وهي مفردات وردت في كتاب الله تحكي حال الكفار والمنافقين، أو حتى المؤمنين فيما بينهم كما في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام، وجميع هذه المفردات متشابهة في المفهوم ولكن هناك فارق من جهة الظن بالفاعل؛ فالمكر: هو تدبير فعل خفي بحق من لم يعلم ما يراد به ولم يحتسب أن يأتيه هذا الفعل من الفاعل؛ وهو إرادة فعل السوء بالمكر به في غفلة، وعدم حذره من أي شر يأتيه من جهة الماكر.

ما الكيد فهو كل تدبير لفعل حفي أو ظاهر يريد منه الكائد دفع المكيد أن يرتكب عملا سيئا بإرادته دون إجبار أو إكراه، فكل منها تختلف عن أختها وإن كن يشتركن في (الحيلة وخفاء الفعل المدبر)، كما أن هناك فارق في حال الفاعل أيضا وهو أن الكيد من صنع الأفراد أما المؤامرة فهي من صنع المؤسسات. ولهذا لم يكن إطلاق هذه الألفاظ هوساً وفضولا في التفكير، كما يراه من ينكر وجود المؤامرة أصلا، يقول الدكتور الهرفي: " لقد حاولت أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان عدواً لها أن توجد لها عدواً

آخر تصرف أنظارها إليه وتعمل على حربه وإبادته فكان الإسلام والمسلمون هما العدوين المرشحين لعداوة أمريكا وحربها. وقد بدأ بعض الأمريكان يربطون بين الإسلام والإرهاب منذ سنوات طويلة ولكن هذا الربط اتخذ طابعا مغايراً بعد أحداث أمريكا إذ أصبح الإسلام هو العدو الحقيقي والخطر على أمن الولايات المتحدة سواء داخل أمريكا أو خارجها. ولأن هذا العدو المفترض لا يمثل قوة حقيقية أمام الولايات المتحدة نظراً لضعفه الشديد واعتماده على غيره في معظم شؤون حياته"[59].

لقد أخذت نظرية المؤامرة بعدا في الثقافة الغربية، ورُوج لها قبل عدة عقود من مزجها بالخطاب الثقافي العربي. حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فإذ بهذه النظرية تزداد عمقا حتى أنها ملأت الدراما والكتب الأميركية كل ذلك لإثبات وجودها في تلك الحادثة." فكان لا بد من تشويه صورة هذا العدو –الإسلام–حتى يعد العالم فناءه تضحية في سبيل التقدم والرقي وانتعاش الحضارة الغربية وعلى ذلك رأت المسيحية العالمية ممثلة في أمريكا ودول الغرب وحلفائها كل من يحاول المساس بالمصالح الغربية سواء بالدفاع المشروع عن النفس أو امتلاك وسائل القوة أو الحماية الفكرية والثقافية أو التمسك بالدين والعقيدة وتطبيق الشريعة هو إرهابي"[60]. والعرب كذلك لا يقّلون في مهارة تطبيق هذه النظرية عن الغربيين لذا نجدهم أضحوا يلصقونها على كل حدث يُلمُّ بالأمة، في تعزيز للخيال المهوس بتقرير نظرية المؤامرة. وقد تخلى أولئك المهوسون من الطرفين، عن القبول بالرأي الأخر مُتناسيين ضرورة احترام حرية التعبير وأخلاقياته، تحت ظل الواقعية وتحري المعلومة.

ولذا تواردت علينا الكثير من الآراء حول الربيع العربي فالبعض من الكتّاب ساق تقريراً يثبت تواطؤ اليهود في ظاهرة الربيع العربي وأن اليهودي الفرنسي برنار هنري ليفي هو من القائد والمخطط لها، كما أننا بعد أن كنا نقول بأن أمريكا تقف خلف كل الشرور المتتابعة على المجتمع المسلم، إذ بنا نرى من يرى في الإخوان المسلمين أنهم الشيطان الأكبر، وأنهم خلف كل بلية تصاب بها الأمة الإسلامية، وهذا يعني أنه كما أميركا لديها هذه القدرة الخارقة لتغيير مجريات الكون، وهي إنما تسعى حثيثا لترسيخ مكانتها في العالم، إذاً لابد من القول نفسه تجاه الإخوان المسلمين!

وبالمقابل لا يمكن النكوص أمام تيار التآمرات المحيطة بالأمة لمجرد أن تلك النظرية مبالغ فيها، وأنه لا يصح أن نتعاطى مع كل حادثة على أنها مؤامرة وتفسير كافة الأحداث من خلالها، فهذا أيضا يعتبر نقيصة فكرية قد تسبب في إخفاق العالم العربي المترهل أصلا. ولو عدنا بالتاريخ للوراء لوجدنا أن مثلث المؤامرة المستمر على الإسلام منذ أن سطع نور الإسلام، هو التآمر: (الصليبي، اليهودي، المجوسي). فمن الذي قام بتسميم حبيبنا ﷺ؟ أليس حادثة السم التي قامت بها اليهودية كانت سببا في استشهاده ﷺ، عن

ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان أحب الْعُرَاقِ إلى النبي ﷺ، ذراع الشاة، وكنا نراه سُمَّ في ذراع الشاة، وكنا نرى اليهود هم الذين سَمُّوهُ"[61].

وفي العصر الحديث من الذي أعاد اليهود إلى فلسطين؟ أليس الوعد بلفور المشئوم، والذي كان يهدف إلى إنشاء وطن لليهود في قلب العالم الإسلامي، ليتسنى لهم هدم الإسلام من الداخل، في الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917، تلقى لورد ولشيلد خطابا من لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا على لسان حكومته يقول فيه: "يسرني كثيرا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأنها ستبذل خير مساعيها لتيسير الوصول إلى هذه الغاية"[62].

إن التآمر على الإسلام ليس وليد اليوم، بل إن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله البشر، ولا زال ذلك الصراع قائم مع ظهور الأنبياء جميعا، حتى خاتمهم محمد ﷺ، ومع أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ؛ إلا أن الصراع لم يختم، فلم يزل قائم، ولا يزال إلى أن تقوم الساعة، ولقد قاد الخلفاء الراشدون بعد رسول الله حملة الصراع تلك من بعده، وخرج أصحاب الرسول ﷺ من المدينة بجيوش متعددة، كل منها إلى جهة من الجهات، لتحقيق الحق وإزالة الباطل، فنصرهم الله، وخضعت لهم المناطق التي توجهوا إليها جميعاً؛ من الامبراطورية الفارسية شرقاً، إلى الامبراطورية الرومانية غرباً، وكان من أجلّ أعمال عمر رضي الله عنه؛ فتح فارس والروم، وارجاع بيت المقدس إلى الأصل القائم عليه وهو التوحيد، وإجلاء يهود خيبر من الجزيرة؛ لحقدهم وضغينتهم.

ولا زال المكر والحقد يتجدد على الأمة الإسلامية من أعداءها على مر العصور الإسلامية، فإن هذا الدين الذي نشره الله تعالى بسواعد أولئك الرجال؛ قد هدم الشرك وأقام التوحيد، وأزال البدع والضلالات والخرافات، وأرسى السنّة، وأقضّ مضاجع وعروش الظلم والطغيان، وأعلى حكم الله عز وجل على حكم الطواغيت من القياصرة والأكاسرة، ومن دجاجلة الأديان وكهنوتها؛ ممن هيمنوا على الناس باسم الدين، فتسلطوا على أموالهم وأعراضهم، بل وفي قلوبهم؛ فيُملون عليهم ما اعتقدوا من الكفر والشرك والضلال، وجابهوا جميع العقائد وأشهرها من اليهودية والنصرانية والمجوسية، وما تفرع عنها.

وهذا هو الدافع وراء كل المؤامرات التي حيكت ضد الإسلام والمسلمين، بدءً من حادثة السم الذي قدمه اليهود للنبي ﷺ، ثم مقتل أمير المؤمنين عمر رضي الله الذي كان مقتله فتحاً لباب الفتنة التي أخبر ﷺ أنها لن تنتهي إلي قيام الساعة، ومع ذلك فإن أعداء الإسلام ظنوا ولا زالوا يظنون أن ديننا العظيم مرتبط بشخص أو أشخاص، فيظنون أنهم بقتل عمر قد استطاعوا أن يقتلوا الإسلام، وهذا محال عليهم، لأن ديننا

لن يموت ولن يقتل، وسيظل هو الدين المهيمن حتى تقوم الساعة. وهكذا حال أعدائنا مع كل من يحمل لواء الدين، ولواء السنة؛ يظنون أنه إذا قتل انتهى الأمر، والحقيقة أن هؤلاء الرجال ما هم إلا أناس اصطفاهم الله تعالى للقيام بأمر دينه، فهم إما يحققون نصراً للأمة، أو ينالون الشهادة، ويخلف الله بعدهم من يقوم بهذا الدين، لأنه سبحانه وعد أهل التوحيد، وتوعد أعداءه بقوله:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[التوبة: 33].

ثم إن المؤامرة انتقلت بعد ذلك على نطاق أوسع، فعندما أظهر الله الدولة العثمانية، وفتحوا معظم بلاد أوروبا وحاصروا (فيينا) لسنوات؛ بالطبع لم يعجب ذلك أعداء الأمة، إذ كيف لهذه الدولة الفتية أن تتغلب على تلك الدول القوية، ولم يستطيعوا مقاومتها، فلجأوا إلى أسلوبهم المعتاد؛ أسلوب المكر والخداع، وشراء الذمم، فاستعانوا بعدوا الأمس واليوم، تلك الطائفة الحاقدة؛ التي كان لها تواجد في شرق العالم الإسلامي وهي: (الدولة الصفوية)، التي كانت تتزعم المد الرافضي تلك الفترة، بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي ملك إيران آنذاك، والتي كانت تعفر ببلاد العجم، والذي كان يسعى لتوسيع المد الرافضي، في بلاد الأناضول والعراق، والتي فقامت بدورها الحقير الذي اعتادت عليه منذ مقتل الفاروق؛ وهو الطعن من الظهر، ولكن الله مكّن السلطان سليم الأول من دحرهم وهزيمتهم، ولو أن هؤلاء الذين يدعون الإسلام كفوا أيديهم عن الغدر بالدولة العثمانية لكان أولى فربما استطاعت أن تتوغل في البلاد الأوربية أكثر وأكثر، لكن التآمر الحقير الذي كانت تقوم به الرافضة جعل الدول الأوربية تتكاتف وتتوحد لقتال الدولة العثمانية بعد أن كانت مشتتة، وفي هذه الفترة استطاعت روسيا أن تلتهم أقاليم آسيا الوسطى والقضاء على الحضارة الإسلامية هناك، وكل ذلك يعود فضله للصفويين؛ ولا زال الحلف قائم بين الرافضة الروس إلى يومنا الحاضر[63].

بالطبع أنا لست هنا بصدد تقييم الدولة العثمانية، ولكن المقصد هو أنها كانت دولة تمثل المسلمين، وتسعى لتوسيع رقعة الإسلام؛ ولهذا حصلت المؤامرات عليها، ثم لم تزل المؤامرات تدور عليها بصور شتى.

وبعد إن نهضت أوروبا صناعيا تطوراً في الحياة المادية، بدأت المعركة تأخذ وجهاً جديداً، فقد ألف أحد الوزراء الأوروبيين كتاباً بعنوان: (مائة مشروع لتقسيم تركيا)[64]، وهو ليس كتابًا تاريخيًّا بقدر ما هو كتاب سياسي، يُخبِرك عن مكنون العقل الغربي، وكيف يُفكِّر ويُدبِّر، وكيف يُتابِع مشاريعَه الكَرَّة بعد الكرة؛ حتى يَصِل إلى أهدافه، فإن أوربا ما فتئت تُخطِّط لتقسيم العالم الإسلامي، وكانت الدولة العثمانية في الواجهة. وقد أحصى المؤلف (100) مشروع لتقسيم هذه الدولة، تَقدَّم بها سياسيون، وقساوسة، ومفكِّرون، وأطباء؛ يقترحون كيفية تقسيم بلاد الإسلام، فالكل يتَّفِق على إضعاف الدولة العثمانية وتفكيكها، وكانت أوربا حينها في أَوْجِ صراعاتها الداخلية عندما خطَّطت لهذه المشاريع، فكيف سيكون الأمر حينما أصبحت موحَّدة، وتعيش بلا صراعات؟! وعندما يقال: "مائة مشروع" يُظَن أن هذا الرقم مبالغ فيه، ولكن بمجرد ولكن عند

القراءة يتضح حجمَ التدبير، وأنها فعلاً استغرقت الفترة الممتدة إلى ستة قرون[65]. وكانت هذه المشاريع تفشل الواحد تلو الآخر، حتى كانت الحرب العالمية الأولى، فتحقق لهم النجاح، واستطاعوا أن يفرقوا المسلمين، وتحاصصوا العالم الإسلامي، في اتفاقيتهم المشؤمة: (سايكس بيكو)[66].

وهكذا هو الحال مع المؤامرات الموجهة نحو الإسلام والمسلمين، من طور لآخر، ومن سيناريو لآخر، فتارة بالقتال الصريح، وتارة بالمكر والخديعة، وأخير بالفكر والشهوات، وهي أنموذج من النماذج التي يقدمونها في حربهم على الإسلام، وهي الحرب الفكرية التي غزوا بها ديار المسلمين، فعندما وجدوا أمة ممزقة من جهة، بعيدة عن حكم الشريعة من جهة، وغارقة في الشهوات والملذات من جانب، لجأوا إلى خططهم الفكرية، فأخذوا يدبرون ويحيكون المؤامرات للقضاء على الإسلام من خلال وجودهم وقوتهم العسكرية في البلاد.

وقد أشار الدكتور سفر في كلامه عن مخطط الأعداء للقضاء على الإسلام إلى ذلك بقوله: بعد أن وجدوا –أي أعداء الإسلام– أنه منذ أن ظهرت الصحوة في العالم الإسلامي، كان لا بد من اللجوء لطريقة جديدة في تطبيق مخططاتهم، فرأوا أن أنسب وسيلة أن يعاد في هذه الأمة بعث الحياة في الفرق القديمة، لأن الشباب أخذوا يتحصنون ضد الأفكار الغربية والماسونية والشيوعية. كما أن الأمة أصبحت في ملل من كل الأحزاب والفرق الأخرى بعد معرفتهم بحقيقتها، كذلك نجد أن الحضارات الوثنية القديمة لم تجد استجابة، حينها رأوا أن بعث الفرق الطوائف القديمة هو الذي يمكن أن يستوعب هذه الصحوة، ويفرقها ويمزق شملها، فقاموا بإعادة مجد الرافضة، وغيرها بوسيلة البحث والتحقيق، ومن أمعن النظر في الكتب التي يقوم المستشرقون بتحقيقها ماذا يرى؟ [67].

هل يرى أن هناك اهتمام –مثلاً–بصحيح البخاري، أو كتب الصحاح، أو كتب الإمام أحمد، أو كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم؟ لكن انظر ماذا يحقق المستشرقون من الكتب، بأي شيء يهتمون؟ تجد كل اهتمامهم بعقائد منحرفة وفرق قديمة، يهتمون بها ويحققون كتبها ويطبعونها وينشرونها حتى تملأ الآفاق، وما ذاك إلا لتمزيق هذه الأمة، وهذه الصحوة الإسلامية التي بدأت –ولله الحمد–تفرض نفسها في الواقع، فهم يريدون شباب الصحوة إذا أراد أن يعود؛ يحتار! أي إسلام يعود إليه؟!

هذا ما أرادوا هو أن يجد المرء في المكتبة مزيج من كتب الرافضة، وكتب السنة، وكتب الخوارج وكتب المعتزلة، ...، وكتب تطعن في تطعن في القرآن والسنة، وغيرها الكثير من كتب الفرق والبدعة، فلا يدري الشاب إلى أين يتجه؟ فهذا هو الغزو الفكري الذي أصبح يمر بمرحلة خطيرة ودقيقة جداً، يتطلب من جميع المسلمين –وخاصة الشباب– أن يكونوا على وعي وبصيرة بما يراد لهذه الأمة، ولاشك أن التآمر

اليهودي الصليبي المجوسي؛ يعمل ضد هذه الأمة، ويتتبع هذه الصحوة، يحاول أن يعبث في مسيرتها ويمزقها، ويبعدها عن الكتاب والسنة؛ اللذان يجمع الله بهما شمل هذه الأمة، ويظهر الله بهما هذا الدين، ويحافظ بهما على هؤلاء الشباب، ليكونوا مصدر العز والتمكين[68].

يقول الإمام الأصفهاني: " بعث الله نبيه محمد ﷺ والبشرية في أمس الحاجة إلى بعثته، فأخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فدخل الناس في دين الله أفواجا؛ أذ أطاح الإسلام بدول الظلم والطغيان، فانتشر في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، في فترة وجيزة لا يعرف لها مثيل في التاريخ، وقد غاظ هذا الانتشار السريع أعداء الإسلام؛ إذ لم يستطيعوا الوقوف في وجهه بحمل السلاح لأن المسلمين لا يريدون من وراء جهادهم إلا رضاء الله وثوابه، فلا يخافون الموت، بل يطلبون الشهادة لأنها طريق الجنة، ذلك مطلبهم، لذلك لم يستطع أعداء الإسلام الوقوف أمامهم بالقوة، فلجأوا إلى الحيلة والخداع؛ إذ رأوا أنها أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام للكيد للإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه"[69].

وما رأيناه من مسارعة الدول المتنفِّذة في التدخل على ظاهرة الربيع العربي؛ خير شاهد على ذلك التآمر الذي يحاك في جنح الظلام، لقمع رغبات الشعوب، لتحويله إلى خريف مُنهك، لأن ذلك الربيع أكل قلوب الأفاعي الحاقدة، فما كان منها إلا أن نفثت سمومها بالتحايلات الهدامة، للكيد بالإسلام والمسلمين.

إن المتأمل لرؤوس الضلالة في عالمنا الإسلامي على مر العصور؛ يجد طائفة منهم تنتمي للأديان والفلسفات التي قضى عليها الإسلام، وأنهى هيمنتها، ومن هذا مثلا: (اليهود) الذي كان من نتاج مخاضهم؛ عبد الله بن سبأ، وبشر المريسي؛ الذي أثبت المؤرخون أنهما من اليهود[70]. وكذلك عبد الله بن المقفع (مجوسي الأصل)، وإبراهيم النظام (برهمي)، وعبدك الصوفي (ثيو صوفي)[71]، وقد عرف الهدامون كيف يدخلون من تلك الأبواب؛ من خلال اندساسهم في سراديب السلطات الحاكمة؛ لكي يسهل تقبل هذه الأفكار، لأن الناس في الغالب تبع لحكامهم، وهكذا وقع للمأمون العباسي، وغيره ممن قد اغتر بهذه الفلسفات.

ونؤكد على أن هذا يظل من الأسباب التي لعبت دوراً كبيراً في تغيير ملامح الأمة الإسلامية؛ فإن الشعوب المسلمة متى استقامت على التوحيد، وتمسكت بالإيمان حقيقة، لا يهمها كيد الكائدين، ولا يضرها عداوة الحاقدين، قال تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾[آل عمران: 120]، أما إن بات همُّ شبابنا المأكل والمشرب، واللهث وراء الحياة المادية، فإنه وبدون أدنى شك نكن لقمة سائغة سهلة في يد عدونا يمضغنا كيف شاء.

لقد اختلفت وجهات النظر في دخول في تلك المؤامرات فيما يتعلق بالربيع العربي، جاء في مقال للدكتور: شمسان المناعي يقول فيه: "هذا الحلم هو مشروع الشرق الأوسط الكبير، والذي خُطط له منذ فترة طويلة كيف نتحقق من ذلك؟ لكي نثبت صحة التخطيط لهذا المشروع منذ البداية كيف لم يتمكن الكثير من المفكرين العرب أن يتقصوا الحقائق من خلال ما تم كتابته بأقلام المفكرين الغرب والأمريكيين على وجه الخصوص حول التنبؤات بثورات الربيع العربي، ولا يعني بالضرورة أنه قد تمت الكتابة عن الثورات كما هو الحال الذي مرت به، وإنما المراد ذكره هو أن هناك الكثير من الكتاب الغربيين قد أشار إلى ضرورة أن تتجه أميركا في سياستها نحو دعم الشعوب[72].

ومن ذلك ما قاله الكاتب فرنسيس فوكو ياما والذي يعد الأكثر تأثيرا في تعبيره عن التوجهات الأمريكية: " ضرورة أن تعجل أمريكا في غسل يدها من اللوثة التي ارتكبتها في العراق من خلال دعم التحول في العالم العربي، وأن تضع هذه الاستراتيجية كبند أساسي في سياستها الشرق أوسطية"[73].

ثم نتبع السؤال السابق بسؤال لاحق وهو كيف يمكن لمجموعات من الشباب؛ تظهر في شوارع وعواصم بعض الدول العربية، مطالبة بإسقاط الأنظمة، وترمي رجال الأمن بزجاجات (المولوتوف) معلنة عن قيام ثورة؟ وفي خلال أسبوع أو أكثر يسقط نظام سياسي في هذا البلد العربي أو ذاك!

كان علينا أن نتساءل منذ البداية عن حقيقة ما يحدث، والذي لا تزال بعض الدول تعيش مضاعفاته مثل ليبيا واليمن وسوريا. نعم كان من المفروض علينا أن نطرح التساؤلات حول ما جرى، ليس لأننا مع أو ضد هذا النظام أو ذاك، إنما كل ما نريده في مضمون هذا المطلب أن نربط بين ما يسمى بالربيع العربي، وما يتردد الحديث عنه من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فمن المؤكد أن هناك أطرافا إقليمية ودولية هي من حركت وتحرك خيوط اللعبة؛ والتي لا تزال مستمرة في عالمنا العربي إلى اليوم[74].

ولقراءة أصداء الموقف الأمريكي نراه في كلمة الرئيس (بوش الابن)؛ والمعروف بقسوة قرارته وخشونة عباراته متحدثا عن الثورات الربيعية بقوله: " إن الثورات العربية شكلت أعظم تحدي تواجهه النظم الاستبدادية، منذ سقوط المنظومة الشيوعية"[75]. نعم كان من المفروض علينا أن نطرح التساؤلات حول ما جرى ليس لأننا مع أو ضد هذا النظام أو ذاك ولكن التساؤل واجب! لا نريد أن نفكر في الماضي فقد حدث ما حدث ولا بكاء على اللبن المسكوب! إنما كل ما نريده في مضمون هذا المقال أن نربط بين ما سمي بالربيع العربي وما يتردد الحديث عنه من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فمن المعتقد أن هناك أطرافا إقليمية ودولية هي من حركت وتحرك خيوط اللعبة والتي لا تزال مستمرة في عالمنا العربي إلى الآن والحذر واجب"[76].

ويقول هنري كيسنجر[77]: "إن هناك سبع دول عربية تمثل أهمية استراتيجية واقتصادية للولايات المتحدة، وكل الاحداث التي تجري في هذه الدول تسير بشكل مرضي للولايات المتحدة وطبقا للسياسات المرسومة لها من قبل" ويقول عن رؤيته للربيع العربي: " إن انتفاضتا تونس ومصر، تم الترحيب الحار بهما من قبل القادة السياسيين ووسائل الإعلام في الغرب؛ بوصفها ثورة إقليمية شبابية، باسم مبادئ الديمقراطية والليبرالية"[78].

وأكد بقوله: كثيرون في الغرب فسروا انتفاضة ساحة التحرير تسويغا للرأي القائل: بأن بديل الاستبداد كان يجب اجتراحه في وقت أبكر بكثير، إلا أن المشكلة الفعلية تمثلت بأن الولايات المتحدة التي وجدت صعوبة في الاهتداء إلى عناصر يمكن تأليف مؤسسات تعددية منهم أو إلى قادة ملتزمين بممارساتها. تطلعات أمريكا بالنسبة للمنطقة وهي تطلعات تتبناها إدارات الحزبين كليهما؛ تمخضت عن تعبيرات بليغة عن نزعة الولايات المتحدة المثالية، إلا أن تصورات الضرورات الأمنية ونظيراتها المتعلقة بتعزيز الديمقراطية غالبا ما كانت متصادمة. أولئك الملتزمون بإشاعة الديمقراطية وجدوا صعوبة في الاهتداء إلى قادة يسلمون بأهمية الديمقراطية بوصفها شيئا آخر غير وسيلة لتحقيق سيطرتهم، في الوقت نفسه لم يكن رافعوا راية الضرورة الاستراتيجية قادرين على إثبات مدى أهلية الأنظمة القائمة للتطور في أي وقت بطريقة ديمقراطية، بل حتى إصلاحية. مؤكداً أن الربيع العربي بدأ كانتفاضة جيل جديد يدعو إلى الليبرالية الديمقراطية التي سريعاً ما نحيت جانباً وكبتت وسحقت. وقد أثبتت القوى المتجذرة في الجيش والدين في الأرياف أنها أقوى وأكثر تنظيماً من العناصر المنتمية للطبقة الوسطى التي كانت تتظاهر مطالبة بتحقيق الديمقراطية في ميدان التحرير[79].

بل إن الغريب أن يمضي كيسنجر إلى أبعد من ذلك، حين يقرر أن الولايات المتحدة لا تقدم حلولاً، ولا تساهم في حل الأزمات الاجتماعية للدول التي تدور في فلكها فيقول: "إن التقارب الدبلوماسي مع الولايات المتحدة لم يكن قادراً على حل مشكلات الأنظمة العسكرية القومية، كما لم يحل التقارب مع الاتحاد السوفييتي أي مشكلات سياسية، وكذلك فإن التعاون مع الولايات المتحدة لم ينزع فتيل الأزمات الاجتماعية. وهنا يتبدّى سؤال: ما دور الولايات المتحدة إذن، وهي التي تقوم باعتبارها حاملة مشعل القيادة في العالم؟! وهو حين يتحدث عن العراق يقول، إنه لم يؤد حلّ نظام صدام حسين القاسي إلى ديمقراطية بل إلى انتقام، حيث عمل كل فصيل على تعزيز سلطته ضد الفصيل الآخر"[80].

واعتبرت صحيفة (الغارديان) البريطانية الثورات العربية المتصاعدة تشكل تهديداً فعلياً للنظام الاستراتيجي العالمي، مؤكدة أن الغرب لا يكل ولا يمل أبداً في سعيه للسيطرة على الشرق الأوسط، مهما كانت العقبات، ومعيدة إلى الذاكرة سنوات الاستعمار الغربي للبلدان العربية بعد تقسيمها. وأكدت أن أميركا

وحلفاءها يحاولون ترويض الاسلاميين الصاعدين إلى حكم الدول العربية على السياسة الأجنبية اعتبارها (معتدلة) أما الباقي فسيظلون من (المتعصبين). وطالبت الصحيفة الدول العربية التي انطلقت فيها الثورات، إن أرادت أن تتحكم في مستقبلها، فعليها مراقبة ماضيها القريب وسنوات الاستعمار الغربي لبلدانها. وقالت في تقرير تاريخي موسع ان هذه الثورات التي اشتعلت شرارتها العام الماضي، ركزت على الفساد والفقر وانعدام الحريات، وليس على الهيمنة الغربية أو الاحتلال الإسرائيلي[81].

ومما يزيد من التأكيد على (نظرية التآمر الغربي على الإسلام)، وأن الغرب مهما تظاهر بالإنصاف وأنه لا يريد الإسلام في محاربته –كما يزعم– على الإرهاب، وبالرغم مما تداولته الصحف الفرنسية هذه الأيام من تأكيد رئيس الحكومة الفرنسية (مانويل فالس) في خطاب له أمام الجمعية الوطنية على ضرورة عدم الخلط بين الإرهاب والإسلام، والتي جاء فيها: "فرنسا ليست في حرب ضد الإسلام والمسلمين، بل هي في حرب ضد الإرهاب والإسلام المتطرف"، إلا أن كل الدلائل تفيد بعكس ذلك؛ حيث ذكر موقع (جلوبال ريسيرش) الكندي للبحوث: "أنه بعد هجمات (11 سبتمبر 2001 م)، أعلنت الولايات المتحدة الحرب على الإسلام وليس الإرهاب كما زعمت في البداية، وأصبحت كراهية المسلمين وجعلهم أداة لتخويف العالم، حيث باتوا اللعبة العادلة التي تملكها الغرب وواشنطن"[82].

ويضيف الموقع الكندي في تقرير نشره مطلع الأسبوع الجاري: " أن الولايات المتحدة تتعاون مع أصدقائها من الغرب مثل بريطانيا وألمانيا وفرنسا، حيث تتبع مجموعة هذه الدول سياسات معادية للمسلمين، مشيرا إلى أنهم يشنون حربا زائفة على الإرهاب، تحت ذريعة إرهاب الدولة وما يشكله من مخاطر عليها، ولكن في حقيقة الأمر يتم استهداف المسلمين الذين يتواجدون في المقاطعات والجماعات، خلال هذه الحرب وليس الإرهاب كما يدعون. ويشير الموقع الكندي إلى أنه بالفعل شهدت الأيام القليلة الماضية عدة احتجاجات معادية للإسلام بدأت في باريس ومدن أوروبية أخرى، تم خلالها الاساءة للمسلمين دينيا وعرقيا، كما أن هناك احتمالات بوقوع المزيد من أعمال العنف المتتابعة خلال الأيام القادمة، مؤكدا أنه من أجل المصالح الغربية يتم تنفيذ تلك الأعمال بأيدي المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي. ويرى التقرير أن المسلمين في وجه العاصفة أكثر من أي وقت مضى، بغض النظر عن هجمات باريس الكاذبة، مشيراً إلى أن فرنسا تلقي اللوم على المسلمين فيما يتعلق بمهاجمة صحيفة (شارلي إيبدو)، وتصفهم بالهمج، متجاهلة سياسات حلف الناتو ضدهم وقتل ملايين المسلمين العزل، غالبيتهم من الأطفال والنساء خلال السنوات الماضية، كما تتناسى باريس جرائم الإبادة الجماعية التي نفذها حلف الناتو في أفغانستان[83].

ويؤكد (جلوبال) أن الولايات المتحدة تستهدف عمداً المدنيين، ففي نوفمبر عام (2001م)، استهدفت الضربات الجوية الأمريكية العاصمة الأفغانية كابل، وخلال شهر ابريل عام (2003م)، قصفت

الدبابات الأمريكية فندق فلسطين في بغداد، حيث استهدفت الصحافيين الأجانب، لافتا إلى قتل إسرائيل نحو (2200) فلسطينيا خلال العدوان الأخير على غزة، بما في ذلك استهداف (17) صحفيا عمداً، لتمنعهم من الابلاغ عن الجرائم الإسرائيلية، لكن حينها لم يتحدث العالم عن قتل اليهود للمسلمين. ويختتم الموقع الكندي تقريره قائلا بأن كل ما سبق وتبعات الأحداث التي وقعت بعد هجوم (11) سبتمبر في أمريكا، (وشارلي إيبدو) في فرنسا تؤكد أن حرب أمريكا والغرب ضد الإسلام وليس الإرهاب كما تدعي؛ لتبرير استهداف المسلمين، وتضيق الخناق عليهم؛ تحت ذريعة مكافحة الإرهاب"[84].

وبالنظر إلى هذه التقارير وغيرها الكثير والكثير، تتضح لنا حقيقة المؤامرة الكبرى، والتي غايتها انتاج ثقافة جديدة في السياسة والنظم الاقتصادية والتعليمية والثقافية، والذي يسعى الغرب –أمريكا– بدوره لتثبيتها عبر ما يسمى بـ: (ثورات الربيع العربي) التي يرى البعض أن الغرب كان اللاعب الاحتياطي ابتداء؛ ثم أنه استغل مرض اللاعبين الأساسيين، وعجزهم عن إداء المباراة بالشكل المطلوب، عندها تولوا اللعب الأساسي ليصبحوا هم من يتولى زمام اللعب والسيطرة الكاملة من ورائها، فقام باحتضانها، ومولها بشكل خفي حتى بدت خيوط المؤامرة تنجلي واللمسات الغربية الامريكية القبيحة تظهر على السطح.

والذي يجب الا يغيب عن ذهن أي مسلم؛ ان الغرب عندما تبين له أن الحكام المستأجرين من قِبَلِهم، والذين كان وظائفهم تقوم على أنهم زعماء لتلك الدول والانظمة الاستبدادية، يسيرون الى نهاية الهاوية، قرروا استباق الأحداث، واعتمدوا طريقة للسيطرة تبدوا جديدة؛ وهي أنهم عمدوا إلى فكرة الاحتجاجات التي بدى الاعداد لها على ما يبدوا منذ فترة، والحال عندما تتدهور الأحوال في الدول الثائرة، يُترك خيال الاستنجاد يبدوا عيانا للناس كالسراب حتى إذا ما جاء الحكام الجدد تراءى للشعوب انها هي التي جاءت بهم، والواقع:﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[الحج: 39].

أما عند النظر إلى الشباب الذين اندفعوا وراء (الثورات الربيعية) من شباب الامة الإسلامية فإن الباحث يرى أن حالهم لا يخلوا من أصناف ثلاثة:

الصنف الأول:

أصحاب المعتقدات والأفكار، وهؤلاء أيضا لا يخلوا حالهم من صنفين:

1) غيور على الدين: يريد التخلص من النظام القائم الذي لم يجد معه الكمال الإيماني، الذي يحقق من خلاله الفلاح والنصر للامة الإسلامية.
2) داع إلى منهج أو فكر: لا يعدوا أن يكون منحرفا حاد عن كتاب الله وسنة النبي ﷺ وحاد عما عليه علماء أهل السنة والجماعة، وهذا هو الحال الذي نراه مع الدواعش في العراق وسوريا، وما نراه مع

مرجئة العصر في مصر الذين تأمروا على وأد تلك الثورات وما نلمسه واقعا وما نراه من الحوثيين في اليمن. وهذا الصنف هو الذي قصدته في رسالتي.

الصنف الثاني:

شباب بات همهم حمل مفاهيم الغرب ويهتفون وراء الديمقراطية والدولة المدنية، تم تضليلهم وخداعهم بأن ذلك لا يخالف الإسلام، فحملوا همّ تحقيق تلك المفاهيم والشعارات.

الصنف الثالث:

هم الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكان الغاية من خروجهم في تلك الاحتجاجات هو السعي لتأمين لقمة العيش لأهله وولده، والعيش في رغد؛ حاله كحال جيرانه من الدول الغنية.

المتابع للشارع السياسي، والمشاهد لمسرح الأحداث، ليجد أن الواقع الذي يعشه العالم الإسلامي يفرض عليه القيام ولو بجهد يسير تجاه هذه الأمة المتخمة بالجراح، بكشف عور تلك العصابات الإجرامية –شرعا وقانونا –ويسعى جاهداً في إيجاد حلولا تكون عوناً في خروجها من هذا المأزق. ولا أدري هل يدرك المجتمع المسلم أن معركته الحقيقية هي معركة إسلام وكفر، وإن كان المجتمع لم يدرك ذلك فعندها يؤلمنا أن نقول: أن أبناء الأمة ليسوا في مستوى التحدي القائم عليها من أعداها. والخديعة التي وقعت للأمة اليوم: هي الحقيقة المؤلمة التي لم تدرك الأمة من خلالها أنها تخدع، وتكمن في تغييب الشباب المسلم من الغاية الصحيحة؛ التي يفرضها علينا ديننا الحنيف والتي مفادها: أن تحقيق النظام الإسلامي؛ بالرغم من شموليته وكماله، أنه غير صالح أن يطبق في هذا العصر، وتنطلي هذه الخديعة بعدم قبول أن يصل الإسلاميون إلى الحكم.

والحق أنه لن يقوم الحكم الحقيقي الذي به فلاح الشعوب بدون تحقيق النظام الشمولي الكامن في الإسلام الحق. ولذا كان لازم على المسلمين أن يتنبهوا إلى تضليل الغرب لهم، بغية حرفهم عن العقيدة الصحيحة التي ينبغي عليهم قصدها، وأن يعووا كيد الأعداء، الذي جاء متمما لمقدمة كان بدأها ولا زال يمارسها بأيد المستأجرين من بني جلدتنا، ونسعى جميعا لإبطال تلك المشاريع الاستعمارية بالوكالة، ونسير سيراً صادقاً صحيحاً نحو بناء حضارتنا الإسلامية الغائبة، أو الضائعة إن صح التعبير، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أوائلها.

ولابد أن يستشعر شباب الأمة أنه:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة: 120]، قال الإمام القرطبي في التعليق على هذه الآية: " المعنى: ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من

الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم ما بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام، واتباعهم"[85].

فنقول: مهما حاول الغرب أن يلعب بالمشاعر الإسلامية؛ من الإفطار الجماعي في شهر رمضان في البيت الأبيض، وغير ذلك من المدح في المسلمين الذي يقدمه رؤساء البيت الأبيض، أو حكام الغرب، فإن الأصل لدينا واضح تجاههم، كما أن نظرتهم لنا لا يمكن أن تتبدل البتة، إذ أنهم يرون في الإسلام العدو الأكبر الذي يهدد كياناتهم وإمبراطوراتهم، ولهذا نجدهم يلصقون كل التهم بالإسلام مع التغيير في المسمى في بعض الأحيان، لئلا يجابهوا الإسلام مباشرة فقاموا بصناعة مسمى آخر وهو: (الإرهاب).

الحواشي

1 الدمشقي، عبد الودود، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010). ص7.
2 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، ت: الشايب وقنصوه، (نيويورك، مركز سيمون & شوستر روكفلر ط2، 1999). ص67.
3 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص70.
4 الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد، تفسير: تأويلات أهل السنة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج2، ص231.
5 ينظر: رفعت، أحمد محمد، والبيطار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، (باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1998م)، ص121.
6 عامر، صلاح الدين، قانون التنظيم الدولي، النظرية العامة، (القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1984م)، ص273.
7 المرجع السابق، ص 273.
8 الهرفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004)، ص7.
9 صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد 5 ديسمبر 2001م.
10 الهرفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (مرجع سابق)، ص7.
11 الدمشقي، عبد الودود يوسف، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مرجع سابق). ص24.
12 الهرفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها، مرجع سابق، ص18.
13 المنذري، مختصر أبي داود، ت: صبحي حلاق، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 2010)، وصححه الألباني في الصحيحة (11).
14 العظيم آبادي، عون المعبود شرح أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415)، باب النهي عن العينة، عن ابن عمر، ج9، ص242.
15 طحان، أحمد، عولمة الإرهاب، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 2004)، ص80، بتصرف.
16 السماك، محمد، الدين في القرار الأمريكي، (بيروت، دار النفائس، ط1، 1424هـ، ص 16، بتصرف.
17 هالس، غريس، يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، ت: محمد السماك، (القاهرة، دار الشروق، 2000م)، ص71.
18 العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 2004)، ص 1.
19 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص20.
20 المرجع السابق، ص47.
21 المرجع نفسه، ص47.
22 العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (مرجع سابق)، ص1.
23 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص 71.

24 المرجع نفسه، ص 73.

25 أحمد، فتحي، سياسة من لم يكن معنا فهو ضدنا، (فلسطين، مجلة دنيا الوطن، 28 أكتوبر 2009). HTTPS://PULPIT.ALWATANVOICE.COM

26 رحيمة، عزري، الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، (الجزائر، جامعة محمد خيضر، رسالة ماجستير قسم التاريخ، 2015)، ص25.

27 ملكاوي، معاذ، أمريكا وإيران أعداء من ورق، حلفاء على الأرض، (قطر، مدونات الجزيرة، 2017/5/24). HTTP://BLOGS.ALJAZEERA.NET

28 عزام، عبدا لله، التآمر العالمي، (بيشاور، مركز الشهيد عزام الإعلامي، *، ط1). ص28.

29 الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: HTTPS://DAWATALTAJDEED WORDPRESS.COM.

30 الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: (مرجع سابق).

31 المرجع السابق.

32 بارزي، تريتا، حلف المصالح المشتركة؛ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ت: أمين الأيوبي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008)، ص4.

33 العالم، جلال، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مرجع سابق)، ص32.

34 حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، جريدة المدن الإلكترونية، الخميس 2017/01/12، ALMODON.COM.

35 الرميمة، أبو عمر، حقيقة شعار الموت لأمريكا الموت لإسرائيل، 28 سبتمبر 2013م: HTTP://ALBURHAN.COM.

36 ابن تيمية، منهاج السنة، ت: محمد سالم، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986م)، ص414.

37 سحاب، إلياس، ذاكرة مجزرة صبرا وشاتيلا، 1982، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد: 55، صيف 2003)، ص137.

38 حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، (مرجع سابق).

39 ينظر: صحيفة الرأي العام الإلكترونية: 30 AUGUST 2015: HTTP://WWW.RAIALYOUM.COM.

40 صحيفة التحرير الإخبارية، 2016/06/29: HTTP://WWW.TAHRIRNEWS.COM.

41 الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (معلومات النشر غير معلومة تحسبا لأذى الحوثية، ط1، 2010)، ص80.

42 مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن؛ الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، (صنعاء، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، 2008)، ص153.

43 المجالي، نصر، هل كانت ثورة الخميني أمريكية، (لندن، وكالة إيلاف الإلكترونية، 03 يونيو 2016).

44 الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (مرجع سابق)، ص76. بتصرف.

45 حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، (مرجع سابق).

46 لوبون، غوستاف، روح الثورات، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط3، 2013)، ص26.

47 هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، ضمن مقالات ينشرها موقع CNN بالعربية بالتعاون مع صحيفة الشروق المصرية، 02 ديسمبر 2014. HTTPS://ARABIC.CNN.COM.

48 محمد، أحمد، مقال: الثورات العربية في سياق الربيع العربي والديمقراطية، 09 مايو 2015، موقع: HTTP://WWW.JADALIYYA.COM/.

49 بو خصاص، محمد كريم، دراسة ترصد تشاؤم الأمريكيين من تحولات «الربيع العربي»، نشر في جريدة التجديد 24 اكتوبر 2012.

50 أستاذ السياسة المقارن من جامعة تمبل الأمريكية، ذكر ذلك في إحدى محاضراته التي ألقاها في كلية سوارثمور في خريف ٢٠١٤م. نقلا عن مقال: الثورات العربية في سياق الربيع العربي، (مرجع سابق).

51 هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، (مرجع سابق).

52 رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (مجلة شئون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، عدد، 145، 2011). بتصرف، ص5-13.

53 رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (مرجع سابق). بتصرف من ص5-13.

54 عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، (مرجع سابق)، ص84.

55 سنغاس، دييتر، الصدام داخل الحضارات، ت: علي مولد، (القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 2008)، ص137.

56 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، ت: الشايب، (نيويورك، (نيويورك، سيمون & ششوستر، ط2، 1999). ص503.

57 المرجع السابق

58 أمين، جلال، رد الاعتبار لنظرية المؤامرة، مدونة رحلة تفكر، 1434/8/17هـ، HTTP://WWW.REHLATTAFAKKOR.COM

59 الهرفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004)، ص11.

60 أبو غضة، زكي السيد، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، (مصر، دار الوفاء، ط1، 1423هـ)، ص 21.

61 الأصبهاني، عبد الله بن محمد، أخلاق النبي وآدابه، ت: صالح الونيان، (السعودية، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998)، ج3، ص271.

62 ينظر، جميل عطية، وصلاح عيسى، صك المؤامرة وعد بلفور 2_11_1917، (القاهرة، دار الفتى العربي، ط1، 1991م).

63 ينظر: أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، ت: محمد عبده، (بيروت، دار ابن حزم، ط2، 1995م)، ص20، بتصرف

64 كتاب من تأليف الوزير الروماني ت. ج. دجوفارا، وزير دولة، ومبعوث فوق العادة إلى العاصمة الآستانة، كتبه بالفرنسيَّة، وظهرت الطبعة الأولى منه في باريس عام 1914م.

65 ينظر: أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، مرجع سابق، ص24، (بتصرف).

66 ينظر، النعماني، بسام عبد القادر، مائة عام على اتفاقية ساسي بيكو، (تونس، مركز جامعة الدول العربية، ط1، 2017).

67 الحوالي، تخطيط أعداء الله للقضاء على الصحوة الإسلامية، الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي:HTTP://WWW.ALHAWALI.COM.

68 المرجع السابق.

69 الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: علي الفقيهي، (مرجع سابق)، ص13.

70 كما نص عليه الدارمي والإمام أحمد وغيرهما.

71 الثيوصوفية: هي أصل الصوفية ومعناها الحكماء الإلهيون، وقد ذكره الملطي ضمن الزنادقة.

72 ينظر: مذكرات كلنتون، هيلاري، مذكرات. ترجمة، ميراي يونس، (بيروت، شركة المطبوعات، ط1، 2015).

73 الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، (بيروت، دار القلم، ط1، 2013)، ص121. (مؤتمر أمريكا والعالم الإسلامي، المنعقد في الدوحة 2010/02/10).

74 ينظر: د. المناعي شمسان، (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، الثلاثاء 02 سبتمبر 2014 م، العدد[13062].

75 الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص122.

76 د. المناعي، شمسان (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، (صحيفة الشرق الأوسط، 02/ 09/ 2014، عدد [13062])

77 وزير الخارجية الأمريكي السابق.

78 كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كتجر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015) ص126. بتصرف

79 كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كتجر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015)، ص127. بتصرف

80 المرجع السابق، ص145.

81 صحيفة غارديان البريطانية: الغرب لن يسمح للثورات العربية بالخروج عن سيطرته، / 2012/02/02، نقلا عن موقع: HTTP://WWW.AMMONNEWS.NET.

82 التهامي، الولايات المتحدة والغرب يحاربون الإسلام لا الإرهاب، (الخميس 22 يناير،2015)، عن موقع: HTTP://ELBADIL.COM

83 المرجع السابق.

84 التهامي، جلوبال ريسيرش: الولايات المتحدة والغرب يحاربون الإسلام لا الإرهاب، (مرجع سابق).

85 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (مرجع سابق)، ج2، ص93.

الباب الرابع

التيارات الفكرية وأثرها على الربيع العربي

اختلاف الأمة وافتراقها

هناك تفاوت بين الاختلاف والافتراق، لأن الاختلاف لا يفسد الود، ولا يؤدي إلى مفسدة، بل الغاية منه هو البحث عن الحق باختلاف مفهوم الدليل لدى أهل العلم من المجتهدين، أما الكلام عن الافتراق؛ فإنه يعني الكلام على مرض انتشر، وفتّ في جسد الأمة الإسلامية، فكما أن الأجساد تمرض ويوهنها المرض، فكذلك الأفكار تمرض ويعيها الافتراق، وعندما يُهمل المرض ولم يعالج العلاج اللازم بلا شك أن النتيجة ستكون عكسية، وسيتسبب المرض في آثار قد تطول مع ذلك المرض، وربما لا تزول، إلّا أن يشاء ﷻ زوالها.

كذلك الأفكار إذا لم تعالج العلاج الصحيح فإنها سبب في وهن الأمة وسهولة الانقضاض عليها من أعدائها. ومن هذه التيارات التي أثرت في الأمة هي تلك التيارات المنحرفة التي قويت بعد ظاهرة الربيع العربي، والغاية من ربط تلك الانحرافات بالربيع العربي، هو ما كان للربيع العربي من دور كبير في إنعاشها؛ إذ لم تكن لتظهر هذا الظهور لولا أن الفرصة كانت مواتية لها حين اشتعل فتيل الربيع العربي. وقد يقول قائل مسكين ذلكم الربيع العربي يُرمى على عاتقه كل ما هو قبيح، مع أنه جاء جميلا، ومخلصا للشعوب المضطهدة والمنهوبة، وحاملا أزهار النجاة لهم!

أقول صحيح ما يقال، ولكن لم أقصد بذلك ظلم الربيع العربي لتلكم الشعوب، ولكن الذي أقصده هو أن الربيع العربي قد ظُلم من تلك التيارات، والتي تسلقت على أكتاف المخلصين الصادقين ممن نهض في وجه أولئك الطغاة –وكم هم كثير في تلكم المجتمعات، وتلكم الثورات– غير أن هؤلاء المنحرفين للأسف هم من سلبوا حقوق أولئك حقيقة؛ فالشباب المخلص هم من بدأ ببذرة المواجهة في تلك الاحتجاجات، ولكن جاء من سرق منهم ذلك المجهود، بل وخذلهم، وأقصاهم من أبسط الحقوق والصلاحيات، هذا ما أردتُ بإنعاش الربيع العربي للانحرافات الباطلة، وظلمها للربيع العربي.

المطلب الأول: اختلاف الأمة والأسباب المؤدية إليه:

كان أول خلاف ظهر في الأمة كان عند وفاة الرسول ﷺ، فمنهم فمن قائل مات، وقائل قد رفع عند ربه وسيعود، ولكن هذا الخلاف تلاشى في حينه عندما ذكّرهم أبو بكر رضي الله عنه بقول الله تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: 144]. ثم نشأ خلاف آخر؛ وهو أين يتم دفنه ﷺ، ولكن سرعان ما زال ذلك الخلاف أيضا حين ذكر لهم الصِّديق قول الرسول ﷺ: (لم يقبر نبي إلا حيث يموت) [1]. ولكن كل هذا الخلاف كان خلافا اجتهاديا لم يؤدي إلى تفرق الصحابة إلى شيعا واحزابا، بل قيض الله له الصديق فوأده في مهده. وفيما يتعلق بالافتراق والاختلاف في الأمة، فمن خلال الاستقراء نجد أن الاختلاف بين الأمة منذ نشأته إلى يومنا الحاضر يدور في فلكين، وتعتبر هي الأسباب الرئيسة لحدوث الافتراقات فيها، وهما: أسباب فكرية، وأخرى سياسية.

ولأن دراستنا مقررة حول الانحرافات الفكرية المتعلقة بالتيارات التي انتعشت مع ثورات الربيع العربي، وكذلك خصصت الدراسة الكلام على تيارين من تلك التيارات وهما: (وهما الخوارج والرافضة) وذكر التيارين المتوافقة لهما في العصر الحديث وهما (داعش والحوثية)، لذلك فإننا سنقتصر على الأسباب المتعلقة بهاتين الطائفتين، فيما يتعلق بهذين السببين، والتي وافقت (الخوارج، والشيعة)، وإيراد السبب المرتبط بهما. وذلك حتى لا نسترسل في الفرق التي كان لظهورها تعلق بالسبب السياسي، تفاديا للإطالة.

أسباب الاختلاف إجمالا:

عن سعيد بن المسيب قال: " وقعت الفتنة الأولى – يعني مثل عثمان – فلم تبق من أصحاب بدر أحد، ثم وقعت الفتنة الثانية – يعني الحرة – فلم تبق من أحاب الحديبية أحدا، ثم وقعت الفتنة الثالثة – فلم ترتفع وللناس طَبَاخ"[2]. وواضح من كلام ابن المسيب رحمة الله أن فتح باب الفتنة في الأمة حصد بمقتل عثمان وقد أرنا إلى ذلك وسياتي معنا عند الكلام على الخوارج.

السبب الأول: الخلاف السياسي:

عند الكلام عن السبب السياسي فإن الدراسة ستحصر هذا السبب في التيارين التي كان سبب ظهورهما متعلق بالسبب السياسي، وكما أوضحت فإن الدراسة ستربط هذا السبب بفرقة الخوارج وفرقة الشيعة، وقد سبق أن ذكرنا النشأة والتعريف بهما.

وبالعودة إلى الخلاف السياسي التذي طرأ في الأمة بعد موت النبي ﷺفإن حادثة موت النبي ﷺ، قد أحدثت خلافا بين الصحابة فيمن يلي الأمر بعده ﷺ، ولكن بعموم الخلافات التي وقعت في عصر الشيخين، فغن الخلاف لم يعدوا أن يكون خلافات اجتهاديا لم يصل إلى حد الفرقة ورفع السيف بين الصحب الكرام رضي الله عنهم، وهذا الخلاف الذي طرأ عليهم في أمر الإمامة والخلافة من بعده، أُخمد في حينه واستقر الأمر واجمع الصحابة على خلافة الصِّديق. ثم حدث خلاف أيضا في مسألة قتال من امتنعوا عن أداء الزكاة، وكان الحسم من صاحب الرأي المسدد والموفق، الصِّديق رضي الله عنه، وجزاه خير الجزاء عن الأمة[3].

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "كان الإتلاف بعد الرسول ﷺ في الإمامة. ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر –رضوان الله عليه– وأيام عمر إلى أن ولى عثمان بن عفان –رضوان الله عليه– وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين وعن سنن المحجة خارجين فصار ما أنكروه عليه اختلافا إلى اليوم ثم قتل –رضوان الله عليه–! – وكانوا في قتله مختلفين فأما أهل السنة والاستقامة فأنهم قالوا كان –رضوان الله عليه– مصيبا في أفعاله قتله قاتلوه ظلما وعدوانا وقال قائلون بخلاف ذلك وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم"[4].

ولقد كُتبت الكثير من الأبحاث والدراسات حول سيرة عثمان – رضي الله عنه– وكلها تشير أن الخلاف الذي نشأ لم يكن في مسائل الأصول، ولكن حول الرأي والاجتهاد في مسائل الحكم وتولية الأشخاص.

"ثم بويع علي بن أبي طالب –رضوان الله عليه– فاختلف الناس في أمره فمن عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم"[5]. ما قاله الإمام حول خلافة الإمام علي؛ رضي الله عنه، مستمر في التدفق حتى يومنا هذا، وقد يستمر ولا ندري إلى أين سيصل، لكن ما نحس به هو أنه ساهم ولا يزال في تفريق شمل الأمة الإسلامية وفتيت قوتها؛ سيما وأن الخلاف في النظرة إلى الخلافة وليس أصل العقيدة.

"ثم حدث الخلاف في أيام علي في أمر طلحة والزبير – رضوان الله، عليهما! – وحربهما إياه وفي قتال معاوية إياه وصار علي ومعاوية إلى صفين"[6].

و قال الإمام الإسفراييني: " اختلفوا بعد ذلك — أي الصحابة – في الإمامة وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة، وقالت قريش إن الإمامة في قريش، ثم أذعنت الأنصار لقريش، ولكن هذا الخلاف باق إلى اليوم لأن الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، ثم اختلفوا في قتال ما نعي الزكاة، ثم اتفقوا

على رأي ابي بكر في وجوب قتالهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال طليحة حين تنبأ وأرتد حتى انهزم إلى الشام ثم رجع في أيام عمر إلى الإسلام، وشهد حرب القادسية، ثم نهاوند وقتل بها شهيدا، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة الكذاب إلى أن كفي الله تعالى أمره وأمر سجاح والأسود العنسي، وأمر المرتدين، إلى أن كفي الله تعالى أمرهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله لهم الفتوح، وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع في الفقه، ...، ولم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا وكانوا على هذه الجملة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان[7]

ولو تأملنا في الخلاف الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم عند وفاته ﷺ لوجدنا أنهم لم يسمحوا لذلك الخلاف بالتوسع في حينه، لأنهم كانوا لا يخرجون عن قول الله وقول رسوله ﷺ، وكان لوجود الرجل الحكيم الرشيد بينهم دور كبير في إخماد الفتنة، فأين ذلك العقل الرشيد في هذا الزمان؟ وأين تلكم الحكمة من أولئك الذين نهبوا خيرات المسلمين؟ ممن عميت أبصارهم وبصائرهم حب السلطة فسفكوا الدماء واستباحوا الاعراض، وأشعلوا نار الفتنة بدل اخمادها، أما الصَحبُ الكرام فهم مجتمعون على الكتاب والسنة، لذا سمُوا الجماعة؛ والجماعة التي مدحها النبي الكريم ﷺ هي المعتصمة بحبل الله؛ وحبل الله هما الوحي: كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. وهكذا الحال كل فتنة إنْ وَجَدَتْ من يتصدى لها بحكمة وعلم، ويردّ الأمور إلى مضانها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنها سوف تخمد في مهدها ولن تتسع.

وجماع أمر هذه الطائفتين فيما يتعلق بالجانب السياسي، وهو قضية الحكم أو الخلافة، ولو استعرضنا لنشأة الخوارج مثلا؛ فإن الخروج الفعلي للخوارج التي ظهرت به وكان له الدور الأهم في نشوء الخلاف في الأمة الإسلامية هو خروجهم على خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتله في بيته، ولذا نرى أن علماء الإسلام عندما أرادوا التعريف بهذه الفرقة أحالوا ذلك إلى النشأة الأولى لها، فعندما عرفهم الإمام الشهرستاني قال: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة، عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"[8]. وخصهم الإمام الأشعري بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي فقال: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"[9]. ولأن الفكرة هي فكرة الخروج على الإمام فقط جاء تعريف الإمام ابن حزم أعم وأشمل ممن خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن"[10].

وعند الكلام عن الحالة نفسها في عصرنا الحاضر نرى أن مسألة "الحكم بما أنزل الله" هو جوهر البنية الفكرية للجهاد العالمي، وهو في سبيل ذلك يبني تصوراته ومشروعية ممارساته على ما يسميه "الشريعة"

وهي –عنده– مرادفة للفقه؛ لا فرق، ولذلك حين يُلقي بعض الكتَّاب باللائمة على الفقه الإسلامي؛ الذي يُنتج مثل هذا الفهم الكارثي إنما يقعون أسرى التصور الجهادي نفسه، فالنظر إلى الإمكانات التي يتيحها الفقه الإسلامي من قبل مستثمريه يتيح أيضًا مشروع الإخوان المسلمين المناقض له تمامًا كما يُتيح غيره من المشاريع، وهو ما يعني أن النص الفقهي لا يمكن له أن يفسر ظهور مثل هذه الظواهر، ولاسيما أنه نص قديم في حين أن هذه الظواهر الجهادية والسياسية حديثة جدًّا. كما أننا لا يمكن تجاهل أن الإخوان المسلمين هم من بدأوا تشكيل المذهبية السياسية للدين حين حاولوا أن يعوضوا غياب الخلافة التي سقطت بمشروع الدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة تمهيدًا لاستعادة الخلافة، ثم سعَوا إلى بناء النظام الإسلامي الشامل الذي يَقطع مع الأنظمة السائدة في مختلف المجالات، إلا أن تلك الأفكار سَرَت وانزلقت إلى مشروع الجهاد العالمي؛ ولكن بأدوات وأساليب مناقضة لما رجاه الإخوان[11].

ولذا عندما ربطنا هذه الفرقة بالسبب السياسي فإن ذلك يبدوا واضحا من كلام الأئمة في سبب خروج هذه الفرقة، والتي تقمصت الثوب الإصلاحي، وهو ما نراه جليا على التيار المسدل من هذه الطائفة في العصر الحديث وهو تنظيم الدولة الإسلامية، فهو كحال من سبق خرج على المسلمين بعد ظاهرة الربيع العربي باسم الإصلاح والرجوع إلى تحكيم الشريعة، ولا شك أن هذا مطلب شرعي، لا يناقش في ذلك أحد، غير أن التنظيم لم يتبع الطرق الشرعية في تلك المطالب. "لا يخرج تنظيم الدولة عن منظومة فكر الجهاد العالمي الذي يقوم على أصول وفروع، فالأصل الذي تُجمِع عليه تنظيماته كافةً يتلخص في تحكيم "شرع الله"، وإقامة "الحكم الإسلاميّ" المتمثل في الخلافة/الدولة الإسلامية، ولا يتحقق ذلك إلا بالجهاد، ومن هذا الأصل القطعي لديهم تتناسل كل المفاهيم والتفاصيل والإجراءات التي سميناها فروعًا ويقع فيها الخلاف"[12].

السبب الثاني: الخلاف الفكري:

يعتبر الخلاف الفكري متمخض عن الخلاف السياسي بادئ الأمر، إذ لم تجد الطوائف المخالفة بدٌ من إلحاق القضايا الفكرية بالقضايا السياسية، فعندما جاءوا ليواصلوا لطريقتهم شرعنوا لها مسائل تتعلق بالعقيدة كي يروا أنهم لم يخالفوا المسلمين عن هوى أو أطماع سياسية، فكانت قضية مسمى الإيمان الذي اشتهرت بين أهل السنة وأولئك المخالفين، وكان الخلاف القائم هو حول مرتكب الكبيرة، هل هو لا يزال ضمن دائرة الإيمان؟ كما يقول بذلك أهل السنة. أو هو خارج عنها أو هو في منزلة بين المنزلتين كما يقول المخالفون.

حدث فِي زمَان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم وتبرأ مِنْهُم الْمُتَأَخّرُونَ من الصَّحَابَة كَعبد الله بن عمر وَجَابِر بن عبد الله، واوصوا اخلافهم بِأَن لَا يسلمُوا على الْقَدَرِيَّة وَلَا يصلوا على جنائزهم وَلَا يعودوا مرضاهم. ثمَّ اخْتلفت الْخَوَارِج بعد ذَلِك فِيمَا بَينهَا فَصَارَت مِقْدَار عشْرين فرقة كل وَاحِدَة تكفر سائرها. ثمَّ حدث فِي ايام الْحسن الْبَصْرِيّ خلاف وَاصل بن عطا فِي الْقدر وفي الْمنزلَة بَين المنزلتين وانضم اليه عَمْرو بن عبيد بن بَاب فِي بدعته فطردهما الْحسن عَن مَجْلِسه فاعتزلا عَن سَارِيَة من سواري مَسْجِد الْبَصْرَة فَقيل لَهما ولاتباعهما معتزلة[13].

اما الروافض فان السبابة مِنْهُم اظهروا بدعتهم فِي زمَان على رَضِي الله عَنهُ، فاحرق عَليّ قوما مِنْهُم وَنفي ابْن سبأ الى الْمَدَائِن، وَهَذِه الْفرْقَة لَيست من فرق أمة الإسلام؛ لتسميتهم عليا الها. ثمَّ افْتَرَقت الرافضة بعد زمَان عَليّ رَضِي الله عَنهُ اربعة اصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقا والامامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة مِنْهَا تكفر سائرها وَجَمِيع فرق الغلاة مِنْهُم خارجون عَن فرق الْإِسْلَام فإما فرق الزيدية وَفرق الامامية فمعدودون فِي فرق الامة[14].

وَظهرَ خلاف الضرارية من ضرار بن عَمْرو وَخلاف الْجَهْمِية من جهم بن صَفْوَان وَكَانَ ظُهُور جهم وَبكر وَضِرَار فِي ايام ظُهُور وَاصل بن عطا فِي ضلالته، وَظَهَرت دَعْوَة الباطنيةَ من عبد الله بن مَيْمُون القداح، وَلَيْسَت الباطنية من فرق مِلَّة الإسلام، بل هِيَ من فرق الْمَجُوس[15].

فأما الزيدية من الرافضة فمطمعها ثَلَاث فرق وهي الجارودية والسليمانية وَقد يُقَال الحريرية ايضا والبترية وَهَذِه الْفرق الثَّلَاث يجمعها القَوْل بإمامة زيد بن على بن الْحُسَيْن بن على بن ابى طَالب. واما الامامية الْمُفَارقَة للزيدية والكيسائية والغلاة فإنها خمس عشرَة فرقة، وَأما الْخَوَارِج فإنها لما اخْتلفت صَارَت عشْرين فرقة، وافترقت الإباضية مِنْهَا فرقا حفصية وحارثية ويزيدية، واليزيدية مِنْهُم اتّبَاع ابْن يزِيد بن أنيس لَيست من فرق الاسلام لقولها بَان شَرِيعَة الاسلام تنسخ فِي آخر الزَّمَان ببنى يبْعَث من الْعَجم. وَكَذَلِكَ فِي جملَة العجاردة فرقة يُقَال لَهَا الميمونية لَيست من فرق الاسلام لأنها أَبَاحَتْ نِكَاح بَنَات الْبَنَات وَبَنَات الْبَنِينَ كَمَا أباحته الْمَجُوس[16].

واما الْقَدَرِيَّة الْمُعْتَزلَة عَن الْحق فقد افْتَرَقت عشْرين فرقة كل فرقة مِنْهَا تكفر سائرها، ثِنْتَانِ مِنْهَا ليستا من فرق الاسلام وهما الحائطية والحمارية. وَأما المرجئة فَثَلَاثَة اصناف صنف مِنْهُم قَالُوا بالإرجاء فِي الايمان وبالقدر على مَذَاهِب الْقَدَرِيَّة فهم معدودون فِي الْقَدَرِيَّة والمرجئة، وصنف مِنْهُم قَالُوا بالإرجاء فِي الايمان ومالوا الى قَول جهم فِي الاعمال والاكساب فهم من جملَة الْجَهْمِية والمرجئة، وصنف مِنْهُم خَالِصَة فِي الإرجاء من غير قدر، وهم خمس فرق يونسية وغسانية وثوبانية وتومنية ومريسية[17].

وأما أهل السّنة وَالْجَمَاعَة من فريقي الرَّأْي والْحَدِيث دون من يشترى لَهو الحَدِيث وفقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحَدِيث مِنْهُم كلهم متفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته وَفِي اسمائه وَصِفَاته وفي ابواب النُّبُوَّة والإمامة وفي احكام العقبى وفي سَائِر اصول الدّين وانما يَخْتَلِفُونَ فِي الْحَلَال وَالْحرَام من فروع الاحكام وَلَيْسَ بَينهم فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ مِنْهَا تضليل وَلَا تفسيق وهم الْفرْقَة النَّاجِية[18].

ومن خلال الاستقراء والنظر إلى عموم الأسباب الدافعة للاختلاف عند المخالفين لأهل السنة نجده من خلال الاستقراء لا يخلو من الحالات التالية:

الأولى: إما بسبب شبهة طغت على نفس صاحبها، فترك العنان لداعيها فاسترسل بها فيما يصلح وما لا يصلح من أمور العبادات، تمخضت عنها بدعاً أضحت كفيلة لانحراف فئات من الناس، ونتجت عنها فرقاً وأحزاباً، كانت سببا في شتات المجتمع المسلم.

الثاني: بسبب التأثر بمن حولهم من أصحاب الديانات الفلسفية؛ التي غزت ديار المسلمين. فعندما غزى المسلمون فارسَ والروم، أوصلوا إليهم كتاب الله رطبا نقيا، بالمقابل تأثر ضعاف الإيمان بما عندهم من المعتقدات المنحرفة، فما كان منهم إلا أن عادوا إلى ديار المسلمين بتلك الفلسفات المضللة.

الثالث: بسبب ما كان من أصحاب الهوى؛ الطامعين في الملك والزعامة، وكانوا أضحوكة في يد أعداء الأمة، يلعبون بهم كيف شاءوا، فثاروا لأجل ذلك الطمع وأخذوا في القتل والسلب في بني ملتهم، وما ذاك إلا لينالوا حظا من هذه الدنيا الفاتنة.

وجميع أولئك كانوا ممن قدموا العون البالغ لأعداء الملة الذين يكيدون بنا الدوائر، لزعزعة الإسلام من نفوس أهله، كما نجد أنهم قدموا أعظم خدمة لأولئك الأعداء شعروا أو لم يشعروا، فهم رأس البليات التي ما فتئت أن فتّت في جسد المجتمع المسلم.

كما أردت من ذكر الفرق، لفت الأنظار إلى موطن الخلاف الحاصل بين أتباع الفرق؛ كي ينأون بأنفسهم أن يقعوا فيما وقع فيه من سبقهم ممن كان لهم اليد الطولى في تفريق المسلمين وضعفهم وهوانهم.

إن الرجوع إلى الحق، ليس بالأمر العسير، بل هو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو أولى من التمادي في الباطل لقوله ﷺ: (تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُم إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي)[19]، وقوله: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ مُوسَى فِيكُمْ فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي، أَنَا

حَظُّكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ) [20]. لذلك كان الاعتراف بالحق فضيلة، ومنها يمكن أن يكون أول نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالَّة بالمسلمين، ويتخذ سببا للعلاج ينفع الله بها؛ لأن التعرف على الدواء الناجع، يتطلب التعرف الداء. ولو تخلص المسلمون من الأسباب المؤدية للانحرافات التي سبق ذكرها؛ لكان بإذن الله تعالى أدعى لجمع كلمتهم، والرجوع لمجدهم، والعودة لسؤددهم، والتمكين لانتصاراتهم على أعداءهم، ودحر شراذم الكفر والطغيان، ويسبق العودة لذلك هو النية الخالصة والإرادة الصادقة، فالأصل الذي قام عليه الأوائل لا زال حاضر بيننا، وما أصلح الأولين، حري أن يصلح الآخرين، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالأساس قائم، وبقوة تماسك هذا الأساس يكون قوة البنيان.

المطلب الثاني: مفهوم أهل السنة، والوعيدية والمرجئة:

أولا: مفهوم أهل السنة:

قبل الولوج إلى مستنقع التيارات المنحرفة، رأيت أن نغترف غرفة من منهل أهل السنة الصافي، وإلا فإن الأصل أنه لم يعد هناك حاجة إلى تعريف أهل السنة، في بحث يحذو حذو أهل السنة، لأنه ليس من الممكن أن تحتاج المعرفة إلى تعريف؟ فالمعرّف لا يحتاج أن يعرَّف؛ يقول الدكتور القفاري: "أهل السنة هم الامتداد الطبيعي لأهل الإسلام الذي انشق عنه المخالفون، فالمخالف هو الذي يُحتاج إلى تعريفه؛ لمفارقته الجماعة وانحرافه عن الحق، ولذا عُرف كل مبتدع ببدعته، ونُسب إلى عقيدته، أو إلى مخترع مقالته"[21].

إن المرء ليعجب عندما يرى أن دولة دكتاتورية كروسيا؛ ترعى مؤتمرا بعنوان: (من هم أهل السنة؟)، بل وتجازف في محاوره بمصادمة تستقطب لها النفوس الغبية، بأن جعلت أهل السنة طائفة من طوائف الإسلام المحدثة، لأنها حرصت في ذلك المؤتمر أن تجرد علماء أهل السنة؛ من صفة أهل السنة؛ ويا ليت شعري من دولة رفعت شعار العداء للمسلمين صراحة، وتبيد أهل السنة في أفغانستان وطاجكستان والقفقاز، ثم نراها تسعى لمؤتمر عن مفهوم أهل السنة، وكأن روسيا الشيوعية الصليبية، تريد إخبار العالم أن من قاتلتهم ونفتهم في أفغانستان وطاجكستان وداغستان والشيشان بالأمس، واليوم في سوريا والعراق، أن هؤلاء جميعا ليسوا من أهل السنة، ويزداد الأمر عجبا أن تهدف روسيا في مؤتمرها ذلك أنها إنما قامت بتلك الإبادة لتلك الشعوب لغرض الدفاع عن أهل السنة! كونها ترى أنهم ليسوا من أهل السنة بنظرها.

عندما يأتي لفظ:(السنة) في كلام السلف فإنه يتناول الاعتقادات والعبادات، ثم استقر عند المتأخرين بالاعتقادات. قال الأوزاعي في قوله ﷺ: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء) [22]: " أما

إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد. قال ابن رجب: ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف الكثير من مدح السنة، ووصف أهلها بالغرباء، فكان الحسن يقول لأصحابه: "يا أهل السنة! ترفقوا –رحمكم الله– فإنكم من أقل الناس". وقال يونس بن عبيد: "ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها". وعن سفيان الثوري قال: "استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء". ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: هي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات، ...، إلى أن قال: ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة"[23].

وقد أكد على ذلك إمام جار الهجرة الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن أهل السنة قال: " أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي. وتارة يقول: " هم ما لا اسم لهم غير السنة"وتلا:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: 153]."[24].

ويؤكد قول الإمام مالك ذلك ما قاله الإمام الشاطبي: "وما يميز أهل السنة، هو أن ليس لهم لقب يضاف إليهم وينتسبون إليه سوى السنة، خلافاً لأهل البدع؛ فإنهم تارة يضافون إلى مؤسس أو طريقة كالخوارج، والقدرية، والمرجئة، نسبوا لطريقتهم، والجهمية، والنجارية، والكلابية، الاباضية، نسبة إلى مؤسسيها، أما أهل السنة فإنهم ناجون من هذا كله. ومرة أخرى أجاب بقوله[25]:

وقال الإما الشافعي: "فرض الله على الناس اتّباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾، مع آي سواها ذكر فيهِنَّ الكتاب والحكمة. فقال: فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فَسمِعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ"[26].

وقال أيضا: " وليس يخالف الحديث القرآن، ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ما أراد خاصا وعاما، وناسخا ومنسوخا ثمَّ يلْزم النَّاس ما سنّ بفرْض الله فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل"[27].

من كلامه رحمه الله يؤكد على تلازم السنة للقرآن، وعليه من قال نأخذ بالقرآن فقط كما عليه القرآنيون يلزمه الآخذ بالسنة، وإلا لم يحقق مفهوم (شهادة أن محمدا ؤسول الله)، ومن لم يحقق ذلك لما شك أنه لم يحقق الإسلام، وهذا من مفهوم المغايرة الذي يرى من قوله: " فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل"؛ أي من م يقبل عن رسول الله ﷺ فعن الله لم يقل.

وقال الإمام أحمد عن أصول أهل السنة هو: " التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، وَالسّنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدْرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الإتباع وترك الهوى"[28].

نجد الإمام أحمد –رحمه الله– يركز في كلامه على السنة في التحذير من ضدها، من البدع والضلالات، كما يكمل على قول الشافعي في التعامل مع القرآن عن طريق السنة، الذي هو دلالة عليها.

وقال الألوسي: " السنة في الأصل تقع على ما كان عليه الرسول ﷺ، وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه؛ حتى الهَدْي والسمت، ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة؛ من إثبات الأسماء والصفات، خلافاً للجهمية المعطلة النفاة، وخصت بإثبات القدر، ونفي الجبر، خلافاً للقدرية النفاة، وللقدرية الجبرية العصاة، وتطلق – أيضاً – على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل، والكف عما شجر بين أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسمياته؛ لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: (الحج عرفة)[29]، أو لأنه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم، لذا سمى العلماء كتبهم في هذه الأصول السنة"[30].

نجد الإمام الألوسي سلك طريقا آخرا في مفهوم السنة، فجزء من كلامه متعلق بمفهوم السنة عن المحدثين، والجزء الآخر من كلامه متعلق بمنهج السنة عند الأصوليين.

هناك معنى عام، وآخر خاص، في التعريف بأهل السنة، فعندما يطلق بالعموم: فإنه يراد به جميع الطوائف المنتسبة للإسلام إلا الرافضة، وعندما يطلق ويراد المفهوم الخاص؛ فإنه يراد به أهل السنة الخالصة المخالفة لأهل البدعة.

كما نجد بعض العلماء من أهل السنة يستخدم أحياناً تعريف أشمل للسنة بذكر بعض الأصول التي عرفوا بها، كما عرفهم به سفيان بن عيينة بقوله: " السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا يقطع بالشهادة على مسلم"[31].

وقد وصفهم أبو منصور الإسفراييني بما هم عليهم من مجمل الاعتقاد بقوله: " أهل السّنة والجماعة من فريقي الرَّأْي والحديث دون من يشترى لهو الحدِيث وفقهاء هذيْن الفريقيْن وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلموا

أهل الحَدِيث مِنْهُم؛ كلهم متفقون على مقالة واحدة في توْحيد الصَّانع وصفاته وعدله وحكمته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أبواب النّبوة والإمامة، وفي أحكام العقبى، وفي سائِر أصول الدِّين، وإنما يختلفون في الحلال والحرام؛ من فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منْها تضليل ولا تفسيق. وهم الفرقة النَّاجية، ويجمعها الاقرار بتوحيد الصَّانع وقدمه، وقدم صِفاته الأزلية، واجازة رُؤيته، من غير تشْبيه ولا تعْطِيل، مع الاقرار بكتب الله ورُسله، وبتأييد شريعة الإسلام، وإباحة ما أَباحهُ القرآن، وَتحريم ما حرمه القرآن، مع قيود ما صحَّ من سنة رسُول الله ﷺ، واعتقاد الحشر والنشر، وسؤال الملكيْن في القبْر، والاقرار بالحوض والميزان، فمن قال بهذِهِ الجهة التي ذكرناها ولم يخلط إيمانه بها بشيءٍ من بِدَع الخوَارج والرّوَافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرْقة النَّاجية؛ إن ختم الله لهُ بها، وقد دخل في هذه الجمْلَة جُمْهور الأمة وسوادها الأَعْظم؛ من أصحاب مَالك والشَّافعيّ وأبى حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظَّاهر"[32].

فنرى من كلامه –رحمه الله– أنه قد قام بتوصيف شامل لأهل السنة، الذين يؤخذ منهم مسائل الاعتقاد، وبيان من هم على ضد ذلك المعتقد، ثم أضاف على ذلك ما هم عليه من الاعتقاد، ومن بيانه لمنهج أهل السنة يتضح أن الضد بالضد، فمن خالف ذلك المنهج فقد خالف ما عليه أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ (أهل السنة) يراد به من يثبت الخلافة للخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فتدخل جميع الطوائف في ذلك عدا الرافضة، وقد يراد بهذا اللفظ السنة المحضة من أهل الحديث، فلا يكون ضمن ذلك إلا من يثبت صفات الله تبارك وتعالى، ويثبت القدر، وأن الله يُرى في الآخرةِ، ويعتقد بعدم خلق القرآن، وغيرها من أصول اعتقاد السنة"[33].

من تعريفه رحمه الله يوكد على خروج الرافضة من دائرة أهل السنة، ولعل كلامه ذلك كان عند كلامه على الرافضة؛ لتركيزه عليهم خاصة فيما يتعلق بعقيدهم في الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، وإلا فإن له عدة أقوال بالتعريف بأهل السنة؛ كقوله: " من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"[34]. ولم نذكرها للإطالة ولأن مضمونها يتوافق مع ما ذكره الأئمة الذين سبق ذكرهم.

وقال الإمام ابن حزم: " وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة – رضي الله عنهم – وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين – رحمة الله عليهم – ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها)[35].

مصدر التلقي لدى أهل السنة هما: (الكتاب والسنة)

أن الرعيل الأول من صحابة النبي ﷺ كانوا أسلم الناس فطرة، وأعمقهم فهما، ولهذا اختارهم الله تعالى لنبيه ﷺ كونهم أصدق الناس وأقلهم تكلفا وأفضلهم هديا، وإن معايشة الجيل الأول للوحي وصحبتهم للنبي ﷺ قد آتاهم سلامة الفطرة، وصحة الفهم، وحضور البديهة، مما جعلهم أصدق الناس نظرا، وأقلهم تكلفا، وأحسنهم هديا. ولهذا تجدهم اكتسبوا ذلك الهَدي والعلم منه ﷺ فتراهم إن سئلوا عن قضية ما؛ كان ردهم رداً موجزا شافيا كافيا، إن لم يكن من صريح الوحي فهو قبس من مشكاته. ولو رأينا حالهم مع مسألة الإيمان؛ والتي تعددت فيها الآراء وتشعبت، وتنافرت فيها الفرق وتناحرت، فلا أدل على ذلك الهَدي والعلم. وبالمقابل فقد ذهبت بعض الفرق كل مذهب لتأتي بتعريف للإيمان كما تريد، فمنهم من صرف نظره عن نصوص الوحي كلها، ومنهم من أخذ بعضها وغلا فيه وتعسف في تأويل الباقي أو إنكاره، ومنهم من ظل حائرا متناقضا لا يستقر له قرار، والسلامة من ذلك كله هو بالرجوع إلى الوحيين.

ونرى الإمام الأشعري –رحمه الله – يؤكدا على الحرص في التمسك بالكتاب والسنة، وأن الفلاح والرشاد فيهما، فبعد أن أثنى على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ في مقدمة كتابه الإبانة عن أصول الديانة؛ قال: "وجاءنا بالقرآن ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: 41-42]؛ جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال عز وجل:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: 7]، وقال عز وجل:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: 63]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[النساء: 83][36].

ولقد ذكر في الاعتصام بسنة الرسول ﷺ الكثير من الشواهد القرآنية التي تؤكد تعاضدها مع القرآن في التلقي، فقال –رحمه الله أيضا: فأمرهم –أي الله– بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه. فنبذ كثير ممن غلبت عليهم شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم في دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن نبي الله ﷺ، ودفعوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[النساء: 140][37]. فنراه رحمه الله قد رسم منهجا صريحا بين فيه حقيقة أهل السنة، وأن الأصل في ذلك المنهج هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمن لم يلتزم بهذا المنهج كان انتسابه لأهل السنة ادعاء وليس حقيقة، ولذا نراه رحمه الله يقول: " فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"[38].

قال الإمام السيوطي: " وأن مما فاح ريحة في هذا الزمان وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان وهو أن قائلا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة والأحاديث المروية –زادها الله علوا وشرفا – لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حدِيث: "ما جاءَكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتُم له أصلا فخذوا به وإلَّا فردّوه"، هكذا سمعت هذا الكلام بجملته منْه وسمعه منه خلائق غيري، فمنهم من لا يُلقِي لذلك بَالا. ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء. فأَردت أَن أوضح للنَّاس أصل ذلك، وأبين بطلانه، وأنه من أعظم المهالك. فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النَّبي ﷺ قولا كان أَو فعلا بِشرْطه المَعروف في الأُصول حجَّة، كفر وخرج عن دائرة الإِسْلام وحشر مع اليهود والنَّصارَى، أَو مع من شاءَ الله من فرق الكفَرَة"[39].

وهذا ما كان عليهم الجماعة –الصحابة والتابعون لهم بإحسان – فما حادوا عن منهجهم المأمون قط، فكانوا إذا سئلوا عن الإيمان أجابوا بالوحي لا بالهوى، جوابا يراعى فيه حال السائل ومقام السؤال كما كان النبي ﷺ يفعل.

وكانوا في طريقتهم على هي النبي ﷺ، فعندما كانوا يسألون عن الإيمان تراهم مرة يجيبون السائل بآية جامعة من كتاب الله تعالى، مثل جواب بعضهم بقوله تعالى:﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[40]، ومرة يجيبون بحديث كما أجاب النبي ﷺ جبريل أو وفد عبد القيس. ومرة يعرفونه بفهم فهموه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال بعضهم: (الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله)[41]. ومن الواضح أنه ليس في شيء من هذا تحديد مجرد للإيمان على المنهج المنطقي المتكلف.

وهذا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يحث على التمسك بالمعين الصافي؛ الكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح فيقول: " من فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف يُنْكَر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد، والتقليد المحض. نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء؛ على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه، فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته وإثباته إن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات. فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه،

وبما يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له؛ حتى ينمو ذلك البذر، ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء"[42].

ثانيا: مفهوم الوعيدية[43]: (معتزلة – خوارج)

الوعيدية[44]: المقصد بهم: (المعتزلة[45] – الخوارج[46]). وهم من غلَّبوا جانب الوعيد. "فالوعيدية يرون خلود من دخل النار فيها حتى لو كان موحدا، ويوجبون العذاب في حق أهل الكبائر؛ لشمول نصوص الوعيد فيهم. ويرون أن نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمنا، والفساق ليسوا بمؤمنين، فلا يدخلون في الوعد؛ لأنهم لا حسنات لهم؛ لأنهم لم يكونوا من المتقين، وقد قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾، [المائدة: 27]، وقال:﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾، [محمد: 28]، فهذه النصوص وغيرها تدل على أن العمل لا يقبل إلا مع التقوى، والوعد إنما هو للمؤمن، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وأن فعل السيئات يحبط الأعمال"[47].

وهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب العاصي؛ كما يجب عليه أن يثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له، ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة؛ قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48]، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة[48].

قول الوعيدية في مسمى الإيمان وتعريفه:

كما هو معلوم أن أول خلاف حدث في هذه الأمة هو الخلاف في الإيمان، حين بدأ أمر الخوارج في زمن الصحابة، رضوان الله عليهم، وأثاروا الفتنة بقول تكفير مرتكب الكبيرة، ثم ظهرت المعتزلة فاتفقوا معهم في أصل المسألة وهم خروج مرتكب الكبيرة من دائرة الإيمان، مع مخالفتهم لهم في تكفير مرتكب الكبيرة، ولذلك شملهم وصف الوعيدية، وكان في الطرف النقيض من الخوارج والمعتزلة في نفيهم الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وما ترتب على ذلك من أحكام الوعيد، هم المرجئة، ووصفوا بالإرجاء، لإرجائهم العمل عن مسمى الإيمان. ثم استمر الخلاف بعد ذلك في مسائل الإيمان، وإن كان بالإجمال يعود إلى الوعيدية والمرجئة، ولا يزال الخلاف في الإيمان إلى اليوم.

ومع ما بين المذاهب المخالفة لأهل السنة في الإيمان، من الاختلاف إلى حدّ التناقض إلا أنهم متفقون على أصل مشترك بينهم، وهو القول باستحالة التفاوت في الإيمان، وأنه إن ذهب منه شيء لزم

انتفاؤه بالكلية، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فقولهم بتكفير مرتكب الكبيرة والمنزلة بين المنزلتين، وإخراج المرجئة العمل عن مسمى الإيمان، جميعها يستند على هذا الأصل.

وهذه الدعوى هي الفيصل بين أهل السنة وبين جميع المخالفين لهم في الإيمان؛ فأساس الخلاف القائم هي مسالة (تفاوت الإيمان) ولا شك أنه مخالف لصريح النصوص، وللضرورة الشرعية والعقلية.

الفرقة الأولى: المعتزلة. التعريف والمعتقد:

"المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية"[49].

أما تسميتهم بالمعتزلة فقد تضاربت آراء العلماء في ذلك، وجميع تلك الآراء لا تعدوا عن أمرين:

الأول: هو حصيلة نقاش في بعض المسائل الفكرية، وأهمها المنزلة بين المنزلتين. وممن يرى ذلك الإمام الإسفراييني؛ حيث قال: " حدث فِي ايام الْحسن الْبَصْرِيّ خلاف بينه وبين وَاصل بن عطا الغزال فِي الْقدر وفي الْمنزلَة بَين المنزلتين، واعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته وانضم اليه عَمْرو بن عبيد بن بَاب فِي بدعته فطردهما الْحسن عَن مَجْلِسه فاعتزلا عَن سَارِيَة من سواري مَسْجِد الْبَصْرَة فَقيل لَهما ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قَول الامة فِي دَعْوَاهَا ان الْفَاسِق من امة الْإِسْلَام لَا مُؤمن وَلَا كَافِر[50]".

الثاني: "أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي حيث أن المعتزلة من شيعة علي رضي الله عنه اعتزلوا الحسن عندما تنازل لمعاوية، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة علي ومعاوية فاعتزلوا الفريقين" [51].

وقد اشتهر عن المعتزلة الكثير من الطوام الفكرية، وأبرزها كما ذكرنا هو القول بالمنزلة بين المنتزلتين، وسبب إبراز هذه المقولة كما يقول الإمام الأشعري: " والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن

ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة"[52].

" أما القاضي عبد الجبار الهمذاني . مؤرخ المعتزلة . فيزعم أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو فرقة طارئة أو طائفة أو أمراً مستحدثاً، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى: (وأعتزلكم وما تدعون) ولقول الرسول ﷺ: (من اعتزل الشر سقط في الخير"[53]

والواقع أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وفكرية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، وقد يتوهم من كلامنا أن الإسلام ضد العقل، ويسعى للحجر عليه. ولكن هذا يرده دعوة الإسلام إلى التفكر في خلق السموات والأرض، والتركيز على استعمال العقل في اكتشاف الخير والشر، وغير ذلك مما هو معروف ومشهور، وهذا هو الذي دعا العقاد إلى أن يؤلف كتاباً بعنوان: التفكر فريضة إسلامية، ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة هو استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية مما تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها وهو أمر لا يسلّم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي[54].

قال الإمام الأشعري عن المعتزلة: " إن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين. وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين، ودفعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين. وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين. ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا:﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾[النساء: 48]"[55].

وقال هم: من "قالوا: بالوعيد لمرتكب الكبيرة، ولم يروا لأهل المعاصي رحمة في الآخرة، لأن الإيمان عندهم عمل الطاعات وهو لا يزيد ولا ينقص"[56].

وقال الإسفراييني: " المعتزلة افترقت فيما بينهَا عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن الواصلية والعمرية والهذيلية والنظامية والاسوارية والمعمرية والاسكافية والجعفرية والبشرية والمرادارية والهشامية والتمامية والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية واصحاب صَالح قبَّة والمويسية والشحامية والكعبية والجبابية

والبهشمية المنسوبة الى أَبى هاشم بن الحبالى فهذه ثنتان وعشرون فرقة فرقتان منها من جملة مائة وأربعين من فرق الغلاة في الكفر وهما الحايطية والحماريه وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها في بدعتها امور منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقؤلهم أن الله تعالى لم يكن له في الأزل[57]"

ومن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل كليًّا في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، فقالوا: كما حكى عنهم الشهرستاني: " المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبيح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح"[58].

وقال أيضا: "واتفقوا – أي المعتزلة – على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا"[59].

وقال الإما الرازي: " أعلم أَن المعتزلة كلهم متفقون على نفي صِفات الله تعالى من العلم والقدرة وعلى أَن القرآن مُحدث ومخلوق وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العبد"[60].

واتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع. والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل. واعتناق الحسن، واجتناب القبيح واجب كذلك. وورود التكاليف ألطاف للباري تعالى، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام امتحانا واختبارا ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[الأنفال: 42]،واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار،واختلفوا في الإمامة، والقول فيها نصا، واختيارا، كما سيأتي عند مقالة كل طائفة"[61]

وهذا غير ما يقول به أهل السنة، قال الشهرستاني: " قال أهل السنة: الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل. فالعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعرف، أي لا يوجد المعرفة، بل يوجب". ولاعتمادهم على العقل أيضاً أوَّلوا الصفات بما يلائم عقولهم الكلية، كصفات الاستواء واليد والعين وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها[62].

ولاعتمادهم على العقل أيضاً، طعن كبراؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، إما طائفة علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر

والحسن والحسين وأبي أيوب الأنصاري أو طائفة عائشة والزبير، وردوا شهادة هؤلاء الصحابة فقالوا: لا تقبل شهادتهم. وقد طعن زعيمهم النظام في أكثر الصَّحابة وأسْقط عدالة ابن مسعود ونسبه إلى الضلال، وطعن في فتاوَى عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم، ونسب أبا هريرة إلى الكذب، وطعن في فتاوَى كل من أفتى من الصَّحابة بالاجتهاد، وقال إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين: إِمَّا لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم. وإِمَّا لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهِب تنْسب إليهم. فنسب أخيار الصَّحابة إلى الجهل أو النِّفاق والجاهِل باحكام الدّين عنْده كافر والمتعمد للخلاف بلا حجَّة عنْده منافِق كافِر أو فاسق فاجر وكلاهمَا من أهل النَّار على الخلود،كما أبطل اجماع الصَّحَابَة، وولم يروا حجَّة جحية الإجماع، بل وأَجازوا اجتماع الأمة على الضَّلالة [63].

وهناك الكثير من المخازي والشنعات التي ما أطلقوها على الصحابة وتابعيهم وعلماء الأمة وعوامهم ولا زالوا يروجون ويجاهرون بذلك، وما كل ذلك منهم إلا لأجل التشكيك في مصدر التلقي، لأن التشكيك في الصحابة تشكيك في الوحي، فمن نقل لنا الوحي إلا أولئك العدول الذين زكاهم الله تعالى وأختارهم لصحبة نبيه، ولذا نجدهم قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة وبالمنطق، فتلاعبوا بعقائد الناس بما لم يقل به أيٍ من عوام الناس. ولما كان منهج أهل السنة قائم على الأخذ بما في الوحي من كتاب وسنة، كان لازاما على من شك فيهما أو في أحدهما أن لا يستحق الوصف أن ينسب لهما لأن الانتساب لهما اعتراف بصدقهما والعمل بهما، ولا يتأتى ذلك إلا بالوثوق المطلق بنقلة تلك المصادر وهم صحابة النبي ﷺ، ولا شك أن هو ذأب أهل السنة.

قال الإمام الإسفراييني: " فَكيف يكون على سمت الصَّحَابَة مقتديا بهم من يرى مُخَالفَة جَمِيعهم وَاجِبا اذا كَانَ رَأْيه خلاف رَأْيهمْ، حتى أن زعيمهم وَاصل بن عطا الغزال قَالَ لَو شهد عِنْدِي على وَطَلْحَة على باقة بقل لم احكم بِشَهَادَتِهِمَا لعلمى بَان احدهما فَاسق وَلَا أعرفهُ بِعَيْنِه فَجَائِز على اصله أَن يكون على واتباعه فاسقين مخلدين في النَّار وَجَائِز ان يكون الْفَرِيق الآخر الَّذين كَانُوا أَصْحَاب الْجمل في النَّار خَالِدين فَشك في عَدَالَة على وَطَلْحَة وَالزُّبَيْر مَعَ شَهَادَة النبى عَلَيْهِ السَّلَام لهَؤُلَاء الثَّلَاثَة بِالْجنَّةِ وَمَعَ دُخُولهمْ في بيعَة الرضْوَان وفي جملَة الَّذين قَالَ الله تَعَالَى فيهم {لقد رَضِي الله عَن الْمُؤمنِينَ إِذْ يُبَايعُونَك تَحت الشَّجَرَة} وَكَانَ عَمْرو بن عبيد يَقُول بقول وَاصل في فريقي الْجمل وَزَاد عَلَيْهِ القَوْل بِالْقطعِ على فسق كل فرقة من الْفرْقَتَيْنِ، وَقد كَانَ أَبُو الْهُذيْل والجاحظ واكثر الْقَدَرِيَّة في هَذَا على رأى وَاصل بن عطا "[64].

وعندما ينحرف المنهج عن الصراط المستقيم: ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[الشورى:53]، كان بين المعتزلة اختلاف واسع فيما بينهم وتعدد طوائفهم ولاشك أن السبب الرئيس في ذلك هو إعراضهم عن نصوص الوحيين الصحيحة، واعتمادهم على العقل فقط كما ذكرنا، ورفضهم الأخذ

من حملة الوحي، وقاعدتهم التي يستندون إليها في ذلك: " أن كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين "، فيكفي وفق مذهبهم أن يختلف التلميذ مع شيخه في مسألة ليكون هذا التلميذ صاحب فرقة قائمة، وما هذه الفرق التي عددناها آنفاً إلا نتيجة اختلاف تلاميذ مع شيوخهم، فأبو الهذيل العلاف له فرقة، خالفه تلميذه النظام فكانت له فرقة، فخالفه تلميذه الجاحظ فكانت له فرقة، والجبائي له فرقة، فخالفه ابنه أبو هاشم عبد السلام فكانت له فرقة أيضاً وهكذا[65].

أما أهل السنة والجماعة، يؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه من غير تعطيل، أو تحريف، ومن غير، تمثيل أو تكييف أو تعطيل، لا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. وهم وسط في باب صفات الله تعالى، بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله تعالى، بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله، بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب الإيمان والدين، بين الحرورية وبين المعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله، بين الروافض وبين الخوارج[66].

وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، فمنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي اكتوى بنار فتنتهم المتعلقة بخلق القرآن ووقف في وجه هذه الفتنة بحزم وشجاعة نادرتين. ثم الإمام أبو الحسن الأشعري فقد ردا عليهم بارعا متبعاً أسلوبهم في الجدال والحوار، كذلك ممن رد عليهم بقوة الحجة شيخ الإسلام ابن تيمية، وبين أن صريح العقل لا يكمن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

الفرقة الثانية: الخوارج. التعريف والمعتقد:

الخوارج: اسم أطلق على الفرقة التي غلت في تكفير المسلمين واستحلت دمائهم وأموالهم لمجرد المعصية، وكان قبل أن تطلق عليهم هذه التسمية يعرفون بالقرّاء، لكثرة قراءتهم، وكذلك يطلق عليهم حرورية، نسبة إلى بلدة حروراء بالعراق، وكذلك يقال لهم الحرارية، ومن ألقابهم المارقة، ومن ألقابهم المحكمة لإنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله. وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. أما هم فيسمون أنفسهم بالشُّراة؛ أي كما يقولون: شرينا أنفسنا في طاعة الله؛ أي بعناها بالجنة. واشتهر الخوارج بالشجاعة، وقوة البأس، والصدق، وكثرة العبادة، لكن كل ذلك على جهل.

اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان[67]. قال الشهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة، عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"[68]. ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي. قال الأشعري: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"[69]. وقال ابن حزم: "اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن"[70].

أما من حيث نشأة الخوارج، فقد اختلف كذلك المؤرخون وعلماء الفرق متى كان أول ظهور للخوارج إلى أقوال؛ غير أني أرى أن هذه الأقوال لا تعدوا أن تكون سلسلة متتابعة من البدء إلى الاستفحال، وحاصل هذه الآراء هي:

أولا: في عهد النبي ﷺ حين قام ذي الخويصرة التميمي، في إحدى الغزوات في وجه الرسول ﷺ معترضاً على قسمته للفيء، وأنه لم يعدل في قسمتها؛ حاشاه ﷺ، وهنا كانت بدء البذرة لهذه النبتة الخبيثة، مع العلم أنه لا بد من التفريق في بدء النزعة، وبين الظهور كفرقة، لأن ذا الخويصرة حينها لم يكن لديه جماعة، ولم يتزعم طائفة ما، وإنما طرأ ذلك الاعتراض كحال أي من الحالات التي تقع لكثير من الحكام، ويدل فعله ذاك على عدم توقيره للنبي ﷺ وتأدبه معه. لذا يصعب القول بأن الخوارج ينسبون إليه، مع أن الحال في الأديان والفرق هو انتسابها إلى مؤسسها أو من تبنى إظهارها. لكن نقول هي بداية النزعة، لحديث النبي ﷺ: (إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[71] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"، وَأَظُنُّهُ قَالَ: "لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ)[72]. وممن يرى هذه الرأي هو الإمام البخاري، حيث بوب في الصحيح: (باب من ترك قتال الخوارج للتأليف، وألا ينفر الناس عنه). فمن تبويبه لهذا الحديث يعتبر ذا الخويصرة أول الخوارج وأن رسول الله ﷺ ترك قتله للتألف.

ثانيا[73]: أنها ظهرت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولكن كذلك يرد على هذا الرأي؛ بأن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة؛ وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام، إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم. وذهب لهذا القول ابن أبي العز، الذي يرى أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان في تلك الفتنة التي انتهت بقتله يقول: ويسمي ابن كثير الذين ثاروا على عثمان وقتلوه خوارج فيقول: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا[74].

ثالثا: أنهم ظهروا في عهد علي رضي الله عنه،حين خرج الخوارج من المحكِّمة عن جيشه، أو حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية؛ منهم الورجلاني الإباضي، بزعمه أنهم خرجوا عن بيعة علي. وهو قول مردود؛ فإن طلحة والزبير لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وشهد النبي ﷺ لطلحة والزبير رضي الله عنهما بالجنة فهما من العشرة المبشرين بالجنة[75].

رابعا: أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة (64هـ)، أواخر ولاية ابن زياد وهذا الرأي لعلي يحيى معمر الإباضي، وهو في هذا الرأي يتابع أبي إسحاق أطفيش الإباضي الذي يرى أن ما حدث بين الإمام علي وبين الطائفة التي انفصلت عن جيشه والتي سميت فيما بعد بالمحكمة إنما هو نوع من أنواع الفتن الداخلية التي وقعت بين المسلمين في ذلك العصر؛ حيث اعتبرت تلك الطائفة أن علياً رضي الله عنه قد زالت عنه الإمامة الشرعية حينما قبل التحكيم، ولهذا فقد ولوا عبد الله بن وهب الراسبي والذي دعى بدوره عليا للدخول في طاعته بعد أن اختاره من معه من الصحابة وغيرهم[76].

وعلى هذا الادعاء من الخوارج لم يكن ما حدث بين علي ومن معه في نظر أصحاب هذا الرأي إلا فتنة انتهت على نحو ما انتهت عليه، وليس خروجا على الإمام، كما هو المعنى الحقيقي للخروج الذي يرون أنه لم يبتدئ إلا بخروج ابن الأزرق. أما ما كان قبل ذلك من حركات ثورية على علي والأمويين من بعده فهي مجرد ثورات ومواقع حربية دارت بين الفريقين وليست خروجا بالمعنى الصحيح.

وهذا القول لم يقل به غير الإباضية[77]؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكّمة ومن سار على طريقتهم وبين الأزارقة، وهو قول مرجوح لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع الأزرق.

والصواب أن اسم الخوارج يطلق على تلك الطائفة التي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة[78]. وقد أخبر علي بن أبي طالب ببعض أوصافهم التي أخبره بها رسول ﷺ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، "وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ

بِيضٌ" فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ)[79].

ومن خلال هذا الاستعراض يمكن القول أن الخوارج كفكرة قد بدات في عهد النبي ﷺ، ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (يخرج من ضئضئ هذا)[80]، فذوا الخويصرة يعتبر أول من أنشاء فكرة الخروج والاعتراض، وعلى القول بالخوراج كحركة فإنها قد ظهرت حين قتلوا عثمان رضي الله عنه، وعند القول بالخوارج كفرقة فإن بداية نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي وخروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم، وعند إرادة الخوارج كمعتقد وتنظير يمكن القول بأنه ظهر مع ظهور نافع الأزرق.

والواقع أن هذا هو ما يشهد له واقع تلك الحركة التي أحدثت دويا هائلا في تاريخ هذه الأمة الإسلامية عدة قرون تميزت فيها بآراء ومعتقدات وأنظمة لفتت إليها أنظار علماء التاريخ والفرق الإسلامية، بخلاف ما سبقها من حركات فإنها لم يكن لها أثر فكري أو عقائدي يذكر[81].

كان الظهور للخوارج كما ذكرنا قد مرّ بمراحل منذ أن خرج ذي الخويصرة على النبي ﷺ، ثم تطاول بهم الأمر بمقتل عثمان رضي الله عنه، وأخيرا استقر بهم الأمر بالخروج والنزاع المسلح على طوائف المسلمين، وكان من الدوافع وراء وذلك أن الخوارج لهم شروطا حول الإمامة، وكيفية توليها.

وكون الخوارج إحدى الفرق التي ضلت عن الحق فحتما سوف يحدث بينهم خلافات وتشعبات، لذلك ظهرت عدد من الفرق منها ماهي معدودة من الفرق الكبيرة، المتفرعة منها، ومنها ما هي من الفرق الصغرى التي تشعبت من فرق أخرى، وقد اختلف العلماء في الشخصية التي أحدثت هذه الخلافات بين صفوف الخوارج وفرقت كلمتهم وجعلت بعضهم يبرأ من بعض؛ فقيل إن أول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع الأزرق الحنفي، وقيل إن أول من أحدثها عبد ربه الكبير أو رجل يسمى عبد الله بن الوضين، وأن نافعا كان من المخالفين له في مبدأ أمره ولكنه بعد وفاته تبين له أن الحق كان معه فرجع إلى الأخذ بقوله وكفّر من يخالفه بعد ذلك، وأما من خالفه قبل ذلك فليس بكافر. وكأن الحكم يبتدئ عنده من يوم أن تبين له صحة رأي ابن الوضين، وقيل إن أول من أحدثها عبد ربه الصغير[82]، والفرق المتفرعة عن الخوارج كثير؛ عدهم الإمام الرازي إحدى وعشرين فرقة، لا داعي لذكرها هنا خشية الإطالة، ويمكن الرجوع إليها في كتب الأديان والفرق وما يهمنا هم: تنظيم الدولة الإسلامية؛ (داعش).

ثالثا: الشيعة، التعريف والمعتقد:

أولا: مفهوم الشيعة:

من تجول في التاريخ والتراث؛ يجد لليمن حضور ملموس وقوي، فلقد تعاقب على اليمن حالات من التوحيد تارة، والشرك أخرى على مر العصور، كما ظهر على أرضها عبادة الأوثان والكواكب؛ التي كان قوم سبأ يدينون بها، وعاصر أناسها فترات من النصرانية؛ التي استطاعت أن تكون حاضرة مع تواجد السلطة الرومانية في فترة من الزمن والتي كان لها دور في تسهيل الدخول للأحباش؛ وقد حكى لنا القرآن خبر أصحاب الكهف التي كانت بدايتها من كنيسة القليس التي بناها إبرهة في صنعاء. كما شهدت فترات من اليهودية؛ التي كان ملوك حمير قد جعلوها دينا رسميا لمملكتهم؛ وما قصة أصحاب الأخدود بغائبة عنا، حين أجبر الملك (ذي نواس) نصارى نجران على ترك دينهم والدخول في اليهودية، وعندما امتنعوا خدّ لهم الأخاديد وأحرقهم فيها بالنار، وكان منهم الغلام الذي تكلم في المهد، وقصتهم تتلى في القرآن في سورة البروج إلى يوم القيامة. كما كان للفرس حضوراً في اليمن بعد أن قضي (سيف بن ديزن) على مملكة الأحباش هناك بمساعدة من كسرى الفرس، والذي استمر سلطانهم يتعاقب بين ولاة كسرى على اليمن حتى دخل (باذان) والي كسرى على اليمن في الإسلام عام (628م)، وأصبح أول أمير على اليمن في عهد الإسلام.

وهكذا تداولت على اليمن ديانات على مر العصور قد خالطها الانحراف حالهم كحال أهل الكتاب والوثنيين في بقية بقاع الأرض، إلا أن الجميع كان يجمعهم تعظيم الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام، وعندما دخل الإسلام لليمن، كذلك لم يكن اليمن بغائب عن المشاهد والأحداث التي مر بها الواقع الإسلامي، فلقد بدأت التدخلات اليمنية في العصر الإسلامي؛ من حادثة الأسود العنسي؛ الذي ادعى النبوة على عهد النبي محمد ﷺ، وقد أخمدت فتنته في زمن النبي ﷺ. وفي خلافة الصديق كذلك اجتاحت موجة الردة أرض اليمن؛ والتي حصلت بسبب امتناع البعض عن الزكاة، والبعض عاد إلى الشرك، ولكن سرعان ما انطفأت نار تلك الفتنة وعاد الناس للدين[83].

كان للفتنة التي وقعت على الأمة الإسلامية بمقتل عثمان، ومن ثم ظهور التشيع في زمن علي رضي الله عنهما حضور فاعل حيث شارك عبدالله بن سبأ –وهو من يهود اليمن– والذي اندس في وسط المجتمع المسلم بتأييد ودعم من اليهود؛ كعادتهم في اختلاق الفتن في الوسط الإسلامي في كلا الواقعتين، حيث كان يجول في الأمصار يؤلب على عثمان رضي الله عن عثمان ومعلوم من السبئية وحالهم الشنيع في تأليه علي رضي الله عنه؟ وبالإضافة للعنسي وابن سبأ، فقد كان هناك عبد الله الراسبي: أحد رؤوس الخوارج؛ الذين قاتلوا علي، وكان هذا الراسبي من أهل اليمن من الأزد، كما كان قاتل علي رضي الله عنه عبدالرحمن

بن ملجم من أهل اليمن أيضا. وقد كان للخوارج صولة قوية في اليمن –خاصة في جنوبها– زمن خلافة بني أمية؛ حيث خرج عبدالله بن يحي الكندي؛ الذي بدأ يتوافد عليه الخوارج من كل مكان إلى حضرموت؛ زمن مروان بن محمد، واستطاع ان يبسط نفوذه من حضرموت إلى صنعاء، كما استطاع أن يوسع نفوذه إلى الحجاز والاستيلاء على مكة والمدينة، عام (130هـ)، غير أن مروان استطاع أن يستأصل شأفتهم في حينها، ولم يدم أمرهم كثيراً حيث قتل رؤوسهم ونكل بهم في العام نفسه[84].

ثم ظهرت الباطنية بعد ذلك – وهكذا حال اليمن سلسلة من الصراعات على مر الدهور – حيث وجدت لهم مواضع قدم في اليمن لكثرة الفتن والبلابل، وكانت النبتة الأولى لهم في اليمن في الساحل الجنوبي منه؛ ما بين عدن وأبين، حيث دعا الى المذهب الإسماعيلي آنذاك كل من على بن الفضل، والحسين بن حوشب، وكان ذلك عام (268هـ)، ثم بعد أن استطاعا أن يكوّنا لهما حاضنة في تلك الأراضي، بداء بالخروج المسلح في عام (290هـ)، ولم يأخذ التوسع وبسط النفوذ وقتا طويلا؛ حيث استطاع على ابن الفضل من الاستيلاء على صنعاء عام (293هـ)، كما اجتاح تهامة وكل المناطق الواصلة بن عدن وتهامة، كما استطاع ابن حوشب أن يسيطر على الجبال التي تعرف في يومنا: (ريمة وحجة والمحويت)، وجميع المناطق الشمالية تقريبا، وهكذا سيطر المذهب الإسماعيلي الباطني على اليمن وأُلزم الناس به. ثم بعد ذلك استطاع بعض القبائل من تكوين حلف للقضاء على ابن الفضل وبمساعدة من الدولة العباسية استطاعوا أن ينهوا الحكم الباطني في اليمن، فكانت بداية نهايتهم عام (303هـ)، بمقتل ابن الفضل وبموت ابن حوشب عام (308هـ)، عندها انقلب الناس على مذهبهما، وانتهت هيمنة ذلك المذهب لفترة قرنين، ثم انتعش مرة أخرى في مطلع القرن الخامس، مع الدولة الصليحية؛ بسبب الانقسامات والحروب التي كانت تعاني منها اليمن في وقتها، إلى أن انتهى ملكهم على يد الدولة الأيوبية؛ على يد ابن المالك الصالح نجم الدين الايوبي. كان هذا عرض موجز للمعتقدات التي حلت باليمن والتي كان لهم بها دولة وحكم[85].

قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني: " أعلم أَن الروافض يجمعهم ثلاث فرق الزيدية والإمامية والكيسانية. فَأَما الزيدية منهم فثلاث فرق: الجارودية والسليمانية والأبترية. فأَما الجارودية فهم أَتباع أبي الجارُود وكان مذْهبه أَن النَّبِي ﷺ نص على إِمامه علي بالصّفة لا بالاسم وَكَان من مذْهبه أَن الصَّحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ومخالفتهم النَّص الوارد عليه وكان يقول إِن الإِمَام بعده الْحسن بن علي ثمَّ بعده الحسين بن علي ويكون بعدهما الإِمامة شورَى في أَولادهما، فمن خرج من أَولادهما شاهرا سيفه داعيا إِلى دينه وَكَان عالما ورعا فهو الإِمام. وأما السليمانية فهم أَتباع سليمان بن جرير الزيدي وَكَان يقول إِن الإِمامة شورَى ومتى ما عقدها اثنان من أخيار الأَئمَّة لمن يصلح لها فهو إِمام في الحقيقة وكان يقر بإِمامة أبي بكر وعمر ويجوز إِمامة الْمفْضول وكان يقول إِن الصَّحابة تركوا الأَصلح بتركهم بيعة علي فإِنَّه كان أولى بها وكان إعراضهم عنه

خطأ لا يوجب كفرا ولا فسقا، وهؤلاء كانوا يكفرون عثْمان بسبب ما أخذ عليه من الأَحداث، فأَما الأبترية منهم فهم أَتباع الْحسن بن صالح بن حيّ وَكثير النواء الملقب بالأبتر وقول هؤلاءِ كقول السليمانية غير أَنهم يتوقفون فِي عثمان ولا يقولون فيه خيرا ولا شرا وقد أخرج مُسلم بن الحجَّاج حديث الْحسن بن صالح بن حيّ فِي الْمسند الصَّحيح لما أَنه لم يعرف منه هذه الْخصال فأجراه على ظاهر الحال"[86].

وهذه المجموعات من الزيدية والإمامية والكيسائية، يجمعهم اسم الشيعة، وهم كذلك على مقالات مختلفة قد يكفِّر فيها بعضهم بعضا قال الإسفراييني: "وأعلم أَن السليمانية والأبترية يكفرون الجارودية منهم لتكفيرهم أَبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصَّحابة"[87].

والزيدية: هي تعنينا في هذا المبحث فكان تواجدها في وقت مبكر في اليمن، وذلك بمقدم الهادي بن يحي بن الحسين بن القاسم، في نهاية القرن الثالث من الهجرة النبوية، واستطاع أن ينشئ له دولة زيدية في صعدة، مع ملازمته للاعتزال في طريقته، وقد استمر المذهب الزيدي حاكما في صعدة، والمناطق المجاورة لها قرابة إحدى عشر قرناً، شهدت توسعاً وانكماشاً، وصراعات خارجية؛ بسبب تمردهم على دول الخلافة، وأخرى داخلية بين الأئمة انفسهم، حتى كانت الثورة اليمنية التي خرجت على حكم آل حميد الدين آخر ولاة الحكم الزيدي في اليمن عام (1962م)، والذي انتهى بنهايتهم الحكم الزيدي[88].

ثانيا: النشأة:

الزيدية: هي أحد الفرق المصنفة على الشيعة، وتعود نسبتها إلى زيد بن علي زين العابدين؛ والذي يعتبر هو المؤسس الأول للزيدية، وهو من صاغ لهم نظرية شيعية في الحكم، والسياسة، وقد قاتل من أجل ذلك حتى قتل في سبيلها، غير أنه لم يكن يوافق الشيعة في إمامة الشيخين، فقد كان يعتقد بصحة إمامة وخلافة خلفاء رسول الله ﷺ أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عن الجميع، ولم يكن في مذهبهم القول بتكفير أحد من الصحابة، بل من مذهبهم؛ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

تعود نشأة الزيدية: ذلك أنه بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عن ظهرت الكثير من الفرق التي تزعم التشيع، وعندها تكاثرت دعاوى التشيع وتصاعد الغلو في آل البيت. وفي زمن زين العابدين، علي بن الحسين، طمع الشيعة في استمالته إليهم، لكن زين العابدين كان على تواصل مع حكام بني أمية وتربطه بهم مودة وولاء، ورأى أن يكون في تجنب تام لمن ينازعهم، بل كان الخليفة يزيد بن معاوية يبالغ في إكرامه، ويجالسه، ولا يأكل إلا معه، وكان له عدة أولاد؛ منهم: زيد بن علي، ومحمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر. وقد قاد زيد في العراق ثورة ضد الأمويين في زمن هشام بن عبد الملك، وكان أهل الكوفة هم وراء دفعه لهذه الثورة، وعندما علموا أنه لا يتبرأ من أبي بكر وعمر تخلوا عنه، وخذلوه، بل كان يترضى عنهما،

ويقر بخلافتهما، عند اضطر لملاقاة الأمويين ولم يكن معه عندها سوى قلة قليلة من المقاتلين، وأصيب في تلك بسهم في جبهته قتل على إثره ماشرة.

وكان من أمر زيد بادئ ذي بدء: أنه كان يتنقل في بلاد الشام والعراق؛ لطل العلم، ثم السعي في إثبات أحقية أهل البيت للإمامة، وكان رحمه الله من أهل التقى والورع والعلم والفضل، وكان يتميز الشجاعة والوسامة، مع الهيبة والإلمام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد تلقى العلم والحديث من محمد الباقر؛ أخيه الأكبر، والذي يعتبره الشيعة الإمامية أحد أئمتهم[89].

وقد حدث خلاف بين الشيعة في أمر زيد ومحمد أبناء على من منهما أحق بالإمامة؟ فذهب البعض إلى أحقية زيد بها وهم من عرف بعد ذلك بالزيدية، وهم من يرتب الإمامة ابتداءً بعلي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، رضي الله عنهم، ثم تكون فيمن بعدهم من نسلهما شورى، فمن خرج شاهرا السيف منهم كان أحق بالإمامة، وتذهب لهذا القول منهم الطائفة الجارودية. والبعض يرى أن علي نص على ابنه الحسن ثم الحسين ثم كانت في ابنه علي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه زيد وهو صاحب هذا المذهب، ثم ابنه يحيى بن زيد، ثم ابنه عيسى بن زيد –كما ترى الحصنية منهم فيما يذكره القمي[90].

وبعد زيد وابنه عيسى استقر الأمر باشتراط خروج الإمام من نسل الحسن أو الحسين لفرض الإمامة. وذهبت طائفة إلى القول بإمامة أبي جعفر الباقر، وهو محمد بن علي بن الحسين؛ وهم الإمامية.

والإمامة عندهم محصور في أولاد فاطمة؛ سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين، من غير تحديد بأحد منهم، ويشترطون أن يكون فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد، ومن خرج ينادي بالإمامة عندهم واجب الطاعة، بخلاف من حصر الإمامة في نسل الحسين؛ وهم الاثني عشرية[91].

ثالثا: أهم الاعتقادات لدى الإمامية:

تفرع عن الشيعة الإمامية عدد من الفرق كل فرقة من تلك الفرق لها عقائدها التي تخصها، وقد تلتقي فرقة مع أخرى في مقالة ما، غير أن تفرع تلك الفرق لابد وأن يكون في خلاف جوهري، وإلا لما تفرعت وأصبحت فرقا وأحزابا، والتي تعنينا من فرق الشيعة في الفرقة الزيدية. كما أن الذ يعنينا من تلك المقالات هو ما كان متعلق بدراستنا، وهو ما يخص قضية الإيمان، وقضية مرتكب الكبيرة، وقضية الخروج على الحاكم؛ لأن هذه المقالات الثلاث هي التي أثارت الظهور الحاصل للفرق التي هي موضوع الدراسة، وهي التي تشكل القضايا الأساس في بقية المقالات والمعتقدات لدى تلك الفرق، أما ما يتعلق بالخروج على

الحاكم فسوف نأتي على بيانه عن ذكر الخروج على الحاكم من الفصل الثالث من الدراسة. وأما ما يتعلق بالاعتقادات عند الإمامية، فسنذكر ما يتعلق بالشيعة الأم، وما يتعلق بالزيدية.

كما أن الزيدية في ذاتها قد تفرقت على عدة فرق، طعن البعض منها في إمامة الشيخين، ومال البعض بالقول بإمامة المفضول وهم: الجارودية: وهم أصحاب وأتباع زياد بن أبي زياد المعروف بأبي الجارود. والصالحية: وهم أتباع الحسن بن صالح بن حي. والبترية: وهم أتباع كثير النوى الأبتر. أما البترية والصالحية؛ فقد اتفقتا في وتماثلا في الآراء. ولا يتسع المقام للكلام عليهم، وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتب الفرق والأديان، ونكتفي في دراستنا بالزيدية الأم[92].

وصف أبو زهرة الزيدية بأنهم: " أقرب فرقة من فرق الشيعة إلى جماعة المسلمين من أهل السنة، ويرى أنها من أكثر فرق الشيعة اعتدالا، وعموم التشيع الحاصل منهم تجاه لم يصل للغلو؛ بل ويعتبرون الخلفاء الثلاثة؛ أفضل الناس بعد النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، كما يرى أنهم معتدلون في مواقفهم حيال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فلا يرون كفرهم؛ وبالخصوص من اعترف بإمامتهم على وبايعهم"[93]. ولا شك أن هذا الحكم غير صحيح على جميع الزيدية؛ لأن الكثير منهم قد انحدر عن مبادئ وآراء زيد، وغلب عليه منهج الرافضة، وهو المعلوم عنهم سواء كانوا من المتقدمين أو المتأخرين، وما رأيناه واقعا في اليمن من تحيزهم للرافضة خير شاهد. كما قسم أبو زهرة الزيدية إلى قسمين:

القسم الأول: المتقدمون المتبعون لزيد، وهؤلاء لا يمكن إضافتهم إلى الرافضة، ويقرون بإمامة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، ويترضون عليهما، إلا أن نزعة التشيع أثّر عليهم بسبب المد الرافضي الإيراني الذي مد يديه لهم في اليمن.

الثاني: من المتأخرين: ويعدون من الرافضة، لرفضهم إمامة الشيخين ويكفرونهما ويسبونهما، بل ويرون كفر من أقر بخلافتهما. وهذا ما نقوله للزيدية من وجوب إعادة النظر في منهجهم لكي يكمن وصفهم بالقرب من أهل السنة، وإلا فإن ظلوا كذلك فيستحقوا وصفهم بالرافضة. والصواب: أنهم من حيث الرافضة هم أقرب إلى السنة، وأما من حيث السنة فإنهم بعيدون عنها.

أهم المعتقدات لديهم مايلي:

أجمعت الروافض والزيدية على تفضيل علي على سائر أصحاب رسول الله ﷺ وعلى أنه ليس بعد النبي ﷺ أفضل منه[94].

أولا: النص على الإمامة: عموم مذهب الشيعة هو الإمامة، وهي عندهم من أركان الإسلام، وبل بالنظر إلى ما ذكره الكليني نرى أن الإمامة عندهم أفضل من أركان الإسلام بالكلية، ولذا سموا الإمامية، يقول الكليني فيما يرويه عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: " بني الإسلام على خمسة أشياء على: الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن، والولي، هو الدليل عليهن، قلت ثم الذي ذلك من الفضل؟ قال: الصلاة... الخ"[95].

يقول محمد مغنية:" إن الإمام يتعين بالنص من النبي، ولا يجوز لنبي إغفال النص على خليفته وتفويض الأمر إلى اختيار الأمة، وأن يكون الإمام معصوما عن الكبائر والصغائر، وأن النبي قد نص بالخلافة على علي بن أبي طالب دون سواه، وأنه أفضل الخلق على الإطلاق"[96]. وعلى هذا القول من مغنية وما استشهدنا به من قول الكليني، فإن من أصول الإيمان عند الإمامية، هو القول بوجود النص في الإمامة، ومن هنا يأتي انتقصاهم في الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم بنظرهم قد تواطؤا على كتمان نص الولاية لعلي بعد النبي ﷺ، حين بايعوا أبا بكر.

وتزعم الجارودية، أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعده، قال الأصبهاني: " ومنهم – من الناس – من يقول: " أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد الرَّسول ﷺ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم: الإمامية"[97]. ثم الحسن والحسين بعد علي، فرقة منهم تقول، أن النبي ﷺ هو التذي نص عليهما[98]. وطائفة: تقول إن علي هو من نص على الحسن والحسن نص على الحسين، ومن هذا المعتقد فإنهم ينفون الخلافة عن الشيخين. كما زعمت فرقة منهم أن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يمت وأنه يخرج ويغلب. وفرقة أخرى زعمت أن محمد بن القاسم صاحب الطالقان حي لم يمت وأنه يخرج ويغلب. وفرقة قالت مثل ذلك في يحيى بن عمر صاحب الكوفة[99].

والسليمانية منهم أصحاب سليمان بن جرير الزيدي: يزعمون أن الإمامة شورى وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها قد تصلح في المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر"[100].

واختلفت الروافض في الأئمة هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء أم لا يجوز ذلك. وهم ثلاث فرق: فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن الأئمة لا يكونون أفضل من الأنبياء بل الأنبياء أفضل منهم غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة. والثانية: منهم يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة وهذا قول طوائف منهم. والثالثة: منهم وهم القائلون بالاعتزال والإمامة يزعمون أن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة ولا يجوز أن يكون الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة[101].

والحق في ذلك هو ما عليه جمهور المسلمين، يقول الإمام الأصبهاني: " واعلم أَن النَّاس قد تشَتت آراؤهم، واخْتلفت أهواؤهم، وانشعبوا شعبًا فصاروا فرقا مُخْتلفين، وأحزاباً متباينين، قد عظمت محنتهم فِي الإِمامة في ابْن أبي قُحافة، وثبتت محبتهم لهم، فمن قائل قال: أفضل النَّاس بعد الرَّسول ﷺ، وأولاهم بالإِمامة بعده أَبو بكر الصديق رضِي الله عنه ثم عمر بن الْخطاب رضي الله عنه، ومنهم من يقول: أبو بكر ثمَّ عمر، ثمَّ علي رضي الله عنْهم، ومنهم من يقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ووقف، ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين، وذلك قول أهل الجماعة والأثر؛ من رواة الحديث، وجمهور الأمة"[102].

ثانيا: يوافقون المعتزلة في مسألتي التوحيد والعدل، ويخالفونهم في الثلاثة الأصول الباقية – المنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ويقولون في مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما تقول الأشاعرة، وينفردون عن المعتزلة والأشاعرة معا في مسألة الوعد والوعيد، حيث ذهبوا إلى أن الله سبحانه يفي بالوعد، ولا يجب عليه الوفاء، فله أن يعفو عن المذنب، ولا يحق له بحكم العقل ان يخلف وعده مع المحسن"[103].

ثالثا: قولهم في الإيمان: قال الإمام الأشعري: واختلفت الروافض في الإيمان ما هو وفي الأسماء على ثلاث فرق: فالفرقة الأولى منهم: وهم جمهور الرافضة يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام وبجميع ما جاء من عندهم فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم فإذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن. والفرقة الثانية منهم: وهم قوم من متأخريهم من أهل زماننا هذا يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وأن الكفر جميع المعاصي ويثبتون الوعيد ويزعمون أن المتأولين الذين خالفوا الحق بتأويلهم كفار وهذا قول ابن جبرويه. والفرقة الثالثة منهم: أصحاب علي بن ميثم يزعمون أن الإيمان اسم للمعرفة والإقرار ولسائر الطاعات فمن جاء بذلك كله كان مستكمل الإيمان ومن ترك شيئاً مما افترض الله عليه غير جاهد له فليس بمؤمن ولكن يسمى فاسقاً وهو من أهل الملة تحل مناكحته وموارثته ولا يكفرون المتأولين"[104].

أما الزيدية من فرق الشيعة فهي كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري: " اختلفت الزيدية في الإيمان والكفر. على فرقتان: فالفرقة الأولى منهم: يزعمون أن الإيمان المعرفة والإقرار واجتناب ما جاء فيه الوعيد وجعلوا مواقعة ما فيه الوعيد كفراً ليس بشرك ولا جحود بل هو كفر نعمة وكذلك قولهم في المتأولين إذا قالوا قولا هو عصيان وفسق. والفرقة الثانية منهم: يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفراً وهذا قول قوم من متأخريهم فأما جمهورهم وأوائلهم فقولهم القول الأول"[105].

رابعا: قولهم في مرتكب الكبيرة، قال الإمام الأشعري: "اختلفت الروافض في الوعيد، وهم فرقتان: فالفرقة الأولى منهم: يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون أنهم يعذبون ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ويزعمون أن الله – سبحانه – يدخلهم الجنة وإن أخلهم النار أخرجهم منها ورووا في ذلك عن أيمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم فصفح عنهم وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم. والفرقة الثانية منهم: يذهبون إلى إثبات الوعيد وأن الله –عز وجل– يعذب كل مرتكب الكبائر من أهل مقالتهم كان أو من غير أهل مقالتهم ويخلدهم في النار"[106].

قال الإمام الأشعري: " وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها. وأجمعوا جميعاً على تصويب علي بن أبي طالب في حربه وعلى تخطئة من خالفه[107].

الباب الخامس

أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي

سواء وافقنا على أن هناك بعض التيارات لعبت دورا في وقائع الربيع العربي أو لم نوافق، فإن الوقع لا شك أنه يشهد لذلك، وسواء أقررنا تسمية الربيع العربي؛ ربيعا، أو لم قررنا استبداله؛ خريفا، فليس في ذلك من فائدة سوي الانغماس في نقاش مفهومي عقيم؛ لأ، الوقع يؤكد أن ثمة انحرافات قد غيرت ذلك المفهوم، وقد ظهرت ظهورا مجحفا على الساحة العربية، خاصة في اليمن وسوريا.

في بداية الظهور لثورات الربيع العربي مع عام (2010) وجدنا مسمى الربيع يحضر بقوة، وحق لها المسمى أن يظهر مع حقيقة الواقع آنذاك، وهذا المسمى قد حضر؛ للدلالة علي تفتح براعم دينامية شعبية التحق بها شباب الجيل القادم، وليس العكس؛ أي كما هو الغالب على الثورات أن ينهض بها سياسيون معارضون.

وفي بدايتها –الثورات– لم نكن نرى حضورا ملموسا، أو واضحا للتيارات المنحرفة، ولم تأت أبدا تلك التيارات إلى الساحات بنفس المسميات التي ظهرت بها مؤخرا، في حال مشاركتها للشباب في ساحات الثورات والتي بدأت حين بدأت بجوار الجامعات، مما يؤكد كون أولئك الشباب هم من شباب الجامعات الطامح ف بناء جيل جديد لمستقبل مشرق لهم ولمن سيأتي بعدهم.

كما أن تلك التيارات المنحرفة لو ظهرت حينها بما عرفوا بها اليوم من المسميات، لم يكن سيحضون بالقبول من شباب الثورات، لأن الخروج للثورات لم يكن دافعه ابتداء سياسيا؛ إي قيام حزب أو مجموعة معارضة للنظام؛ سياسيا. وهذا الرفض حتما مبني على قاعدة عدم القبول باستبدال ديكتاتوريات عائلية مقنعة بديكتاتوريات بوليسية، أو بديكتاتوريات دينية، أو ديكتاتوريات إجرامية، أو حتى ديكتاتوريات علمانية مناهضة للديكتاتوريات المنتسبة للدين. وهذا هو المسبب للارتياح في جميع طبقات الشعوب الحاضرة في تلك الساحات. فقد رأينا حضورا قوي للكثير من المتدينين، بجوار الكثير من غير المتدينين من جميع أطياف الشعوب العربية التي قامت بها الثورات، بل قد رأينا أن تلك الساحات قد اتسمت بالوئام والسماحة، إذ هي بالعموم في حلف موضوعي تجاه الأنظمة الديكتاتورية، فلا حاجة وقتها للتفسيرات المبنية على الغاية من الحضور، فالمسألة واضحة التوجهات وقتها؛ وهي إسقاط النظام. ثم لعل الجميع ممن حضر تلك التظاهرات ممن انتسب لحزب ما، أو فكر ما، لا شك أنه تحضره نية في أي حال، تحتم تغييرا في دينامية الدول الربيعية داخليا فيما إذا انتهت المرحلة الأولى –إسقاط النظام–.

ولا أظن أن شباب الثورات وقتها قد غاب عنهم أن في أي ثورة ثمة مراحل انتقالية تسيل فيها الدماء، تجتاحها الفوضى، تنقلب أدوار المتناحرين، تدخل فيها الطوابير الخامسة، تتداخل فيها عوامل إقليمية ودولية. والأهم في كل ما سبق ألا تغتال نقاوة الثورة.

فما تعايشه دول الربيع العربي قد أتي نتيجة سوء استخدام السلطة، مما شكل قمعا لطموحات الناس، وتطويعا لفاعلية المؤسسات، وضربا لاستدامة السياسات. **مما سبب** خللا بنيويا في التوازن الواجب بين القطاع العام، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني.

إن هذا الخلل البنيوي في التوازن، منساقا من ثلاثية الإفقار والقمع والتطويع، يوكد إدماج الدولة في مصاف الدول الفاشلة؛ حيث الأرض بثرواتها مستباحة، والشعب مستنزف مشلول، والجيوش تائهة بين حماية القانون، أو حماية السلطة، وإن كان الملاحظ عليها هو حماية السلطة الأسرة، وكل ذلك أدي إلى تطرف ديني، كان يبدوا نائما في وقت ما، غير أنه كانت ذات أبعاد داخلية في كل دولة. وإذا كان من المفيد الاعتراف بعوامل خارجية أسهمت في اندلا ع الثورات الداخلية، فإن افتقاد المناعات الوطنية هو الذي سمح بدخول هذه العوامل علي الخط.

ومهما يكن من أمر هذا التداخل، فإنه يجب علينا تحديد المخاطر التي تستهدف الربيع العربي من ناحية، من خلال قراءة تجربتي سوريا واليمن. والتي تمخضت عنهما (داعش، والحوثية). وذلك من خلال عرض لهذين التيارين، وبيان أثرهما على ظاهرة الربيع العربي.

المطلب الأول: التيار الموافق للخوارج في العصر الحديث؛ (داعش)

تتوارد في العصر الحديث أعداد ليست بالقليلة من الجماعات التي تتبنى منهج الخوارج وتسير على خطاهم في منهج العنف، والقتال، ومن ساروا حذوهم في تكفير الولاة والأئمة، ومنذ نشأة الخوارج اتفق علماء الأمة على ضلالهم وقاتلهم على رضي الله عنه. ونرى أن علماء الأمة من أهل السنة في هذا العصر ممن اقتفي أثر سلفهم الصالح قد اتفقوا كذلك على ضلال من سلك الطريق نفسه للخوارج؛ من عنف وقتل وإكفار للمسلمين، على طريقة السابقين من الخوارج الأولين، كما نرى أن الأوليين كانوا يدعون تمسكهم بسنة النبي ﷺ في طريقتهم الخارجية، كذلك نرى أن خوارج العصر يدعون نفس الادعاء.

ويجمع الفريقان مبدأ الخروج على جماعة المسلمين فكرا وطريقة، ولا يكترثون لشرعية السمع والطاعة التي أمر بها الشارع الحكيم. قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في التعليق على حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه : (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ أَوْ نَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ) [108]: "الذي يهمني هنا: أن فيه رداً صريحاً على الخوارج؛ الذين خرجوا على أمير المؤمنين؛ فإنهم يعلمون دون أي شك أو ريب أنهم لم يروا منه (كفراً بواحاً)، ومع ذلك استحلوا قتاله وسفكوا دمه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، فاضطر رضي الله عنه لقتالهم واستئصال شأفتهم، فلم ينج منهم إلا القليل، ثم غدروا به رضي الله عنه وذاك معروف بالتاريخ، والمقصود أنهم سنوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج على حكام المسلمين ديناً على مر الزمان، رغم تحذير النبي ﷺ منهم في أحاديث عدة، منها قوله: (الخوارج كلاب النار)[109]؛ ورغم أنهم لم يروا كفراً بواحاً منهم، وإنما ما دون ذلك من ظلم وفجور وفسق. واليوم؛ التاريخ يعيد نفسه، فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقه والحكمة منهم، بل أفتوا أنفسهم وأمتطووا صهوة هواهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدماء"[110].

الإسلام ينبذ الإيدلوجيات العتصرية، وطموحاتها المبنية على الغطرسة والعنف، التعالي المتعجرف على الآخرين، وعند النظر إلى تاريخ التنظيمات المعاصرة اليوم نجد أنها تعمل تحت عناوين الإصلاح والتحضر و التحرر، القائم على نفي وإلغاء الآخر، ليقيم على أ،قاضة ورفاته أمحاده ومدنيته، كما هو الحال مع ممارسات إسرائيل مع شعب فلسطين، وحركات الاستعمار والحروب العالمية والمحلية، مهما كانت أسباب إشعالها طالما أنها عدوانية، وهي بجميع صورها لا تخرج عن وصف الإرهاب والعنف بدون وجه حق، وهي لا تختلف كذلك عما تقوم به جماعات انفعالية –احتاجية – قصيرة النظر، لا هي أشد فتكا

ودمارا، وكثيرا ما يكون نشوء تلك الجماعات الاحتجاجية الانفعالية؛ قلة العلم الشرعي، وضعف في الوعي الدعوي، والانحراف الفكري، وغالبا ما يكون انعكاسا للإرهاب الدولي الأكثر مكرا وخبثا وضررا، فالأخير مترتب عليه، وراجع له، وعله سببه، ولا يتوفر له الوجود والبقاء ولاستمرار بدونه؛ لأنه إفراز لا حق له، مشروط وجوده به، وإن خالفه في المظهر والاتجاه، إلا أ،ه في جوهره ونتائجه من جنس العمل[111].

واليوم ها هي الكرة تتوالى، والتاريخ يعيد نفسه، وها نحن نرى أحد التنظيمات التي أطلت علينا بقطع الروؤس وحرق الأحياء، بحجة الخلافة الإسلامية، ولعل أكثرها شهرة، وأشدها رواجا هو تنظيم الدولة الذي بات يعرف بـ (داعش)، وهي تعتبر من أهم هذه الجماعات ظهورا على الساحة الإسلامية والعالمية اليوم. وقبل الكلام على (داعش)، رأيت أن نلقي نظرة عن الخوارج من حيث النشأة والمعتقد، لأن هذه الفرقة هي البذرة لنبتة الفكر التكفيري؛ والتي نثرت ثمارها منذ عصر الخلفاء الراشدين إلى يومنا الحاضر وأن جميع التيارات التكفيرية في العصر القديم والحديث تشعب منها.

تنظيم الدولة الإسلامية، (داعش):

كان يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يُعرف اختصاراً بـ (داعش)، وهو تنظيم مسلَّح كان في بداية أمره ينتهج الأفكار السلفية الجهادية، والتي كانت البذرة الأولى لها في أفغانستان، وكان يهدف أعضاؤه؛ حسب اعتقادهم إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية[112].

ويتواجد أفراده وينتشر نفوذه بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع بعض التواجد له في مناطق أخرى مثل: جنوب اليمن، وليبيا، وسيناء، والصومال، وشمال شرق نيجيريا، وباكستان[113].

وقد أضحى (داعش) معروف بقطع الرؤوس، للمدنيين وللمخالفين لهم من الفصائل الجهادية الأخرى في سوريا والعراق، كجبهة النصرة، وأحرار الشام، وغيرهم من الفصائل التي كانت بداية أمر داعش هو الخروج عليهم؛ إذا لا يمكن وصف داعش بالخوارج لخروجهم على بشار والمالكي، وقبل ذلك أوباما. كما لوحظ عليهم الكثير من الانتهاكات لحقوق الإنسان لقتلهم الصحفيين، والإعلاميين، والعاملين في الجمعيات والمنظمات الحقوقية، وكل من لم يبايعهم فهو عرضة للقتل[114].

وقد شجبت الزعامات الدينية الإسلامية حول العالم من العلماء والدعاة والمفكرين بشكل واسع الممارسات التي تقوم بها داعش وأفكارها المخالفة لمفهوم الشريعة ومقاصدها السمحاء؛ واحتج أولئك بأن التنظيم حاد عن الصراط الحق للإسلام، وأن ممارساتهم لا تعكس تعاليم الدين الحق و قيمه[115].

أولا: النشأة والتعريف:

لقد أنبثق تنظيم داعش في العراق من تنظيم القاعدة، الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي عام: (2006)، الذي شارك جنبا إلى جنب مع جماعات أهل السنة، ضد العمليات العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، والحكومات العراقية المتعاقبة عليه، وكان لتلك المشاركة الفاعلة الأثر البالغ في ظهوره. "وقد كان أبو معصب الزرقاوي أمير جماعة التوحيد والجهاد، ثم بايع أسامة بن لادن وأصبح أمير القاعدة في العراق تحت مسمى: "أمير بلاد الرافدين"، ثم استطاع أبو مصعب أ، يجمع الكتائب والفصائل المقاتلة في العراق تحت مسمى "مجلس شورى المجاهدين"، وبعد أن قتل الزرقاوي (2006)، خلفه على إمارة القاعدة في العراق " أبو حمزة المهاجر" وهو الذي أعلن انخراط تنظيم القاعدة واندماجه مع تنظيم " الدولة الإسلامية في العراق" في نفس العام، ومن هنا ولد تنظيم الدولة الإسلامية، وبالتحديد عند مبايعة أبو حمزة المهاجر أبا عمر البغدادي، الذي كان أمير لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، فأصبح تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق تنظيما واحدا، غير أن ولاء ذلك التنظيم كان تابعا لجماعة " قاعدة الجهاد" وولاءه لأميرها الشيخ أسامة بن لادن[116].

في تلك الفترة كان تنظيم الدولة في العراق يتمتع (داعش) بحضور قوي في المحافظات العراقية مثل الأنبار، ونينوى، وكركوك، وأكثر تواجد له في صلاح الدين، وأجزاء من بابل، وديالى وبغداد، وتتخذ (داعش) بعقوبة عاصمة لها، ومع ذلك، فإن محاولات تنظيم، (داعش) لإحكام السيطرة على أراضٍ جديدة أدت إلى رد فعل عنيف من قبل العراقيين السنة، وغير السنة، من الجماعات المتمردة عليهم، مما ساعد على دحر ذلك التنظيم من بعض المناطق[117].

وابتداءً من عام: (2014م)، وتحت قيادة زعيمها أبو بكر البغدادي، انتشر تنظيم داعش بشكل ملحوظ، وحصلت على الدعم في العراق بسبب التمييز الاقتصادي والسياسي ضد سنة العراق العرب، وبعد نشوب الحرب في سوريا أصبح لهم وجود كبير في الرقة وإدلب ودير الزور وحلب، إلا أن هذا التقدم توقف بعد إنشاء تحالف من عدة دول لمحاربة التنظيم؛ يشمل دولًا عربية وإسلامية وأجنبية، من أهمهم إيران، وما بين أغسطس (2014م)، وأبريل (2015م)؛ خسر تنظيم الدولة (داعش) ما بين (25% - 30%) من الأراضي التي يُسيطر عليها في العراق. كما يسيطر أفراد تنظيم الدولة الاسلامية على مساحة كبيرة من مدينة الفلوجة العراقية؛ ابتداءً من أواخر ديسمبر (2013م) وبداية (2014م)، ولا تزال المعارك بين التنظيم المعارضين له إلى العام (2017م)[118].

وكان الهدف الأصلي (لداعش) هو إقامة الخلافة الإسلامية، في المناطق ذات الأغلبية السنية في العراق، وبعد مشاركته في الحرب الأهلية السورية، توسع هدفه ليشمل السيطرة على المناطق ذات الأغلبية السنية في سوريا، وقد أعلن عن الخلافة يوم (29 يونيو من عام 2014م)، وأصبح أبو بكر البغدادي، الآن يعرف باسم أمير المؤمنين ويلقب بالخليفة، والجماعة قد تم تغيير اسمها إلى "الدولة الإسلامية" فقط.

وقد شكلت أنشطة هذه التنظيمات بُعداً هاماً في التطورات التي شهدتها العديد من الساحات خلال السنوات الأخيرة، خاصة منذ نجاح تنظيم القاعدة في الخروج بأهداف بعض التنظيمات الدينية من إطار المحلية إلى العالمية، ورغم التباين بين أيديولوجيات بعضها وكذا توجهاتها وأهداف كل فصيل منها، إلا أن جميعها اشترك في السعي للوصول إلى مرحلة التمكين التي تتيح سيطرتها على مقاليد الأمور بدولها، وما زالت تلك الأنشطة تمثل خطراً مؤثراً على الأمن الدولي والإقليمية[119].

وعند الكلام على قيادات تنظيم داعش فإننا نشاهد أن هذا التيار أصبح يقاتل الأصل المنحدر منه، لذا فلا يمكن أن ننسب تلك الجماعة إلى أصلها المتحدر منه وهو تنظيم القاعدة، مع أن هناك كثير من التنظيمات قد تفرعت من تنظيم القاعدة، إلا أن جميع تلك الفروع تَتْبع الأصل ولاء وتنظيماً، وجميعهم لازال يلتزم بالبيعة لأمير التنظيم الدكتور أيمن الظواهري، الذي جاء خلفاً لمؤسسه الشيخ أسامة بن لادن[120].

أما عن تنظيم (داعش)، فهو لم يعد يعترف أصلاً بشرعية البيعة لأيمن الظواهري، كما أنه يلزم جميع أفرع التنظيم بمايعته، وإلا فمصيرهم القتال، يقول الخطيب: " وتكشف المساجلات بين العدناني والظواهري شكل العلاقة بين تنظيم الدولة والقاعدة(5)، ووجود مراسلات مستمرة بينهما حتى الشهر الأول من عام 2014، وتفيد بأن تنظيم الدولة تابع للقاعدة وقدَّم لها البيعة والتزم بأوامرها في شؤون الجهاد –كما يفيد الظواهري– ولكنْ "خارج حدود الدولة" على الأقل كما يوضح العدناني، ولكنَّ انشقاق تنظيم الدولة عن القاعدة وقع لأسباب منهجية بحسب العدناني، فـ"القاعدة لم تَعُد قاعدة الجهاد"، بل باتت قيادتها "مِعْولاً لهدم مشروع الدولة الإسلامية والخلافة القادمة بإذن الله"[121].

ولذا يصعب على من أرد أن يأتي بأهم الرموز لتنظيم داعش أن يأتي بسيرة متكاملة متجانسة؛ لأن هذه التنظيمات تلتزم السرية الكاملة في المعلومات الشخصية للأتباع، خاصة مع الحرب العالمية الموجهة تجاههم، فهو يؤثرون التخفي وعدم البوح بمعلوماتهم.

ثانيا: مخالفة (داعش) لمعتقدات أهل السنة، وأقوال العلماء فيهم:

قد يسأل سائل: هل يصح وصف تنظيم الدولة (داعش) بالخوارج، مع أن الخوارج هم من يكفر بكبائر الذنوب، وتنظيم (داعش) لا يقولون بالتكفير بالكبيرة، والخوارج هم من خرج على إمام المسلمين، وليس في سوريا أو العراق إمام للمسلمين، بل فيهما حكام طائفيون معادون لأهل السنة؟ وكيف يكونون خوارج وهم متمسكون بالشرع في أنفسهم، ويجاهدون في العراق والشام، ويطالبون بتحكيم الشريعة؟

عند الكلام عن الخوارج يعني الكلام عن فرقة من شر الفرق وأخطرها على أمة الإسلام، ولهذا نرى أن النبي الكريم قد خصهم بالذكر مع بيان لصفاتهم وطريقتهم فقال ﷺ: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[122].

قال الحافظ ابن حجر: " الخوارج... هم قوم مبتدعون، وسُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين"[123].

وقال الإمام النووي: " وَسموا خوارج لخروجهم على الْجماعة وقيل لخروجهم عن طريق الجماعة. وقيل في قوْله ﷺ: (يخرج في هذه الأمة) ولم يقل منها قال الْمازرِيّ: هذا من أدل الدَّلائل على سعة علم الصَّحابة، ودقيق نظرهم، وتحريرهم الْأَلفاظ، وتفريقهم بين مدلولاتها الْخفية؛ لأَن لفظ (من) تقتضِي كونهم من الْأمة، لا كفَّارا، بخلاف (في)، ومع هذا فقد جاء من رواية علي رضيَ اللَّه عنه (يخرج مِنْ أمَّتِي قَوْمٌ)، وفِي رواية أبي ذران (بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي) أَو (سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي)، وقد سبق الخلاف في تكفيرهم، والصحيح عدم تكفيرهم"[124].

وقال السيوطي في قوله ﷺ: (يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، مَعْنَاهُ: سهلا لِكَثْرَة حفظهم، وَقيل لِيا أَي يلوون ألسنتهم بِهِ؛ أَي يحرفُونَ مَعَانِيه وتأويله، وَقد يكون من اللي فِي الشَّهَادَة وَهُوَ الْميل قَالَه بن قُتَيْبَة"[125].

لذلك عُنيت السنة النبوية ببيان صفاتهم أتم بيان؛ حتى لا يلتبس أمرهم على الناس، وهذه الأوصاف منطبقة على (تنظيم الدولة) أشدّ الانطباق، وليس في النصوص الشرعية ما يدل على أنّ مِن شرط الخوارج أنْ يخرجوا على إمام المسلمين، أو يكفروا بكبائر الذنوب، وما هذه التعريفات والأصول التي ذكرها أهل العلم للخوارج إلا ضوابط تقريبية، ومعالم الوصف ما آلت إليه فرق الخوارج في عصورهم.

ومع النظر والاستقراء لحال تيار (داعش) نجد أنهم قد بانوا عن منهج أهل السنة والجماعة، وواقفوا الخوارج في الطريقة والمنهج لأمور منها:

أولاً: إن الضابط في تعريف الخوارج وإلحاق هذا الوصف بطائفة أو فرقة من الفرق هو ما ورد في النصوص الشرعية، وقد فصَّلت السنة النبوية في صفات الخوارج ما لم تُفصِّله في أيّ فرقة أخرى؛ لعظيم خطرهم، وسرعة الاغترار بهم، ومن أهمها: (التَّكفير، واستباحة الدماء، وسوء الفهم لنصوص القرآن والسنة، والطَّيش والسَّفه، وحداثة السن، مع الغرور والتعالي)، وهي الصفات التي وصفهم بها النبي ﷺ.

ثانيًا: ذكر بعض العلماء من أن مذهب الخوارج (تكفير مرتكب الكبيرة)، ليس وصفاً جامعاً لكل الخوارج، وليس شرطًا للوصف بالخروج، بل يدخل في الخوارج كل من يكفّر المسلمين بغير حق، ويستحل دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكبِ الكبائر، فمن الوصف النبوي أنهم (يقتلون أهل الإسلام)، ذكر أهل العلم أن سبب هذا القتل هو: الحكم بالكفر والردة على مخالفيهم. قال ابن عبد البر: " وهم قوم استحلوا بما تأولوا من كتاب الله عز وجل دماء المسلمين، وكفروهم بالذنوب، وحملوا عليهم السيف"[126].

وقال ابن تيمية: "الخوارج دينهم المعظم: مفارقة جماعة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم". وقال: " فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون، أكثر مما يستحلون دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين"[127].

والخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لم يكونوا ممن يعتقد القول بكفر مرتكب الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وإنّما كفّروا الصحابة بقبول التحكيم، مع أنه ليس بذنبٍ أصلاً، فكفروا عليًا ومعاوية رضي الله عنهما والحكَمين، ومَن رضي بالتّحكيم، واستحلوا دماءهم، فحكم عليهم الصّحابةُ رضي الله عنهم بأنهم الخوارج الذين أخبر عنهم النّبي ﷺ لفعلهم هذا، ولم يسألوهم عن مذهبهم في بقية الذّنوب، وهل يكفّرون بها أم لا. بل إن (النَّجدات) وهم من رؤوس الخوارج باتفاق أهل العلم، لا يقولون بكفر مرتكب الكبيرة، قال أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) مبينًا عقيدة الخوارج: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات فإنها لا تقول بذلك"، فالوصف الجامع للخوارج هو: "تكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك"، وهذا التكفير له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة أو بمطلق الذنوب، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشّبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التّحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع. وإذا كان العلماء قد حكموا على من يكفر مرتكب الكبيرة بأنه من الخوارج، فكيف بمن يكفر بالصغائر والأمور الاجتهادية أو بما هو مباح، كالجلوس مع الكفار ومراسلتهم، مثلاً؟

ثالثًا: كذلك لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط (الخروج على الإمام المسلم) للوصف بالخروج، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج. و(الخروج على الأئمة) عند الخوارج نتج عن التكفير بغير حق واستباحة دماء المسلمين، فإن وجدَ الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة. وتسميتهم بـ(الخوارج) إنما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، قال الحافظ ابن كثير: "قد تكلم في قتال التتر من أي قبي هو؟ فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه. فقال الشيخ تقي الدين، هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين"[128].

وبالنظر لإقامة داعش لدولتهم، فهذا لا ينفي عنهم صفة الخوارج، فما زال الخوارج يقيمون الدول والإمارات على مَرِّ التاريخ، بل فيهم من ادعى الخلافة، ولم ينزع ذلك صفة الخروج عنهم لمجرد وصولهم للحكم، طالما أنهم يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم.

رابعًا: الاجتهاد في الطاعة وبذل النفس، والمناداة بتطبيق الشريعة، أو محاربة الطواغيت، لا تعني بالضرورة السلامة من الانحراف، بل هذا ما عُرف به الخوارج طوال تاريخهم، فقد أخبر رسول الله ﷺ عن اجتهاد الخوارج في العبادة حتى لا نغترَّ بهم فقال: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)[129]. قال الحافظ ابن حجر: "كان يقال لهم القرّاء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك"[130].

وأخبر النبي ﷺ أن الخوارج يحسنون القول ويظهرون الدعوة للحق، فقال عنهم: (يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيؤونَ الْفِعْلَ)[131]. وقال: (يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لَا تُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ)[132].

قال السندي: أي: يتكلمون ببعض الأقوال التي هي من خيار أقوال الناس في الظاهر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره، كدعائهم إِلَى كتاب الله"[133]. وهو كحال رؤوس الخوارج وقد اجتمعوا في عهد علي بن أبي طالب، وتعاهدوا على حكم القرآن، وطلب الحق وإنكار الظلم، وجهاد الظالمين وعدم الركون إلى الدنيا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاموا إلى قتال الصحابة رضي الله عنهم!

ويؤيد ما ذكرناه من التحليل في حقيقة الفكر الداعشي ما أفتى به أهل العلم علماء الأمة من أهل السنة، بالعموم، ومن التيار السلفي الجهادي بالخصوص، عن تنظيم (داعش) ومن أولئك ما يلي:

علماء الأزهر الشريف: " وصف شيخ الأزهر أحمد الطيب في كلمة ألقاها أثناء استقباله وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، أعضاء داعش بالمجرمين "الذين يصدرون صورة شوهاء عن الإسلام". واعتبرهم أدوات في أيدي الصهيونية. وأكد الطيب أنه "من المحزن غاية الحزن أن هؤلاء المجرمين استطاعوا أن يصدروا للعالم صورة شوهاء مفزعة عن الإسلام والمسلمين"، واتهم هذا التنظيم وكل المجموعات "الإرهابية" بأنهم "صنائع استعمارية تعمل في خدمة الصهيونية". وتابع "من المؤلم أن ترتكب هذه الجرائم غير الإنسانية تحت دعاوى الخلافة واستعادة الدولة الإسلامية وباسم الإسلام الذي هو دين الرحمة". كما شدد على أن "هذه المناظر المرعبة التي تبث باسم الإسلام" هدفها "تشويه صورة المسلمين في مرآة الغرب". واعتبر أن "هذه الجماعات الأصولية الإرهابية أيا كان مسماها أو اسمها أنها صنائع استعمارية تعمل في خدمة الصهيونية"، من أجل تنفيذ "خطتها لتدمير المنطقة العربية"[134].

هيئة كبار العلماء في السعودية: "إن من الواجب الذي يفرضه الدين على جميع المسلمين كلا في مجاله، مكافحة الفكر الداعشي الخبيث، الذي يهدف إلى تمزيق بلاد المسلمين وإشاعة الفوضى بينهم، مؤكداً أن داعش دسيسة على الإسلام، صنعتها أيد خفية ولها مهمة تؤديها، وهدفها: بثُّ الفرقة، وتفريق الكلمة، وتشويه الدين الإسلامي الحنيف. وأضاف البيان: الدواعش تجار زائفون، رأس مالهم التدجيل، واللعب على صغار العقول، فأفسدوا فطر أتباعهم الإنسانية، فضلاً عن الدينية بما ابتدعوه من تكفير المسلمين وتفجير مساجدهم وقتل أقاربهم، واستباحوا لأجل ذلك الحرمات والمحرمات، وغاية ما يصلون إليه الانحلال من هذا الدين الحنيف. وأشار البيان إلى أن إجماع الأمة وعلمائها وعامتهم أكدوا على ضلالهم وشناعة مسلكهم الذي قادوا به شذاذا من الخلق فما قادوهم إلا إلى الهلاك، نسأل الله تعالى أن يقطع دابرهم وأن يكفي المسلمين شرهم"[135].

المجلس الإسلامي السوري: "موقفنا من تنظيم (الدولة): يحلو للبعض أن يصور الخلاف مع تنظيم (الدولة) على أنه نابعٌ من عدم الرضا عن تصرفاته، أو أحكامه الجائرة، أو انفراده بإعلان "الخلافة"، ونحو ذلك. ومع تأكيد كل ما سبق، إلا أنَّها جزئيات وفروع عن الأصل الذي هو: الخلاف مع التنظيم في المنهج والعقيدة، فالتنظيم قد انتحل عقيدة الخوارج المتمثلة في: الحكم على مخالفيه من كافة فصائل المجاهدين في العراق وسوريا بالكفر والرِّدة، واعتقاد أنَّ قتالهم واستهدافهم أولى وأوجب من قتال الرافضة والنصيريين؛ فاستباح بذلك دماءهم، وجعل قتالهم أهم أهدافه وأعظمها. ثم بنى على هذه العقيدة الخارجية والفكر المنحرف بقية المعتقدات والأفكار، والتصرفات والأفعال. فلا إمكانية للقاء مع هذا الانحراف، أو السكوت عنه، أو الرضا به، أو التلاقي معه إلا بعد التوبة عن هذا المنهج والرجوع عنه. وإن موقفنا هذا نابعٌ من الوعي بالحكم الشرعي على هذه البدعة الخطيرة، وإدراك أثرها في الدين والواقع... لا يغيره مزيد طاعة، أو مناداة

بشعارات براقة؛ فقد حذرنا رسولنا ﷺ من الاغترار بعبادتهم وادعاءاتهم: (يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، كما لا يُغير موقفنا منهم قتالهم للأعداء، أو (تحريرهم) بعض البلدان؛ فإنهم لا يقاتلون عن عقيدة صحيحة، ولا لسبب صحيح كما سيأتي بيانه"[136].

الدكتور: أحمد سعيد حوى: عضو المجلس الإسلامي السوري، قال: " معلوم ما الذي حدث في العراق من الاحتلال الأمريكي الصليبي عام (2003م)، وذاق فيه الأمريكان الغزاة من المقاومة العراقية أياما مرة وليال سوداء، ففكر الغزاة أن خير ما يمكن أن يعينهم أو يخفف عنهم أن يمزقوا صف هذه الأمة، وتحديداً صف المقاومة العراقية، ويبدوا أن أعدائنا درسوا تاريخنا، ويوظفوا تلك التجارب التاريخية مرة بعد مرة، ولكن للأسف نحن الذين لم نقرأ تاريخنا، أو لم نوظف دروس التاريخ. وبدراسة التاريخ من زمن الراشدين، قد ظهر البغاة ثم ظهر بعد ذلك الخوارج، ...، والسؤال هو من الذي هيئ الأسباب لظهور تلك الحركات وكل دارس للتاريخ أدرك هذه الأسباب، أو الأصابع الخفية له، وهي الأصابع المجوسية الفارسية، والمكائد اليهودية، والمكائد الصلبية، المهم هو أن أعدائنا عرفوا أنه يمكن أن توظف الصراع فيما بين المسلمين لخدمة أغراضهم، أو تتسبب في خلق ذلك الصراع، ....، فلاشك أنه كان اختراق، لكن أن يكون هناك اختراق يتحكم بحجم التنظيم فهنا الكارثة، وهؤلاء قد جاءوا إلى الشام يريدوا أن يقيموا مشروعا، لا شك أنه بأفكارهم الذي يحملون، ولا شك أنه فكر غالٍ منحرف[137]".

أبو بصير الطر طوسي، عبد المنعم حليمة: قال: "هذا التنظيم المسمى جماعة الدولة، سهل الاختراق، لما يمتاز به من الغلو، والإقصاء، وتكفير الأخرين، والصوت المرتفع، والعنف، فهذا لا يستبعد أن يخترق، بل هذا شبه مؤكد أنه تنظيم مخترق من دول المنطقة كلها، ليس فقط من العراق، بل من الاستخبارات العالمية كلها؛ لأنه محط اهتمام دول العالم، وهؤلاء يجمعهم الغلو، ...، وقد كنت أول من نبه أهل الشام عن خطورة هذا التنظيم، ومجاهدو الشام يعلمون ذلك، لعلمي أن هذه الجماعة كانت تستظل تحت ظل جبهة النصرة، وغيري كثير يدرك ذلك"[138].

أبو محمد المقدسي: في مقابلة أجرتها قناة[139] (CNN) العربية قال[140]: "حقيقة هنالك ألفاظ ربما لو أقولها يكذبونني أو يصعقونني، ألفاظ لا تليق بمسلم، وأنا لست عدائي، وخصومتي مع جماعة تنظيم الدولة التي يسمونها الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية، وليس خصومة مع الخلافة والدولة الإسلامية كما حاولوا هم أن يصوروها، أو كما هي ربما قد تكون خصومة كثير من الغربيين من أجل الإسلام نفسه أو الرعب من شيء اسمه الدولة الإسلامية، أنا خصومتي معهم لأنني أخشى على مسمى الدولة الإسلامية، وأخشى على مسمى الخلافة، وأخشى على الإسلام من التشويه من هؤلاء الذين عندهم غلو، وعندهم انحرافات عقيدية كثيرة، ومخالفات شنيعة شوهت الإسلام وشوهت الجهاد، وأنا أدافع عن عقيدتي، وعن

إسلامي، وعن هذا التيار السلفي الجهادي، وعن الإسلام والدين قبل ذلك، وعن مسمى الخلافة والدولة الإسلامية، أدفع تشويه هؤلاء القوم والصبغة السيئة التي يريدوا أن يصبغوها بها؛ سواء بخبث أو مكر، أو بغباء أو حماقة، أنا مهمتي أن أنقي هذا المنهج وأحرس الشريعة من انحرافاتهم".

أبو قتادة الفلسطيني: وهو أحد رموز الحركة الجهادية في العصر الحديث: " أن إعلان الخلافة هو إذهابٌ للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة الجهاد إلى الدم الصريح وإعطائه صفة الشرعية"[141]. فنراه في هذا القول لا يجادل في أصل المشروع وإنما في تفاصيله الإجرائية وكيفية تحقيق الخلافة.

وقال: " إن إعانة الصلبيين على قتل مسلم حتى لو كان بمثل هذه البدعة الشنيعة التي عليها خوارج الدواعش، فهذه إعانة كفرية، لا يجوز لمسلم أن يفعلها ولا أن يأتيها، ...، نعم قاتلوا الدواعش الخوارج بالطريقة الشرعية، وليس بما تفعلون)[142]. الشاهد هو لفظ: (البدعة الشنيعة التي عليها خوارج الدواعش). وبنظر أبو قتادة، فقد دخل "الانحراف" إلى تنظيم الدولة –وفق تشخيصه– من جهتين:

الأولى: من أفراخ جماعة الخلافة الذين كانوا حريصين على أن يحصلوا على تزكية منه لأفكارهم التي تتلخص في أن سبب الفساد هو غياب الخلافة، وأنها تحصل بأن يبايع المسلمون واحدًا من آل البيت، وهي الفكرة التي تلقفها منهم تنظيم الدولة.

والثانية: من بقايا جماعات التوقف والتبيُّن وبقايا الجماعات الذين شاركوا في الجهاد ثم نشروا بعض الأفكار المنحرفة في عقول الشباب الذين تدينوا فجأة والعجمِ الذين أسلموا وهم خالو الذهن من المعرفة الشرعية[143].

يقول الخطيب: "الانحراف" الذي تحدث عنه أبو قتادة الذي كتب ردَّه هذا بطلب من أبي محمد المقدسي، يذكّرنا بما حدث من قبل (1425هـ/2004م) حين كتب أبو محمد المقدسي رسالة لأبي مصعب الزرقاوي الأب الروحي لتنظيم الدولة بعنوان "الزرقاوي مناصرة ومناصحة"، فجوهر هذا "الانحراف" المتكرر في حالتي الزرقاوي والبغدادي يقوم على أمرين:

الأول: التفلت من قيود العمل الجهادي التي أرساها فقهاء القاعدة، بدءًا من مفهوم الجهاد وعدم تحويله إلى "قتال نكائي" أو ثأري، ثم عدم تأثر "الاختيارات الجهادية" بضغوط الأعداء وإجرامهم، والتحرز من التوسع في تكفير المسلمين، ومراعاة الفوارق بين دار الكفر الأصلية التي جمهور أهلها كفار ودار الكفر الاصطلاحية الحادثة التي جمهور أهلها من المنتسبين إلى الإسلام.

الثاني: الطبيعة المتصلبة لقيادة تنظيم الدولة، فافتقار الزرقاوي للمرونة "حرَمه الاندماجَ في القاعدة والنزول تحت إمرة الشيخ أسامة" كما يقول أبو محمد في رسالته، ويشير إلى أن "أبو أنس" الذي قرّبه الزرقاوي ليسترشد به "لم يكن يتبنى اختياراتنا بحذافيرها"، والأمرُ نفسه رأيناه في حالة البغدادي مع الظواهري"[144].

كذلك عند النظر في حالة أبي محمد المقدسي –وهو أيضا من رموز الحركة الجهادية ومراجعها الشرعية– مع الزرقاوي، والتي جاءت في الرسالة التي وجهها إلى أبي مصعب الزرقاوي، يفيد أن عدم التقيد بضوابط الجهاد؛ كما تقرره المرجعية سيؤدي إلى بروز قوم "سيَثِبُون إلى القتال دون ضوابط، وسيخرجون على الأمة لا يميزون بين برِّها وفاجرها، ولا يوازنون بين مصالحها ومفاسدها"[145].

وعند النظر في حالة أبي قتادة مع البغدادي، فإنه يرى أن "تنظيم الدولة" ضرب "المشروع الجهادي في نقطتين: الأولى: أنها قسمت المشروع الجهادي، والثانية: أنها وجهت الصراع نحو الداخل؛ لدرجة أن خصومتها مع النُّصرة انتقلت خلال ستة شهور من خصومة على الإمارة إلى صراع فكري؛ حين جعلت من نفسها "خلافة" على معنى "جماعة المسلمين" لا جماعة من المسلمين."[146]. نجد أن في كلا الحالتين إشارة إلى وجود انحرافات لدي تنظيم داعش قد أشار إليه رموز الفكر الجهادي الحديث، وسوف نذكر مقولات للمراجع الشرعية لدي التنظيمات الجهادية تؤكد مقارفة تنظيم داعش للانحرافات الفكرية لاحقا.

بالإضافة إلى استنكار عدد من علماء الامة من أهل السنة، ولكن آثرت عدم ذكرهم كونهم لم يتقاربوا مع هذا التيار أو غيره من التيارات الجهادية، بل الأغلب على التيارات الجهادية لا تقبل من أقوالهم شيئا. وإنما اكتفيت بالعلماء الذي يصنفون على التيارات الجهادية.

ثالثا: الانحرافات وأسبابها لدى تنظيم (داعش).

رغم محاولة قيادات تنظيم داعش توصيف الخلاف بينهم وبين التيارات الجهادية الأخرى بأنه خلاف منهجي، إلا أنه يبدوا من الواضح أنه خلافٌ لا يتناول التصورات والأصول؛ بقدر ما يتناول المسائل التنظيمية والإجرائية، فتنظيم الدولة مثلا؛ لم يكن راضيًا عن ابتعاد الظواهري عن ساحات القتال، وعما بدا أنه تراجع أو مهادنة في مسائل الجهاد باتجاه "السلمي"، والخلاف كله يدور على مسألة إعلان "الدولة في العراق والشام" وضمّ النُّصرة، ثم على توقيت إعلان "الخلافة" وإجراءاتها، وهو تَحَلُّل من احتكار الظواهري لقيادة الجهاد العالمي ما دام خارج ساحة المعارك وفَقَدَ سيطرته على تفاصيل التنظيمات الجهادية، وهو تَحَللٌ تدفع إليه إنجازاتٌ على الأرض تهيئ لإعلان خليفة واحد فيها جميعًا يُعلن كفره بالطاغوت ويتبرأ من الكفر

والشرك وأهله، ويحكِّم "شرع الله"، وهو الحل الذي قدمه العدناني لحالة التشرذم والاختلاف بين تنظيمات الجهاد والتي يرى أن الظواهري قد تَسبب فيها[147].

يقول الخطيب: "لا تقدم فكرة "الغلو والانحراف" مسوِّغًا كافيًا لجَعل تنظيم الدولة مختلفًا كليًّا عن القاعدة؛ بقدر ما تدفع إلى القول: إننا أمام تطور داخل العالم في مفاهيم الجهاد العالمي وانفلات من القيود المفروضة من القيادة المركزية؛ تجاوبًا مع الإمكانات التي يتيحها المشروع الجهادي نفسه وما تفرضه التطورات على الأرض، والاختلاف حول الوسائل الأجدى لتحقيق المشروع، بالإضافة إلى الصراع على الإمارة نفسها التي هي مركزية في المشاريع الحركية التنظيمية عامة. فلا يمكن لمسلسل الخروج عن "نظام الفقه الإسلامي" الذي بدأه فقهاء الجهاد العالمي أن يقف عند الحد الذي رسموه هم لأنفسهم وأتباعهم، فمنطق الخروج متسلسل ويدفع إلى مزيد من التشظي، وهو ما عرفناه من تجارب هذه التنظيمات حيث تسيطر فيها الأفكار والتصورات دون القوالب التنظيمية وقيودها فتنفجر الحدود وفق شروط معينة"[148].

يدعي تنظيم داعش أنه يتبع التيار السلفي على حسب رأيهم، غير أنه يتبع طريقة متشدِّدة في فهمه للإسلام؛ فتراه يشجع على العنف باسم الدين، ويعتبر الذي يخالفه في معتقداته وطريقته حلال الدم والمال، لكونه قد ارتدّ عن الإسلام في نظرهم. ويقوم مقاتلو داعش بالتفريق بين أتباع المذاهب المختلفة بسؤال عدة أسئلة، منها: الاسم، ومحل السكن، وكيفية الصلاة ونوع الأناشيد التي يستمع إليها.

وقد أنكر على داعش أن يكون يحمل منهج السلف الصالح كثير من العلماء ورجال الدين؛ إن لم يكن جل الموجودين على الساحة الشعبية الإسلامية، من أمثال مفتي السعودية عبد العزيز آل الشيخ، ومفتي مصر، وكبار علماء العالم الإسلامي؛ ووصفوهم إياهم بالخوارج[149].

أسباب الانحراف لدى تنظيم داعش:

من خلال تحليل المنهج الذي يسير عليه تنظيم (داعش) يمكن عرض بعض أسباب الانحرافات الفكرية لديهم فيما يلي:

أولا: الجهل:

وذلك بإصدار الأحكام الكفرية بتهور شنيع، والعزوف عن رأي علماء الأمة جميعا، ولا يقبلون القول إلا من فقاءهم فقط، بل وصل بهم أنهم يكفرون كثير من علماء المسلمين، ووصفهم بأقذر الأوصاف، وكل ذلك ناجم عن عدم الفقه، وإغفال بعض الأدلة والتمسك بالبعض، يقول أحد قيادات التيار الجهادي، المعروف بأبي مصعب السوري وهو يصف المعوقات لحركة الجهاد: " تفشي الجهل عامة في مختلف

مستويات المعرفة فضلً عن الجهل البشري، وانخفاض مستويات التربية السلوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات، الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي، ومعظم، مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت، العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب تجاوزت لتكون حالة بعض من، تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين. وقال أيضا: افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربية والفتوى، والكتابة والتوجيه. ويكونون رموزًا شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب، مما اصطلحوا عليه بالاسم الفضفاض:(أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو عالم، فما من مسلم إلا وعنده علم. انخفاض مستوى العلم الشرعي عمومًا في التيار الجهادي وعلى كافة، المستويات، حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.![150].

والمشاهد على تنظيم داعش أنه ليس فيهم علماء معروفون مشهود لهم عند المسلمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه لأسلافهم من الخوارج: (أتيتُكُم من عندِ صحَابَةِ النَّبيِّ ﷺ، مِنَ المهاجِرينَ والأنصارِ، وفيهِم أُنزِلَ، ولَيسَ فيكُم منهُم أحَدٌ)[151]، فغالبهم من صغار السنِّ الذين تغلب عليهم الخِفَّة والاستعجال والحماس.

ومن سماتهم الفكرية وسمات خطابهم –وهو يدلّ على ضعف حجتهم وفقد الاستدلال بالنصوص الصحيحة والصريحة– استدلالهم بالخوارق وادعاء الكرامات ونشر الصور في ذلك والقصص والروايات، وهذا منهج أهل الأهواء عموما، البحث عن أحداث عاطفية سواء كانت خوارق أو رؤى وأحلاماً، فنحن وإن كنا نؤمن بحدوث الكرامات لكن لا يترتب عليها الحكم الشرعي ولا تدل على صحة المنهج في ذاتها ولا صحة العمل بها، لذلك لا نجد من استدلالات العلماء والفقهاء قديما وحديثا على الأحكام والمسائل أنهم رأوا رؤية أو حدثت لهم كرامة! إنما هذا هو منهج أهل الأهواء.

ثانيا: قصر الفهم:

الإشكالية لدى تنظيم داعش والتنظيمات التي تتجه للعنف هو الفهم المغلوط للنصوص والأحكام الشرعية، وعدم فهم طريقة العلماء الراسخين من أهل السنة في الاستدلال وحالهم كما قال المتنبي:

وكم من عائبٍ قولا صحيحا وآفته من الـفهم السقيم
ولــكن تــأخـذ الآذان منــه على قدر القرائح والعلوم [152]

وفساد منهج الاستدلال لديهم يقوم على أنهم يبنون أحكامهم ورؤاهم ومنهجهم على مجموعة انتقاءات من كتب بعض العلماء المتقدمين والمتأخرين لا يأخذونها في سياقاتها لا العلمية ولا التاريخية، فينتقون ما يوافق هدفهم (السياسي أو الفكري)، فأئمة الإسلام لا يمكن أن يؤصلوا لمنهجٍ يخالف بدهيات وقواعد شرعية مثل: الجماعة، وعدم شق الصف، وحقن الدماء، وحفظ الحقوق، والمعاهدات. كلها قواعد كلية يجب صيانتها والمحافظة عليها؛ وذلك لحفظ الدين والمجتمعات والقيام بحق الله جل وعلا. فديننا ليس فوضى وليس دين غدر وخيانة ونقض للمواثيق والعهود. وهذه كلها نتائج سلبية للهوج الفكري الذي تحمله هذه الجماعات الدموية المنحرفة. يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء:83]، "روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ ﴾: إنّ المنافقين كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا عنها، وإن أفضى الرسول إليهم سرا أذاعوا به إلى العدوّ ليلا بتكتّم، فأنزل الله تعالى ردّا عليهم ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾؛ يعني: أمورهم في الحلال والحرام، ﴿ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ في التصديق به والقبول، ﴿ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾؛ يعني: حملة الفقه والحكمة ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ يعني الذين يفحصون عن العلم"[153].

فهذا هو المنهج في الاستدلال والنظر والتفكير، وألا يكون الإنسان خفيف العقل رقيق النظر بحيث يطير بالخبر ويتخذ موقفا تجاه ما سمع أو يُتناقل، وواقع هؤلاء يخالف هذا المنهج المستقيم، فتهييج الجماهير والناس سمة من سماتهم بالأخبار والنقولات والاختيارات العلمية التي توافق ما في نفوسهم. وكيف قُتِل خليفة رسول الله عثمان رضي الله عنه! إلا بالتأليب ضده وبالتحريض والتهييج وتناقل الأخبار وانتقاء المواقف والاستدلالات الفاسدة![154].

والغالب على تنظيم داعش قصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، فهم كما قال عنهم النبي ﷺ: «حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»، وقد أثر غياب أهل العلم والحكمة على تصرفاتهم فوقعوا في السفاهة والطيش، وعدم النظر لمآلات الأمور وعواقبها، وما تجره على المسلمين من ويلات ودمار، بزعم الصدع بكلمة الحق أو التوكل على الله.

ثالثا: التعالي على الآخرين، والتعصُّب الأعْمى:

وهذا عامل آخر من عوامل تطرف (داعش) والجماعات المتطرفة الأخرى، وبسبب هذا التعصُّب والانغلاق في مفهوم الولاء والبراء المَبْنيّ على أساس حزبي ضيّق، بدأ (داعش) بقتال المسلمين؛ قبل غيرهم

ممن لم يرضوا بمبايعتهم، فتلطَّخت أيديهم بدماء المسلمين في سوريا والعراق، لأنهم لم يرضوا بالعمل في ظل دولتهم والانضمام الى خلافتهم[155]. وجميع ذلك يدفعهم إلى الغرور والتَّعالي على المسلمين، فقد زعموا أنهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد؛ لذا فإنهم يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه! قال ﷺ في الخوارج: (إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)[156] وهذا الغرور هو الذي يدفعهم للتطاول على أهل العلم والحكمة، وعدم الأخذ بكلامهم، فيدعون العلم والفهم، ويواجهون الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رَوية، ويرفضون التحاكم لمحاكم مستقلة فيما شجر بينهم وبين الفصائل الأخرى[157].

فاجتمع في تنظيم (الدولة) من الشر ما لم يجتمع في غيره من الخوارج من قبل، من الاجتماع على الباطل، والامتناع من الانقياد للحق والمحاكم الشرعية، والكذب، والغدر، والخيانة، ونقض العهود، ومماألأة أعداء الإسلام، حتى صاروا أخطر على المسلمين والمجاهدين من النظام النصيري الطائفي، وفاقوا الخوارج الأولين شرًا وسوءًا وانحرافًا. وحُكمنا على تنظيم الدولة بأنه من الخوارج، لا يعني بالضرورة الحكم على كل فرد من أفراده بذلك؛ إذ قد يكون فيهم من هو جاهل بحقيقة أقوالهم وحالهم أو مغرر به، إلا أنهم جميعًا من حيث حكم التعامل معهم سواء، فعلينا دفع شرورهم، وحسابهم على الله تعالى.

بعض مظاهر الانحراف لدى تنظيم (داعش)

أولا: الخروج على جماعة المسلمين:

الخروج عن جماعة المسلمين، وحصر الحق في منهجهم، والحكم على جميع من يخالفهم في الفكر أو المشروع بالعداء للدين، وآخر ذلك ادعاؤهم (الخلافة)، وإيجاب بيعتهم على جميع المسلمين.

يقول السوري: "بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة، من المطاردات والقهر والكبت والظلم؛ وعلل الصحوة الإسلامية وبلاء علماء السلطان، وطغيان الحكومات، وغزوات الأعداء الخارجين، وما يجري في الأمة من نكبات. مع إعراض أكثرها عن دينهم. أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة"[158].

ثانيا: عدم قبول المخالف:

وهو ما يدل على عدم احترام القواعد والأصول الشرعية. فإن لزوم الجماعة ووحدة الصف واجتماع الكلمة أصلٌ عظيم من أصول أهل السنة يقول الله جل وعلا في سورة آل عمران: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)... الآية، وقال جل وعلا: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَتَرْكُ قِتَالِ الْأَئِمَّة)[159] مجموع الفتاوى [128/28].

ومن هذا محاربة من يُخالف آرائهم الشاذة، ويصفونهم بالنفاق وبالرّدة، ويستحلون دماءهم وأموالهم. بالإضافة إلى التعذيب الوحشي ضد المخالفين من الفصائل الأخرى، وإلزامهم بتكفير من لم يبايع البغدادي[160].

ثالثا: استحلال الدماء، واستهداف الآمنين:

من أعظم المآخذ على تنظيم (داعش)، هو استحلالهم قتال من خالفهم في منهجهم، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة، فأعملوا في المسلمين خطفًا، وغدرًا، وسجنًا، وقتلًا، وتعذيبًا، وأرسلوا مفخخاتهم لمقرات المجاهدين، فقتلوا من رؤوس الثوار من المجاهدين، والدعاة والإعلاميين، والنشطاء ما لم يستطع النظامان الطائفيان في العراق وسوريا فعله، وقاتلوا المسلمين بما لم يقاتلوا به الأعداء، وجميع ذلك يصدق قول الرسولﷺ: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)[161].

فنرى داعش قد استحلوا أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، ومصادرتها دون وجه حق، واحتكار موارد الدخل العامة من آبار نفط وصوامع غلال وغيرها، والتصرف فيها كتصرف الحاكم المتمكن. وقاموا بتبنّي عمليّات انتحارية ضد المسلمين، في العراق وسوريا، كما أنهم نقضوا العهود، وخانوا الأمانات، وأراقوا الدماء، واعتدوا. بل وتجاوز إلى عدة دول إسلامية، واستهدفوا المدنيين فيها، كما استهدفوا الأسواق ذات الغالبية المسلمة. كل هذا بسبب منهج استدلال فاسد ومنحرف، وعدم وعي عن قول الله جل وعلا:﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين ﴾.[القصص: 77].

كما أن من سمات هذا التنظيم: تحريك العواطف وشحن النفوس فيما يحصل من الاعتداء على المسلمين والحروب والقنابل ومشاهد الدماء واستغلال ذلك في تحريك العواطف بالاتجاه السلبي، ويدفعون الشباب في أتون ساحات عمياء وهاوية لا نعرف مبدأها ولا منتهاها تحت اسم الجهاد ونصرة المسلمين، وهنا نقطة مهمة يحسن توضيحها، إن التفجير جزء من المشكلة وإن كان جُرما ومنكرا لكنه أحد الأجزاء،

فالإفساد تنوّع في العقيدة والديانة والآثار الاجتماعية لدى الأسر، والنكسات الدعوية في المجتمعات والدول غير الإسلامية[162].

هذه الانحرافات هي الانحرافات التي وقفت عليها لدى (داعش)، ولم أوردها لتحامل عليهم أو خصومة، وإنما إنصافا لدين الله عز وجل، ولإبراء الذمة مما وقعت فيه تلكم الجماعة التي اتخذت من الغلو دينا، ومن التكفير عقيدة، ومن استباحة الدماء منهجا، ومن مخالفة إجماع المسلمين شعارا.

رابعا: داعش والغلو في التكفير:

لنا وقفة هنا مع ظاهرة الغلو لدى تنظيم الدولة الإسلامية؛ (داعش). فلقد تدخلت داعش في الثورة السورية بشكل كبير وواضح، واستطاعت أن تحكم قبضتها على الكثير من أراضيها، مما زاد في أمد الحرب وجعل الأمل في سقوط نظامها ينقطع، فالنظام السوري غير مرحب به داخليا، والنظام الداعشي غير مرحب به دوليا، مما جعل الحرب تتنقل بين الدول الكبرى بمبادرة هنا، ومفاوضات هناك، بغية الوصول إلى حل يرضي الطرفان؛ الداخلي والخارجي. فالمعارضة تريد من التحالف القضاء على النظام، والتحالف يريد القضاء على داعش، وباتت الثورة السورية لا بواكي لها، وخيم الفشل الذريع عليها، دولة تعمّها الفوضى، افتقدت جميع الخدمات الأساسية، وغياب كامل للمؤسسات الحكومية[163].

وهكذا، اصطدمت الثورة السورية بتنظيمات مستبدة لا تختلف عن النظام السابق، أدت دوراً تدميرياً ليس في عرقلة عملية التغيير فحسب، وإنما في تدخل منظمات عسكرية غير محلية؛ كحزب الله اللبناني، والجيش الثوري الإيراني، كل هذه التنظيمات تم تشكيلها بشكل مباشر أو غير مباشر على يد الأنظمة السابقة؛ لغرض عرقلة عملية التغيير، وانتقال السلطة، ولذلك انتقلت كل البلدان الربيعية الى المرحلة الخريفية، وعمت فيها الفوضى، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه للدخول في حرب أهلية؛ لتفتيتها اجتماعيا، لوجود شراذم من الأنظمة السابقة والتعصب للانتماءات الطائفية، قبل المعارضة السياسية، وهذه هو الذي جعل المجتمع الدولي في تردّد تام في دعم تلك المعارضات السياسية، بل وسمح لعملية التغيير أن تنزلق إلى صراع مسلّح وحروب أهلية، وللأسف تبدو هذه هي الحقيقة المرة التي نواجها اليوم بأن الحرب الأهلية أضحت هي الخلف الطبيعي لدكتاتورية الأنظمة التسلّطية السابقة التي حكمت أمتنا الإسلامية والعربية لعقود من الزمن.

لا تتحرّك ظاهرة داعش، كظاهرة في بيئة التوترات والصراعات والحروب المحلية في سوريا فقط، بل أصبح لها تواجداً إقليميا مثل اليمن وليبيا، بل هي تجوب جغرافيا العالم برمته، حيث لا هوية محدّدة لأفراده، ولا وطن بذاته ينتمون إليه، بل يرون أن كل أرض هي بيئتهم، وكل قطر يستطيعون الانتقال إليه هو هدفهم،

وكل شبر يتحركون فيه هو دولتهم، ولهذا لا عجب حين نرى أنه يستفيد من عملياته المتنوعة أكثر من طرف –دولة أو دول–بأجهزتها المخابراتية والأمنية، في تداخلات للمصالح بعضها مع بعض، وما يجري من شجب واستنكار يراد به التنصل من هذه العملية أو تلك، ما هو إلا فقاعات ماء لحظية ثم ننتهي لسبب أو لآخر.

نحن بحق أمام موجة عارمة من أشكال العنف الممنهج، ظاهرة لا تقتصر على المغالاة والتشدد فحسب، بقدر ما تعبر بأنها ظاهرة (دوغمائية)[164] جامدة، لا مثيل لها في عصرنا الحديث، من حيث تجاوزها لكل الحدود الدولية والأممية؛ وانتهاجها نزعة إجرامية تسلطية، اعتاد أصحابها على القتل السهل بدم بارد، واستسهلوا الإجرام بشتى ألوانه وطرقه، مع الاعتقاد الحتمي من أفراده أنهم يدافعون عن الإسلام، والجزم بأن لديهم قضية يؤمنون بها، وفي الواقع هم أبعد ما يكونون عن أصول هذه القضية وهويتها.

هناك ضوابط وشروط وموانع، فيما يتعلق بإخراج الناس من دائرة الكفر، وإذا كان المسلم يتورّع أن يُفتي أو يحكم في مسائل الطهارة والعبادات فكيف يتجرأ على مسائل الدماء والردّة! وليس مطلوبا منه أصلا أن يتحقق ويبحث في حال فلان من الناس هل هو على الإسلام أو الكفر؛ لأن هذا مهمة القضاء والمحاكم لما يترتب عليها من أحكام وتبعات دينية ودنيوية. وهذا التنظيم قد أغرقوا الناس في مسائل التكفير والردّة وإقامة الحدود وإسقاط المعاهدات بناءً على استدلال فاسدٍ ليس له محل من النظر الصحيح ويخالف منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، ويناقض أصول أئمة الإسلام والفقهاء رحمهم الله تعالى. ولو كان الأمرُ كما يبثون ويقولون لفسدتِ الدنيا وأصبحت فوضى فلكل شخص حق التكفير وإقامة الحد والمحاسبة ونقض العهد والأمان! فنجدهم يكفرون جميع الدول الإسلامية التي لا تحكمها الشريعة الإسلامية، بصورة كاملة، كما قال أحد قاداتهم في كلمة له بعنوان،﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾: "ونعتقد بأن الديار إذا علتها شرائع الكفر، وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام، فهيَ دار كفر". ويمكن الرد على ذلك بقول ابن تيمية: "فليس لأحدٍ أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ أو غلَط، حتى تقام عليه الحجة، وتُبَيِنَّ له المحَجَة. ومن ثبت إسلامُهُ بيقين، لَم يُزَل عنه باشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحُجة، وإزالة الشبهة"[165].

كذلك يحكمون على من خالفهم بالكفر والردة، ووصفهم بالصحوات، ورميهم بالخيانة والعمالة للكفار، بالشُّبه، وبما ليس كفرًا أصلاً، كالتعامل مع الحكومات والأنظمة الأخرى واللقاء بمسؤوليها[166].

كما يكفرون جميع التيارات الإسلامية المشاركة في العمليات السياسية، ففي كلمة لأحد قادتاهم في: (2007/3/13): "نرى كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية؛ كما نرى أن منهج الحزب

الإسلامي منهج كفر وردة". ولا شك أن الأحزاب الإسلامية في: (اليمن، ومصر، والكويت، ...إلخ) ضمنا[167].

خامسا: أثر تنظيم الدولة (داعش) على الربيع العربي:

لم يكن حدث الربيع العربي حدثا عاديا في تاريخ الأمة الإسلامية والعربية، كي يمر مرّ الكرام ولا يبالي به الناس، بل لقد قام الربيع العربي بقلب الموازين العالمية، وتبديل الاستراتيجيات الإقليمية والدولية، فحين وقع كانت الأمة عندها منهكة من ضغوط الاستبداد والظلم؛ التي أثقلت كاهلها، بالإضافة إلى غياب المشروع الإسلامي التوحدي؛ للنهوض بالأمة في مواجهة الضغوط الخارجية – الغرب أمريكية –، في ظل ذلك كله تكونت معالم الربيع العربي، "لقد كان تحرك الشعوب العربية في تونس ومصر وسوريا واليمن والعراق وليبيا مُبرراً، وكانت ثورتها على الحكام الفاسدين سليمة، وكانت ولادة الربيع العربي ولادة طبيعية؛ من أجل ابتداء مشروع نهضوي جديد بعد فشل المشروع النهضوي الذي بدأ قبل أكثر من قرن.

وعند استعراض الوضع الحاصل في سوريا مثلا؛ نجد أن الربيع السوري كان لحظياً وهو عند انبثاق الثورة في بداياتها فقط، وسرعان ما تبددت الآمال، وانتكس الربيع إلى خريف قاحل، لا ترى معه أي زهرة نابتة، ولعل من أشد المعوقات التي اعترضت الثورة السورية؛ هو ظهور تنظيم (داعش)، على مسارها، فلقد وجد التنظيم الذي كان لا يتجاوز الحدود العراقية متنفسا له مع مجريات التظاهرات الربيعية، وكان لذلك الظهور تطورا في الوضع السوري، حيث قام التنظيم بمعاداة الفصائل المقاومة؛ لإرغامهم على مبايعته، قبل التصدي للنصيرية والرافضة وجحافلهم التي عاثت في الشام الفساد. وعند الرؤية الشاملة لمفرزات الربيع العربي نرى أنه قد أفرز حقيقتين:

الأولى: لقد أبرز الربيع العربي أن هذه الأمة ما زالت وفية لدينها وإسلامها، ودل على ذلك أن الجمهور الغالب الذي ثار في الربيع هو جمهور إسلامي، وقد كانت المساجد هي حاضنة تلك التظاهرات، ودل على أن هذه الأمة ما زالت وفية لقياداتها الإسلامية، ودل على ذلك أنها اختارت الإسلاميين في معظم الانتخابات التي جرت في بلدان الربيع العربي؛ كتونس ومصر.

الثانية: فشل المنظومة الفكرية التي قامت عليها النهضة السابقة والتي انطلقت مطلع القرن العشرين على مجموعة من الأفكار أبرزها" "القومية العربية"[168]، و"الوطنية"[169]، و"العلمانية"[170]، و"الاشتراكية"[171]، وقد فشلت هذه الأفكار في تحقيق النهضة، وقد كان الغرب راعيا لهذه الأفكار، وكان هذا الفشل مؤشراً على فشل التغريب[172] الذي رعاه الغرب منذ القرن التاسع عشر.

لذلك عندما جاء الربيع العربي، وكان من أبجدياته رافع راية النهوض بالأمة، قام أعداء الأمة بإفشاله، واستخدموا عدة أدوات كان أبرزها: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ولا أعني بكلامي أن تنظيم الدولة قام وتأسس عبر أجهزة الاستخبارات الغربية، وأنها هي الراعية له، كما ينعق بذلك كل ناعق في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي؛ لأنه لا يقول بذلك القول بنظري إلا شخص سلبي ليس لديه أي نظرة متعقلة، ولكن يمكن القول بأن أمريكا غضت الطرف عن قيام ذلك التنظيم وتوسعه؛ لأسباب معلومة، يقول التوبة: " إن أجهزة الاستخبارات الأميركية قد حذرت "أوباما" من استعدادات "داعش" واحتمال توسعها في العراق مطلع عام 2014، وعن نيتها احتلال الموصل وغيرها، لكنه لم يُلق بالا لهذه التقارير، وترك "داعش" تتمدد وتحتل الموصل، وتهدد بغداد، ثم دعا إلى الحلف الدولي الذي شمل أربعين دولة في سبتمبر 2014 "[173].

والسؤال الآن: ماذا قصد الغرب من السماح لـ (داعش) بالحضور والمرور والانتشار؟

لا شك أنه قصد أن يُشوه الإسلام، والقيادات الإسلامية من جهة، ويُعطي مُبرراً لبعض أعماله وتصرفاته من جهة ثانية، وبذلك يقطع الطريق على الربيع العربي وقياداته الإسلامية، وأطروحاته الإسلامية، وبخاصة أننا نرى أن (داعش) قد تمدد إلى مصر في سيناء، وإلى تونس في جبال الشعانبي، وإلى ليبيا في سرت، وإلى جنوب اليمن"[174]. في مقال لخالد أبو الفضل قال فيه: "لست متيقنًا بتاتًا أن ما يسمى بدولة الخلافة سوف تختفي فجأة كما ظهرت بمجرد ملل مبتدعيها من اللعب بالنار، ولكن يمكننا الجزم حقيقة أن داعش نجح بشكل تام في إجهاض الحماس الثوري العربي الذي حلم ذات مرة بالحرية، ناهيك عن نجاحه الحتمي في تحقيق المزيد من التهميش للفلسطينيين في محنتهم، كما ساعد أيضًا على ترسيخ موضع قدم الأنظمة البائدة ومشايخ النفط الفاسدين والطغاة العسكريين في السلطة"[175].

والذي يظهر وهو الأهم من ذلك كله برأيي هو: أن ظهور التنظيم عمّق الهوة بين التيارات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي عموما وبين الفصائل المقاومة لنظام الأسد بالخصوص، ولإصلاح هذا التمزق نجدنا بحاجة إلى جهود للتوفيق ما بين الهوية الإسلامية المتجذرة عميقًا في قلب المجتمع العربي، والشعور الحالي الذي ينشد التعافي من الجراح ورغبة التخلص من الفتن. "نعم، استطاع القادة العرب الفاسدون والحكومات الغربية الجشعة والعنصرية كسر وإحباط الجماهير العربية، كما أن أشباه الأميين وبعض المثقفين المهجرين والمهرجين المحبطين المغرورين الذين يتصورون أنهم يستطيعون التحدث باسم الإسلام، خدموا ويخدمون – بقصد أو بدون قصد – السعي الإقليمي لاجتثاث الربيع العربي"؛ والقائم على النظام الوراثي في الحكم؛ والتي سعى حديثا لنقل تلك العدوى للبلدان العربية[176].

وبانضمام سوريا إلى ليبيا واليمن بعد سيطرة داعش على كثير من المناطق السورية، نستطيع القول بأن الربيع العربي قد أصبح في تلك المناطق خريفاً كاملاً، بعد مرور أكثر من ست سنوات من اندلاعه، لم تستطع معظم دول الربيع كمصر وسورية وليبيا واليمن، إنجاز عمليات التحوّل السياسي الذي يحقق تطلعات الشباب الذين كانوا في نواة التظاهرات المليونية التي ملأت شوارع عواصم تلك الدول، على الرغم من نجاح عملية التحوّل في دول أوروبا الشرقية في تسعينات القرن الماضي، وأميركا اللاتينية في الثمانينيات منه.

المرحلة القادمة ومستقبل تنظيم الدول في المنطقة العربية:

في اليوم التالي لسقوط مدينة الموصل بيد تنظيم "الدولة الإسلامية" وتمدده السريع؛ بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها بتغيير مقاربتهم تجاه الأوضاع في كل من سوريا والعراق. لم تعد واشنطن تنظر إلى ذلك التنظيم بوصفه تنظيمًا محليًّا عراقيًّا يعاني من أزمة بنيوية تتمثل بعدم قابلية المجتمع السني للتعايش مع أيديولوجيته الدينية المتشددة، ويواجه صحوات عشائرية سنية، كما كانت عليه الحال في العام 2008، فقد أصبح، الآن، لاعبًا إقليميًّا عابرًا للحدود يسيطر على مساحة واسعة من الأراضي ويهدم الحدود لوصل المناطق التي يسيطر عليها بين سوريا والعراق، ويمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، جاء أغلبها عبر ما حصل عليه من معاركه مع الجيشين العراقي والسوري، ولديه كفاءة قتالية عالية وخبرة عسكرية وجهاز يدير المعارك على مستوى محترف، ويمتلك مصادر للثروة من حقول النفط التي يسيطر عليها ويتقن التعامل مع "السوق السوداء" للهروب من العقوبات الشديدة، فضلاً عن توظيفه للصراع الإقليمي وتضارب مصالح الدول في المنطقة والعالم، ويحظى بغطاء مجتمعي ناجم عن تفشي الطائفية وحالة الفوضى والفراغ السياسي الكبير في المنظومة الرسمية العربية[177].

تحركت الولايات المتحدة الأميركية وحشدت معها دولاً غربية وعربية عبر تحالف عسكري هدفه الرئيس تقليم أظافر تنظيم الدولة الإسلامية، وإيقاف تقدمه، وصولاً إلى القضاء عليه. وبعد أعوام من إنكار المشكلة الجوهرية التي أدت إلى صعود هذا التنظيم؛ بدأ الحديث يأخذ طابعًا أكثر عمقًا في إدراكها؛ إذ اعترفت الإدارة الأميركية بوجود أزمة سُنِّية في المنطقة أدت إلى صعود هذا التنظيم، فوصلت عبر تفاهمات إقليمية (مع دول المنطقة بخاصة كل من إيران والسعودية) إلى "صفقة" التخلص من رئيس الوزراء العراقي السابق، نوري المالكي، بدعوى أن سياساته أدت إلى تعزيز الروح الطائفية في العراق، وأضعفت من شرعية مؤسسات النظام السياسي الجديد هناك، لكن هذا الحل كان أقرب إلى تسطيح الأزمة واختزالها والتغاضي عن الدور الإيراني الذي لا يزال فاعلاً في بناء شبكة كبيرة لتجذير نفوذه ليس في العراق وحده، بل في المنطقة العربية، مرورًا بسوريا ودعم نظام الرئيس بشار الأسد، ودفع حزب الله والميليشيات الشيعية إلى أتون الصراع الأهلي هناك لإنقاذ النظام من الغرق[178].

تجاهل عوامل صعود داعش، وسياسات النظام السوري:

تكمن المفارقة في أن التحالف قرر ضرب التنظيم في العراق وسوريا معًا، مع تجاهل مواجهة الشروط المؤسسة له ولصعوده، والتي تتمثل في سياسات النظام السوري وقمعه للاحتجاجات السلمية واستمراره خلال عدة أعوام في استخدام الأسلحة المختلفة لضرب المعارضة؛ ما أدى أولاً إلى عسكرة الانتفاضة السلمية. وثانيًا: إلى بروز القاعدة ثم انشطارها بين تنظيم الدولة الإسلامية والنصرة هناك. وأخيرًا، إلى تعزيز نفوذ هذا التنظيم الذي أتقن فن اللعبة الطائفية ووظفها بدوره في مواجهة الطرف الآخر، معتمدًا على خطاب هويَّاتي صلب وسافر، في تجنيد الشريحة السنِّية الكبيرة، التي كانت تشعر بحالة من اليأس والإحباط الشديد من أي أفق سياسي سلمي للتغيير، ومن تخاذل المجتمع الدولي عن وضع حد للمأساة التي عايشتها، فأدت إلى هجرة الملايين وقتل مئات الآلاف، وتعرضت لجملة من المجازر والكوارث التي حلَّت بها.

ومع صعود النزعات الطائفية المتبادلة، وجنوح القوى السياسية الشيعية نحو طهران، بوصفها مركز الثقل الإقليمي لها، وضعف الوسط السياسي الرسمي السنِّي عمومًا، وشعور المجتمعات السنية في ثلاثة مجتمعات رئيسة: العراق وسوريا ولبنان، بحالة من الفراغ السياسي، وتهديد عميق لهوياتها ومصالحها، لم يعد صعود هذا التنظيم أمرًا يستعصي على الفهم والإدراك والتحليل، فهو إن لم يكن، بالضرورة، خيارًا ثقافيًّا حضاريًّا طبيعيًّا، فإنه ضمن الظروف الاستثنائية وحالة الصراع الداخلي بات لدى فئات من المجتمع السني أداة للدفاع عن النفس، سواء قبلوا بها أو رفضوها حيث لم يجدوا مسارًا بديلاً لمقاومة فعالة لها. لذلك؛ تبقى الأزمة السنِّية هي نقطة الضعف الجوهرية في استراتيجية إدارة الرئيس أوباما في مواجهة التنظيم، مع عدم استعداد السنَّة للرهان على حلول جزئية قاصرة، قد تؤدي إلى مزيد من الضعف والفشل في حال تم إضعاف هذا التنظيم، الذي لا يعبِّر عن خيارات سنِّية طبيعية اختيارية، بقدر ما يعكس الشعور بالقلق والرعب من الظروف الراهنة[179].

ولإدراك الإدارة الأميركية أن الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية عملية معقدة؛ إذ إن الأبعاد العسكرية فيها متشابكة مع السياسية، فإنها وضعت تصورًا بعيد المدى، يربط التقدم العسكري بشرط جوهري، يتمثل بفك التشابك بين تنظيم الدولة والحاضنة السنية في كل من العراق وسوريا، وتعتمد في ترجمة نتائج القصف الجوي لمكاسب عسكرية بالإضافة للقوات الكردية والجيش العراقي على السنَّة العراقيين والسوريين، الذين تريد الولايات المتحدة وحلفاؤها تدريبهم لمواجهة القاعدة، لذلك جرى التفكير في إنشاء "الحرس الوطني" في العراق، لتدريب السنَّة من أبناء العشائر وإدماجهم فيه، وكذلك الأمر تدريب الجيش الحر في سوريا[180].

كل ذلك يقودنا ما سبق إلى السؤال الجوهري في الحديث عن المرحلة القادمة ومستقبل المنطقة العربية، ويتمثل في سيناريوهات اليوم التالي للحرب الراهنة على تنظيم الدولة الإسلامية؟

ويتوقف الجواب على ذلك فيما إذا كانت الحرب على تنظيم داعش ستتمكن من القضاء عليه، وإنهاء دولته التي أعلن عنها ممتدة بين الأراضي السورية والعراقية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي مآلات الأوضاع في العراق وسوريا في حال لم تحل المشكلة السياسية السنية في سوريا، وفشلت جهود احتواء السنة العراقيين؟ وهل إنهاء "داعش" سيؤدي إلى عودة الاستقرار الإقليمي؟

من الضروري أن نطرح بعض القضايا الرئيسية حول تنظيم داعش، وطبيعته. وهو المرتبط بصعود تنظيم الدولة الإسلامية بوصفه فاعلاً إقليميًّا، عابرًا للدول والمجتمعات، وهما قضيتين رئيستين:

الأول: يتمثل بالنزعة الطائفية في المنطقة الناجمة عن النفوذ الإقليمي الإيراني، والفراغ السياسي السنّي، وانفجار الصراعات الداخلية على أسس طائفية ودينية وعِرقية في كل من العراق وسوريا.

والثاني: ينبثق من سياسات الأنظمة السلطوية وقمع الاحتجاجات السلمية وحالة الانسداد السياسي، والانقلاب على مخرجات الربيع العربي أي إنه مركَّب على أزمة سياسية عربية.

وهو ما يمكن النظر فيه إلى تنظيم الدولة باعتباره نموذجًا من نماذج متعددة عابرة للمجتمعات، تتمثل بالجماعات الدينية والطائفية التي أصبحت فاعلاً رئيسًا في ظل حالة الفوضى السياسية والأمنية، فالجماعات الشيعية العراقية وحزب الله والقوى الكردية والحركات السلفية الجهادية وفروع القاعدة والحوثيين تتوافر على الشروط السياسية والمجتمعية نفسها التي أدت إلى صعود ذلك التنظيم. ويتأسس هذا بالدور السياسي والأمني والعسكري لهذا التنظيم، وعلى فشل الدولة الوطنية العربية في الإدماج السياسي وحماية قيم المواطنة والقانون وسيادة حالة من الفوضى الأمنية والفراغ السياسي. إن صعود هذا التنظيم، محليًّا وإقليميًّا، ليس طارئًا وهزيمته تتجاوز الجانب العسكري والأمني، إلى مواجهة الشروط الموضوعية السياسية التي تقف وراءه ووراء التنظيمات والنماذج الشبيهة[181]. ومن هذا يمكن استنطاق نتيجتين مهمتين، هما:

الأولى: أن النجاح الفعلي، طويل المدى، للحرب الراهنة، لن يتحقق إلا بشرط رئيس وهو فكُّ الاشتباك بين تنظيم الدولة الإسلامية والمجتمع السني، ومدى قناعة المجتمع السني بالانقلاب مرة أخرى على التنظيم، كما حدث في العام 2007 مع تجربة الصحوات.

والثانية: أن المنطقة بأسرها تمر بمرحلة انتقالية تشهد انهيارًا للدولة القُطرية ومنظومتها السياسية، وهي حالة تتجاوز العراق وسوريا إلى أغلب دول المنطقة؛ إذ نجد حالة الفوضى وعدم الاستقرار تسود اليمن وليبيا

لبنان وصحراء سيناء في مصر، في مقابل حالة صعود للميليشيات العسكرية ذات الطابع الطائفي أو الديني أو العرقي[182].

المطلب الثاني: التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث: (الحوثية).

التاريخ والواقع، الماضي والحاضر، الكل يروي لنا قصة الظهور لكل حكاية استحدثت في الكون منذ القدم، وهذه القصة تبدأ بفكرة مستحسنة لشخص ما، ثم تبلورت هذه الفكرة في عقله الباطن، والذي بدوره أن آمن بها هو أولا، ومن ثم استعرضها لأقرب الناس إليه، فالبعض اقتنع، والبعض أمسك، والبعض امتنع دون عداء، والصنف الأخير اعترض وهاجم وحارب تلك الفكرة. ولكن يمكن القول إن هذا الحال –أقصد أصناف الناس تجاه الداعي– أيضا كان مع أنبياء الله مع أقوامهم، إلا أن الفرق بين أنبياء الله وغيرهم ممن دعا إلى منهج أو فكر، أن الأنبياء لم تكن بداية دعوتهم عبارة عن فكرة، وإنما كانت مستمدة عن وحي يأتي من السماء عبر الأمين جبريل عليه السلام، أما أصحاب تلك الأهواء فإن بداية دعوتهم كانت عن فكرة اقتنع بها ثم قام بالدعوة إليها، وقد يكون ذلك الفكر ليس عن قناعة معينة وإنما للإساءة لدينٍ ما، وقد تكون من حيل المتآمرين ومخططاتهم اللئيمة، على أمة من الأمم، ومعتقد من المعتقدات؛ خاصة المؤيدة بالوحي.

"لقد كثف "مشروع ملالي إيران" دوره الطائفي في بلدان "الربيع العربي"، فساعد نظام بشار الأسد في مواجهة الشعب السوري الذي ثار على استبداده وأجهزته الأمنية وفساد سلطته، لذلك طلبت إيران من "حزب الله" في لبنان، والمليشيات التابعة لها في العراق وباكستان وأفغانستان واليمن أن تُرسل كتائبها لتقاتل إلى جانب نظام الأسد، بعد أن كاد يسقط نهاية عام 2012، وبهذا أفشلت حلقة أساسية من حلقات "الربيع العربي"، وقد نجحت خطتها، لذلك فقد استعاد نظام الأسد جانبا من قوته عام 2013، وذلك بفضل مساعدات إيران وأموالها وأسلحتها واستخباراتها ومليشياتها[183].

وكذلك لعب مشروع ملالي إيران في إفشال الربيع العربي في: اليمن، بل وفي ومصر وليبيا، ولكن بصورة مختلفة من دولة إلى أخرى حسب ظروف تلك الدولة، ولكن الأبرز في دور المشروع هو إثارة النعرات الطائفية التي زلزلت كيان الأمة، وحرفتها عن مواجهة الخطر الأساسي المتمثل في المشروع الغربي الصهيوني. كما أبرز "الربيع العربي" حقيقة ارتباط الأمة بإسلامها، وحقيقة فشل المنظومة الفكرية التي استندت إليها النهضة، واستخدم أعداء الأمة عدة أدوات لإفشال الربيع العربي منها: "داعش" و"مشروع ملالي إيران"[184].

والطائفة الحوثية في بداية أمرها كانت إحدى الطوائف الزيدية التي كان لها تواجد قوي في اليمن مذهبا وسلطة، فقد كان لعائلة حميد الدين اليد الطولى في إرساء المذهب الزيدي أثناء فترة توليهم الحكم، غير أن الحوثية كانوا بدايةً على المذهب الجارودي، ثم وصل بهم الحال إلى الاثني عشرية. وقد قدمت عرضاً موجزاً عن الزيدية، ليتضح مدى صحة انتماء الحوثية لهم، قبل الدخول إلى وحلهم[185].

أولا: النشأة والتعريف.

لمحة عامة:

استطاع الزيود استرداد السلطة في اليمن من الأتراك عام (1322هـ)، عندما قاد يحيى بن منصور ثورة ضدهم، وعندها أسس الدولة الزيدية، والتي تم إسقاطها على يد الثوار في سبتمبر عام (1962م)، وانتهى عندها الحكم الزيدي كحكم وسلطة، أما كمذهب فلا زال اليمن معقل الطائفة ومركز ثقلهم. وأصل الحركة الحوثية، أو ما يعرف بالشباب المؤمن كما يطلقون على أنفسهم هي: "حركة دينية ذات طابع سياسي وعقائدي، يسعون لاسترداد الإمامة، ويعتنقون أفكار وعقائد الاثني عشرية"، وإن كانوا يزعمون أنهم زيدية– وحقيقة حالهم أنهم إحدى الفرق المنتسبة للزيدية والتي تسمى: (الجارودية)، وتعتبر الجارودية فرقه زيدية شيعية اثني عشرية. ومع ادعاء الحوثيون أنهم يتمذهبون بالزيدية، إلا واقعهم يقول عكس ذلك[186].

النشأة:

كان بدء التأسيس مع ظهور ما يسمى جماعة: (الشباب المؤمن)؛ والذي يعد من اللبنات الأول لظهور حسين بدر الدين، الذي تلقى دراسته الشرعية في مدارس (قم)، وتلقى التدريب العسكري في معسكرات (حزب الله) في لبنان، ومعلوم من هم أولئك؟ وما هو الذي سيتلقاه منهم؟! ومعلوم مدى مشاركة الجيش الثوري الإيراني، وحزب الله، في جميع معارك اليمن في صفوف الحوثيين، من جنود واستشاريين، وقد رأى العالم بأسره المدد الذي يقدمونه من السلاح والعتاد، وقد رأينا في الإعلام كثير من المرجعيات السياسية والدينية الإيرانية تتمدّح في الحوثيين، وما ذاك إلا لموافقتهم لما هم عليه. وقد قامت عدة حروب بين الحكومة اليمنية وبين الحوثية بعد عمليات الاضطرابات التي قاموا بها في منطقة صعدة في عهد علي صالح، التي كانت تنتهي في كل مرحلة من مراحلها بالهدنة الكاذبة؛ التي يراد منها إعادة ترتيب صفوفهم وتقويتها، ولم تكن الهدنة تقام على أساس إنهاء تلك الفتنة ووأدها في مهدها[187].

وما نراه من الأعمال التي يقوم بها الحوثيين في اليمن خير شاهد على انتماءهم إلى الرافضة، فلقد كان الهمّ الأكبر لديهم هو تدمير مراكز السنة، ودور تحفيظ القرآن الكريم، وكان ذلك مُشاهد في كل منطقة

يسيطرون عليها، فأول ما يقومون به هو تدمير دور القرآن والسنة وقتل أهلها، وأقل أحوالهم الزج بهم في السجون، والقيام بتعذيبهم بأبشع ألوان التعذيب –والله المستعان.

وحاليا يعتبر الزعيم الفعلي الحالي للحوثيين هو: عبد الملك بن بدر الدين الحوثي، والذي اشتد ساعده في فترة الربيع العربي، حيث كان للحوثيين تواجد قوي في ساحات التغيير في اليمن، وقد استغلوا ذلك الحدث الاستغلال الأنسب لهم؛ حيث باتوا ينشرون أفكارهم لدى الشباب الثائر، واستطاعوا أن يركبوا على الموجة من الجهة المناسبة، وحدثت بداية التوسع الرهيب الذي سيطروا فيه على معظم المناطق اليمنية، وقد رأى اليمنيون ما الذي أصاب اليمن بعد أن هيمنت تلك العصابة الدموية عليه، حيث كان المنطلق لها من دماج؛ بدأً بحصار المركز السلفي بها، والذي أسسه ثمانينيات القرن المنصرم الشيخ مقبل الوادعي، وقد انتهى ذلك الحصار بعقد هدنة، أُجبر السلفيون حينها على مغادرة دماج، على وعد من الحكومة بإنشاء مركز آخر في محافظة (إب)، إلا أن الوقت لم يسعف الحكومة التي نفسها استطاعت الهرب من اليمن بصعوبة[188].

وكان بدء الحراك الحوثي الرافضي بتحولها الجذري عام: (2011م) حيث بداية الصراع في (دماج) مع السلفيين، ثم توسع شرر تلك النار ليصطلي بها الإصلاحيون في عمران، حيث دارت معارك قوية استمرت لعدة أشهر، والتي انتهت بمقتل قائد المقاومة (القشيبي)، والذي كان مقتله بوابة للحوثيين لدخول صنعاء، والتي لا تزال تحت قبضتهم رغم قيام التحالف العربي بقيادة السعودية بمحاربتهم، وشن الهجمات والغارات الجوية على جميع معسكراتهم، والمناطق التي يسيطرون عليها، إلا أن الدعم القوي الذي تتبناه إيران وحلفاءها جعل من الحوثيين قوة استعصت على التحالف، الذي بات غير قادر على حسم المعركة حتى يومنا هذا[189].

وقد أطلق التحالف اسم: (عاصفة الحزم)، على عملياته العسكرية؛ وهي: عملية عسكرية سعودية، بمشاركة تحالف دولي عربي مكون من عشر دول ضد جماعة (الحوثيين) وصالح، والقوات الموالية لهم، والتي بدأت في: (5 جماد الثاني 1436هـ) الموافق: (26 مارس 2015م). ولا زال الحوثيون يسيطرون على أغلب المناطق الشمالية، ويجبرون الناس على أداء الخمس، كما باتوا ينشرون الفكر الشيعي بين الشباب اليمني، تارة بالقوة، وأخرى بالمغريات، ومن أعظم تلك المغريات التي دخلوا بها على الشباب المتحطم معنويا واقتصاديا وتعليميا وثقافيا، هما: (المال والمتعة)[190].

أما موقف هذا العصابة من الدول العربية فقد تجلى لكل الناس متعلمهم وعامتهم، أن بدء النشوب مع الدول العربية هي الحرب التي أدخل فيها الحوثيون المملكة العربية السعودية عندما تعرضوا للمناطق الحدودية مع السعودية، مما جعل السعودية تقوم بالرد عليهم، وهذا كان بدء التجاوزات التي قامت بها هذه

الطائفة تجاه الدول المجاورة والدول العربية، ثم ما كان منهم من موقف تجاه المبادرة القطرية؛ التي لم يحترموا فيها رعاة تلك المبادرة.

ولهذا نجدهم لا يولون أي أهمية للدول الشقيقة لليمن بالدرجة الأولى، وللدول العربية بالعموم، حيث تجلت أكثر جرّاء المواقف العدائية لهم حين أصروا على مواجهة جميع الدول العربية بل الإسلامية، وقاموا بمحاربتهم جميعا؛ فيما يسمى (بعاصفة الحزم)؛ والتي اشتركت فيها أكثر الدول العربية، والإسلامية. وما هذه الموافق من هذه الطائفة أو الحركة إلا دليل على مدى الترابط بينها وبين الحليف والداعم بل والمؤسس الأول لها وهي دولة الكيان الفارسي المجوسي الشيعي[191].

والحاصل الذي نستخلصه من جميع الدعوات والحركات الدينية والفكرية، أنه يأتي نتيجة أن يقوم من ينظّر لتلك الديانة أو الفكر، ويدعوا لهما بكل الوسائل المتاحة لديه في حينها، ثم يتبنى ذلك الفكر والمنهج من يكون من المقربين لذلك الداعي، أو من المعجبين به، وحينها يمكن القول، بان المؤُثر والمؤَثر عليه؛ جميعهم أضحوا من المؤسسين والمنظرين لها، وكل حسب الموقع الذي يستطيع أن يؤدي دوره.

الحركة الحوثية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجناح الفكري.
القسم الثاني: الجناح العسكري.

وغلب عليهم الجناح العسكري كون اعتبارها من أكبر المليشيات المسلحة في اليمن، وتعدّ محافظة صعدة هي المعقل الرئيسي لهم؛ كون تمددهم بدأ من هناك. وبادئ أمرهم لم تكن تعرف هذه الطائفة كهيئة تنظيمية، ولكن برز هذا الجسم ووجد منذ الحرب الأولى في صعدة ككيان غير متجانس، ولكن لهم مصالحهم الخاصة، وموحدين تحت شعار بمعان مختلفة لأعضاء مختلفين. ثم مع تتابع الأحداث واستمرار الحروب بينهم وبين الحكومة اليمنية في تلك الفترة بدا لهم فكرة وجود تنظيم هرمي بجدول واضح لترتيب وتنظيم المعركة، والطائفة على حد السواء. ووفقا لوثائق ويكي ليكس[192]، لا يوجد دليل أن المقاتلين الحوثيين يقادون من وحدة قيادة مركزية أو يحملون أيدولوجية واضحة ومشروع سياسي.

(الحوثيين) أو (الحركة الحوثية) أو (العناصر الحوثية) أو (الشباب المؤمن) أو (أنصار الله)، هذه هي المسميات التي تطلق على هذه الجماعة، وكانت الجماعة تعرِّف بنفسها قبل أن يتخذوا اسم أنصار الله بـ: (أنصار الحق) و (الحسنيين) و(المجاهدين) و(جند الله)، كل هذه التسميات تساعد في صعوبة اعتبار الحوثيين منظمة بجهاز قيادة مسيطر ومتماسك.

وتعتبر سنوات قتالهم في صعدة هي العامل المساعدة في ولادة هذا المد الصفوي، المرتقب منذ سنوات على يد الحوثي الأب والأبن، بعد أن تلقوا التعليم والدعم المادي واللوجستي من إيران[193].

مخالفة الحوثية للزيدية، وأقوال علماء الزيدية فيهم:

أما عن أقوال علماء الزيدية في الحوثية الذين أدانوا حركة الحوثي وحملوه مسؤولية الفتنة[194]:

- القاضي أحمد الشامي، أمين عام حزب الحق وقتها قال: "في الحقيقة لقد قام حسين بدر الدين بإثارة هذه الفتنة، ولم يكن فيها رأي لعالم يعتبر، ولا حاول أن يتحدث مع أي عالم، ولا حاول أن يقول ما في نفسه، ولم ندر إلى اليوم ما هي الفتنة هذه، وهو يعلم، وكل إنسان يعلم؛ أنه ليس لمردودها إلا إرادة الإمامة، أما فائدة لنفسه؛ فإنه لن يحصل على شيء،...، وإن لم ينته؛ نعتبر أنها فساد في الأرض، ...، هكذا نقول، ونتبرأ من موقفه؛ لأنه لم يكن لنا فيه رأي، ولا عرفنا منه أي كلمة طيلة هذه السنوات، حتى بعد هذه الفتنة والتي أيقظها من مرقدها".
- القاضي أحمد عبد الرزاق الرقيحي، قال: "الحقيقة أن هذه الفتنة قد ألقت بظلالها على فئة أو مجموعة من الناس معبأين؛ مع أن الرجل هذا له أفكاره، ولا يمثل المجموعة، ولا يمثل المذهب الزيدي، ولا أفكاره ولا منهجه، ...، إلخ).
- العلامة عبد الله حمود العزي، قال: " هذه الفتنة، لا بد أن يقضى عليها، ولا بد أن تحسم حتى لا تكون فرصة لمن في قلبه مرض في النفاق والحقد والكراهية، ...، لابد أن تعمل سيدي رئيس الجمهورية بقول الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، وصدق رسول الله حينما قال: (لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والخارج عن الجماعة ...،)، إذن إذا وجدت الفتنة يجب عليك أن تقطعها من دابرها، والله معك، ونحن معك، ...، وغاية الرجاء: أوصيك أن تقطع هذه الفتنة من دابرها، وكل من يخطط أو يدعو إليها أو يفكر أن ينضم إليها ....".
- العلامة محمد عبد العظيم الحوثي، في لقاء مع صحيفة "الأهالي" قال فيه: "هم مارقون خرجوا عن الدين كله، ما هم بزيدية، ولا جعفرية، ولا شافعية، ولا معهم مذهب أحد، والدليل استباحتهم لأموال المسلمين ودمائهم بغير حق، ...، الشباب المفتون بهم أعداء الإسلام كله، وأعداء الدين وأعداء المؤمنين).

- القاضي العزي محمد الأكوع، مفتي ذمار قال: " لا يعقل أن نسوغ أو نبرر القتل، وإزهاق الأرواح، كما يصنع الحوثي وأتباعه الذين خرجوا على طاعة ولي الأمر، وقتلوا النفس التي حرم الله، وأحدثوا في البلاد الشرور والأزمات، ...، لا يمكن أن يصدق عاقل أن هذه الأعمال تمتُّ بصلة للمذهب الزيدي، وهذه مغالطة مكشوفة، سعى من خلالها الحوثيون إلى الإضرار بأتباع المذهب الزيدي، لعدم انسياقهم وراء أعمالهم غير السوية، وأفكارهم الغريبة؛ التي استنكرها كل أبناء اليمن، وفي مقدمتهم علماء الزيدية".
- القاضي أحمد العنسي، إمام وخطيب المدرسة الشمسية بذمار: "الحوثي وأتباعه؛ تحالفوا مع الشيطان، وباعوا أنفسهم، وعملوا على سفك الدماء، ودمروا المنازل، وشردوا أهلها، ونصبوا العداء للوطن، دونما أسباب ومبررات لذلك، ...).
- القاضي محمد بن أحمد الوزير الوقشي[195]، أستاذ الفقه وأصوله؛ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بصنعاء، وأحد كبار علماء الزيدية في اليمن، قال: "إن مليشيا الحوثي الانقلابية، والمخلوع صالح، فشلوا في إقناع علماء الزيدية للانضمام الى مشروعهم الرافضي التابع لملالي إيران". وأكد في تصريحات خاصة للمدينة: " أن مليشيا الحوثي، والمخلوع صالح، تحاول نشر فتاوى لعلماء على أنهم (زيدية)، وهم في الأصل ليسوا منا ولا من علمائنا"، موضحا أن علماء الزيدية الكبار في اليمن لم يعلنوا ولاءهم أبدا للحوثي ولا تأييدهم للمخلوع صالح. وقال: "إن نشر فتوى من علماء يدعي الحوثي أنهم (زيود) هي محاولة فاشلة من مليشيا الحوثي وصالح لدغدغة مشاعر المنتمين للمذهب الزيدي في اليمن. مشيرًا الى أن علماء الزيدية في صعدة جميعهم مناوئون للحوثي ومشروعه الخارجي الإيراني، حتى أن محمد عبد العظيم الحوثي من اشد المعارضين لحسين بدر الدين الحوثي واخوه عبد الملك وللحوثيين، وقد اصدر فتوى في الجهاد وقتال مليشيا الحوثي الانقلابية. وذكر بأن علماء الزيدية الكبار لم تخرج منهم تصريحات لوسائل الاعلام تؤيد الانقلاب الحوثي السياسي على الشرعية في اليمن".

التوجه الفكري لدى الطائفة الحوثية:

الطائفة الحوثية حالها كحال أي فرقة انحرفت عن مصدري التلقي الأصليين، لذا نجد أنها نتجت من حصاد طائفة تعد هي الأم لها، ولذا كانت هذه الطائفة وليدة عن طائفة هي الأصل. ولمعرفة التوجه الفكري لهذه الطائفة، لا بد من الرجوع إلى الجذور الاصلية للمعتقدات المصاحبة لهذه الطائفة، والتي كانت السبب في ظهورها. وبعض الناس يخطئ فيظن أن الحوثية السائرين في ركب ملالي الصفوية المجوسية، هم في دائرة فرق الزيدية في اليمن، ولضرورة تصحيح هذا الفهم الخاطئ، لا بد من التوضيح بأن

هناك فرق بائن بينهما، فالحوثية هم امتداد للجارودية؛ أتباع أبي الجارود زياد الهمداني الأعمى الكوفي، قال عنه أبو حاتم: "كان رافضيا، يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم أشياء ما لها وصول، لا يحل كتب حديثه"[196].

الشيعة: قالوا بقول المرجئة في الإيمان وهو أنه لا يضر مع الإيمان سيئة، وأنه لا ينفع مع الكفر حسنة[197]. ولما قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ رحمه الله: (وكثير من هؤلاء –يريد الشيعة– يقولون: حب علي حسنة لا يضر معها سيئة[198])، رد عليه محمد مهدي الكاظمي، بقوله: (ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب علي حسنة ليس يضر معها سيئة، فإنه بهتان منه؛ فإنهم جميعاً متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب)[199].ومن تتبع كتب الشيعة يجد أنهم على توافق وانسجام تام مع المرجئة فيما ذكرنا، ومع الوعيدية في تكفيرهم لمرتكب البدعة عموما من أهل القبلة؛ سواء كانت تلك البدعة مكفرة أو غير مكفرة[200].

والجارودية: انتسبوا إلى الزيدية ادعاء و تلبيسا وخداعا، فهم ليسوا من الزيدية، وقد جاء معنا كلام علماء الزيدية فيهم، وفي الحقيقة هم رافضة، وهذا بشهادة علماء الزيدية أنفسهم، ولهذا نرى أن المفيد – إمام الروافض في القرن الرابع– عدَّ الجارودية من طائفته، أما بقية فرق الزيدية فقد أخرجهم من دائرة التشيع[201].

ومما توافقت فيه الحوثية مع الجارودية في عصرنا هو: الأخذ بعقيدة الاثني عشرية، وتوّجت هذا التوافق بعقيدة ولاية الفقيه الخمينية؛ والتي هي أيضا لم تنال الرضا من بعض علماء الإثنى عشرية؛ لأنها مبنية على خرافة الغَيبة المزعومة للمهدي الموهوم، وهذا الوهم قائم على أحلام دموية، وأماني حاقدة، وهذا التوحش سيكون على يد مولود اختفي فور ولادته خشية القتل، وهو حاضر في الأمصار، غائب عن الأبصار، وسيخرج في يوم ما، ويهدم المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وينبش قبري أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– ويبيد العرب، وينتقم من البشرية كلها.

ولقد سخر الكسروي، الأستاذ في جامعة طهران ورئيس المحاكم الإيرانية؛ من هذه العقيدة المناقضة للعقل فقال: "إذا كان منتظرهم قد اختفي لخوفه على نفسه، فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد، وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟! ولمَ لم يظهر عندما قام الشاه إسماعيل الصفوي وأجرى من دماء السنيين أنهارا؟! فلم لم يظهر عندما كان كريم خان الزندي وهو من أكبر سلاطين إيران يضرب على السكة باسم إمامكم (صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلا عنه؟! ولم لم يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونا وأكثرهم من منتظريه؟"[202].

ومذهب الزيدية المعتدلة أو الزيدية الحقيقية في الصحابة: هو الترضي عنهم، يقول المقبلي: "إن الزيدية ليسوا من الرافضة، بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين، ولا في عرف السلف. فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنها فضلًا عن الشيخين"[203].

وقد نجح الروافض التأثير على الزيدية في بعض الفترات، ولعل السبب في ذلك كما ذكر المقبلي، هو تأثير الرافضة فقال: "إنه قد سرى داء الإمامية في الزيدية في هذه الأعصار حتى ظهر، مذهب الإمامية، وهو تكفير الصحابة ومن تولاهم – صانهم الله تعالى –"[204].

وقد تطور الغزو الرافضي للاتجاه الزيدي حتى تأثر بعضهم بشيء من عقائدهم الغالية، كالنص والعصمة، فقالت طوائف من المنتسبين للزيدية – وليسوا منهم – بعصمة فاطمة وعلي والحسين[205]؛ ومعنى هذا أن القول بالعصمة قد استشرى في الزيدية مع امتداد الزمن حتى شمل معظمهم.

أما الجارودية أسلاف الحوثية اليوم؛ فإنهم من غلاة الروافض بلا خلاف، ذلك أن اعتقادهم يقوم على أن رسول الله ﷺ نص على علي – رضي الله عنه – بالإشارة والوصف، دون التسمية والتعيين، وأنه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لا توجد إلا فيه، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وأن رسول الله ﷺ نص على الحسن والحسين – عليهما السلام – بمثل نصه على علي، ثم بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص على إمام، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين ممن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين، وكان صحيح النسب من هذين البطنين، وكان عالما زاهدًا شجاعًا فهو الإمام[206].

والجارودية أسلاف الحوثية يكفرون الزيدية ويعادونهم، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وهم يشاركون الإثنى عشرية في هذا الاعتقاد، كما يشاركونهم في مصادر التلقي، بل سلكوا في عصرنا مسلك الإثنى عشرية حذو القذة بالقذة، اعتقادًا ومصدرًا ومنهجًا وسياسة، ولذا فقد اتفقت مصادر الإثنى عشرية على كفر الزيدية واستحلال دمائهم وأموالهم، فقد جاء في مصادرهم المعتمدة عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبدالله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية؟ قال: "لا تصدّق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت"، وقال لي: "الزيدية هم النُّصَّاب"[207].

والزيدية لا يرتضون مسلك الجارودية، ولا يعدونهم من الشيعة، ولهذا قال الأسفراييني: "هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية، كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية؛ لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر. والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر"[208].

وقد أشار الشوكاني إلى كونهم لا يتورعون عن اقتراف الجرائم بحق المجتمعات المسلمة، ولا يتنزهون عن ارتكاب المحرمات، فقال: "وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلًا رافضيًّا يتنزه عن محرمات الدين كائنًا من كان، ولا تغترَّ بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ، ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة"[209].

وقد تلاشى وجود الجارودية أسلاف الحوثية اليوم، ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة وهم الحوثية، ولم يكن لهم كيان ولا انتشار، وكانت سمة الاعتدال هي طابع التشيع في اليمن، حتى عاد الغزو الرافضي إلى بلاد اليمن؛ ففعل بهم كما فعل بأسلافهم، وذلك لما قامت دولة الملالي في إيران، وتبنوا في دستورهم تصدير ثورتهم الرافضية إلى كافة البلدان الإسلامية، وكانت بلاد اليمن أحد مخططاتهم وأهدافهم، ولم يجدوا سوى الحوثية للقيام بهذه المهمة. وفي بحث للدكتور ناصر القفاري[210] قال فيه: "ومن الضروري أن يعرف عموم أهل اليمن من زيدية وسنة ما يخطط له هؤلاء الحوثيون، والذي يفسره عقيدة (ولاية الفقيه) عندهم، ويترجمه ما يسمونه: (تاريخ ما بعد الظهور)، وقد كتبت جملًا من هذه المخططات في كتابي (بروتوكولات آيات قم).

أولا: الجذور الفكرية المتصلة بالشيعة والوعيدية، لدى الحوثية:

اعترى تاريخ الزيدية تغيرات وتحولات فكرية كان لها الأثر الكبير على مسار الفكر الزيدي، قد تبنى هذا التحول في أغلب أوقاته العنصر الفارسي، منذ النشأة وحتى العصر الحديث، وإن المتتبع لحال المذهب الحوثي، يرى أنهم قد جمعوا من حيث الجذور الفكرية بين عدة عقائد ومذاهب؛ كالشيعة والمعتزلة والخوارج. يقول الحجري: "كانت النجدة الفارسية تتوالى لنجدة الهادي، وهذا يدل على البعد الذي كان يحمله المنهج والمشروع الشيعي على يد الهادي، ونشره في البلاد اليمنية، وتوالت البلاد داخله تحت يده وضربت السكة باسمه، ثم حارب آل طريف، وآل يعفر؛ الذين كانوا ولاة للعباسيين حتى أخرجوه إلى بلاد كوكبان، ثم بلاد حاشد، واستمر منسحبا حتى وصله مدد من الشيعة"[211]. ويقول أحمد المرتضى: "إن مذهب زيد انقرض حين ظهر مذهب الهادي اليمن[212]".

ولما كانت مسائل المذهب الزيدي الهادوي وأحكامه المقررة، التي حصَلها وجمعها وأصلَّ قواعدها فريق من كبار علماء هذا المذهب على فترات مختلفة من تاريخ ظهوره حتى انتهت إلى ما هي عليه اليوم غير معزوَّةٍ كلها إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، كما لم تكن كذلك معزوةً أيضاً إلى الإمام الأعظم زيد بن علي ، فكان في نسبة هذا المذهب إليهما أو إلى أحدهما تجاوز للحقيقة ، وخروجٌ عن الواقع .

يقول القاضي الأكوع: " لذلك فقد تنبه الإمام محمد بن إسماعيل الأمير لهذا الأمر المشكل ، فذاكر جماعةً من العلماء المبرزين في هذا المذهب ، منهم والدُه وبعضُ شيوخه ، مثل صلاح بن حسين الأخفش ، وعلي بن يحيى بن لقمان ، وعبد الله ابن علي الوزير ، كما ذاكر به بعض تَلاميذه ، مثل إسحاق بن يوسف ابن المتوكل إسماعيل ، مستفسراً عن تعيين صاحب هذا المذهب ، ومن هو واضع قواعده ، وجامع شتات مسائله ، ليكونوا على علمٍ به ، فصاع إسحاقُ بن يوسف هذا السؤال في قصيدته التالية التي سماها (عقود التشكيك) :

أيـها الأعلامُ من ساداتنا ومصابيح ديـاجي المـشكلِ
أخـبرونا ما الذي تَدْعـونه مذهباً في القول أو في العملِ
مـن هـو الـمتبوعُ سمُّوه لنا عـلَّنا نقفوه نهـجَ السـبل
فـإذا قلنا: ليحيى، قيل:لا هـاهـنا الحـق لـزيد بـن علي
وإذا قـلنا: لـزيـد، قـلتم : بل عن الهادي هنا لم نعدلِ
وإذا قـلـنا: لهـذا ولـذا فـهمـا خـير جمـيع الـملل
وسـتواهم من بـني فاطمةٍ أمـناء الـوحي بعـد الـرسـل
قرروا المذهبَ قـولاً خـارجاً عن نصوص الآل وابحث وسلِ[213]

ومن تتبع طرق وصول المذهب الزيدي لما آل عليه مع ظهور الهادي، سيرى أن الحق أنهم لم يكونوا على مذهب زيد، وإنما أنشأ لهم الهادي مذهبا، شك فيه الكثير من علماء اليمن، ومنهم كما أسلفنا ابن الأمير الصنعاني، لعدم معرفتهم أصل المذهب ونشأته، وهو ما يظهر أن هناك آياد خفية تدنس المعتقدات من قديم الزمن، وتسعى لتغير عقيدة الناس، على مرّ التاريخ. وأهم ما يقال في جذورهم الفكرية مايلي:

تأثرهم بالتشيع من حيث الإمامة: وذلك بالتمسك بأحقية الخلافة لآل البيت والخمس، حالهم كحال الشيعة في ذلك، ويقدمون ما روى أئمة أهل البيت من الأحاديث والواردة على غيرهم، والمشاهد لحالهم يرى الظهور الواضح لملامح الرافضة في طريقتهم ومذهبهم بالرغم من ادعائهم للاعتدال كذبا. يقول الدكتور الدغشي: " وإذا كان الإمام زيد هو صاحب المذهب، ومن تنتسب إليه الزيدية في اليمن؛ فإن تراثه خلو من الزعم باشتراط نسَبي أو عائلي أو حتى أفضلية لحصر الخلافة في البيت العلوي، بل يراعي في ذلك مصلحة المسلمين وعدالة الوالي، وإن سمي واقعا كهذا إمامة المفضول، مراعاة لشرطي الكفاءة والعدالة بعيد عن الافتراضات المثالية"[214].

وهذا لا شك هو الصحيح من حال الإمام زيد، وإذا كان ذلك أمرا مشتهرا في أوساط المؤرخين والباحثين في هذا المجال فإن هناك رأي لأحد الباحثين المعاصرين، يثبت فيه قولا للإمام زيد يؤكد ما عليه

الجمهور من الإمامة تنحصر في قريش، وهذا نص الرواية: "سالت زيد بن علي عن الإمامة فقال: هي في جميع قريش، ولا تنعقد إلامامة إلا ببيعة المسلمين، فإذا بايع المسلمون، وكان الإمام برا تقيا عالما بالحلال والحرام، فقد وجبت طاعته على المسلمين"[215].

لكن الزيدية الهادوية هم من أحدثوا القول بوجوب البطنين، كما ينص على ذلك أحد أئمة الهادوية المرتضى المتوفي سنة (840هـ) في مرجع من أهم مراجعهم وهو (متن الأزهار) بقوله: " ويحب على المسلمين شرعا نصب إمام مكلف ذكر حرّ علوي فاطمي، ولو عتيقا لا مدعي، سليم الحواس والأطراف، مجتهد عدل سخي، يضع الحقوق مواضعها، مدبر، أكثر رأية الإصابة... إلى قوله: ولا يصح إمامان"[216].

قال ابن الحديد:" وقال معظم الزيدية: أنها –أي الإمامة–في الفاطميين خاصة من الطالبيين، لا تصلح في غير البطنين، ولا تصلح إلا بشرط أن يقوم ويدعوا إليها؛ فاضل، زاهد، عالم، عادل شجاع"[217]. وما تنادي به الزيدية، ممن يدعون النسبة لزيد، نجد أنهم لا ينتمون لزيد في شيء من أمر الإمامة.

تشابهم بالوعيدية: من تغليب العقل على النقل: وهو يبين تأثرهم بالمعتزلة؛ وانعكاس اعتزال واصل عليهم، وترى ذلك جلياً في إعطائهم أهمية بالغة للعقل في الاستدلال، ويجعلون له نصيباً ملحوظاً في أحكام الشريعة، ودلالات العقيدة، وقبح الأشياء واستحسانها. ومن ذلك تأويل الصفات الخبرية وتحريف معانيها بعد أن جعلوا نصوص تلك الصفات من المتشابه، ثم أولوها بمجازات اللغة والعقل تماما كما فعلت المعتزلة، يقول الإمام يحي بن حمزة: " أما عرض التأويلات على العقل فهو كل ما ورد من الظواهر محتملا لمعاني، فالواجب أن ينظر في تلك المعاني فما قضى بصحته العقل منها أثبت، وما قضى بفساده أطرح، كآيات التشبيه وآيات الضلال والهدى ونحو ذلك"[218].

ويتفق الزيدية مع المعتزلة بالقول بخلق القرآن، يقول الإمام يحي بن حمزة: " أجمع أهل القبلة على وصف الله بكونه متكلما، فأما نحن فنذهب إلى المعنى بكونه متكلما خلقه لهذه الأحرف والأصوات"[219].

وكذلك في قضية مرتكب الكبيرة، والخلود في النار، والقدر والجبر، والاختيار. يقول أبو منصور الإسفراييني، عن فرق الجارودية: "إنها اجتمعت على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة مخلدون في النار، فهم من هذا الوجه كالخوارج"[220].

يقول القاضي إسماعيل الأكوع: "الزيدية كانوا لا يعتقدون ما يعتقد به الجعفرية من عصمة الأئمة الاثني عشر، والقول بالبداء، التقية، والمتعة، وكانت في بداية ظهورها وعصر نشأتها على ما كان عليه السلف الصالح من العمل بأحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقط. خلا إنها خالفت أهل السنة في أمرين: أحدهما:

نزوعها في العقيدة إلى الاعتزال. والثاني: الإمامة التي هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلها وشغلهم الشاغل، ومحور عقائدهم السياسية"[221].

ثانيا: أهم الانحرافات الفكرية لدى الحوثية:

عند الاستقراء لما جاء معنا من عقيدة الحوثية، فكما بينا أن هذه الجماعة هي زيدية جارودية: والجارودية تتبنى أكثر عقائد المذهب الإمامي الاثني عشري، لذا نستطيع القول إن عقائدهم هي عقائد الرافضة الاثني عشرية. ومن ذلك:

1) الدعوة لفكرة الإمامة:

لا خلاف بين الحوثية والشيعة الاثني عشرية في مسألة الإمامة وإنما خلافه في مسالة التنصيص على الاثني عشر إماما الذين يدعون الاثني عشرية إمامتهم بالنص، أما الجارودية فتقول بالنص على علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي بن طالب، ثم الحسين بن على بن أبي طالب، ثم إن الإمامة لا تخرج من البيت الفاطمي، أي نسل الحسن والحسين[222].

وعندما نثبت أن الزيدية اليوم في اليمن ليسوا زيدية بالانتساب إلى زيد، وإنما زيدية لمجاراة المسمى، وإنما هو هادوية جارودية كما يتضح من أقوالهم وأفعالهم، ومن أدل الأدلة ما ذكرنا من جذروهم المرتبطة بالإمامية الرافضة في فيما يتعلق بالإمامة، ولو كانوا على مذهب زيد لارتضوا إمامة الخلفاء الثلاثة قبل علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع، وقد سبق أن ذكرنا مذهب الإمام زيد في ذلك، وذكرنا مذهب الهادوية المخالف لذلك، كما سبق، ومن باب التأكيد على تلازم معتقدهم بالرافضة، ما ذكره الإمام الهادي ذلك بوضوح بقوله: " إن المامة لا تثبت باختيار الناس، وبما أن إمامة أبي وعمر وعثمان ثبتت باختيار الناس فهي إمامة غير صحيحة! وقال: وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام: إن الإمامة إنما تثبت للإمام برضى بعضهم، وهذا أحول المحال، وأسمج ما يقال من المقال، بل الإمامة تثبت بتثبيت الرحمن، لمن ثبتها فيه وحم بها له م الإنسان، رضى المخلوقون أم سخطوا، شاءوا ذلك وارادوا أم كرهوا، فمن ثبت الله له الإمامة وجبت له على الأمة الطاعة، ومن لم يثبت الله له ولاية على المسلمين كان مأثوما معاقبا، ومن اتبعه على ذلك من العالمين؛ لأنه اتبع من لم يجعل الله له حقا، وعقد لمن لم يعقد الله له عقدا، والأمر والاختيار مردود في ذلك إلى الرحمن، وليس من الاختيار في ذلك شيء إلى الإنسان"[223].
ومن هذا القول الصريح يتضح إلزام الهادوية بالنص في الإمامة وهو مخالف لزيد.

ومن هنا انطلقت فكرة الحوثية في القتال على الإمامة ويعني ذلك إحياء فكرة الوصية للإمام على وأبنائه، وأن الحكم لا يصح إلا في أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بينا أن الزيدية يختلفون في ذلك. ولكن الحوثية تؤكد على هذا الدعوى، وأن الحكم لا يصح إلا في البطنين، وهي عندهم حق واصطفاء إلهي، ونرى ذلك كثيرا في أقوال الزعيم المؤسس الفعلي لهذا التيار وهو حسين بدر الدين، حيث نلحظ أن صدى هذه العقيدة يتكرر كثيرا في محاضراته، وينادي بأحقية علي بن أبي طالب وأبناءه رضي الله عنهم بالخلافة ومن ذلك قوله: "ألم نقل في مقام آخر أن الفخر لنا أن قدوتنا من أهل البيت ليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة لرسول الله ﷺ"

2) يتبرؤون من الخلفاء الراشدين الثلاثة:

ويكفرونهم بوجه خاص، والصحابة كلهم بوجه عام، إلا القليل؛ لأنهم كما يفتري الحوثيون عليهم بأنهم أصل البلاء الذي لحق بالأمة إلى اليوم؛ وفي ذلك يقول كبيرهم الذي علمهم الزندقة حسين بدر الدين الحوثي: "فلهذا قلنا: من في قلبه ذرة من الولاية لأبي بكر وعمر لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق التي تجعله فيها من أولئك الذين وصفهم الله:﴿ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[المائدة: 54]، ولن يكونوا من حزب لله لأنه قال فيما بعد:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: 56]، فلن يكون غالباً لأنه ما رضي يتولى الذين آمنوا الذي نزلت فيه الآية، ما رضي أبدا إذا كان رافضاً أن يتولى عليا فلن يكون من حزب لله، ولن يغلب"[224]. وقال في محاضرة مصورة، أبوبكر وعمر وعثمان والصحابة منحطون: "كل سيئة في هذه الأمة وكل ظلم وقع لهذه الأمة وكل معاناة وقعت الأمة فيها، فالمسئول عنها: أبو بكر وعمر وعثمان؛ وعمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها. ويقول: إن السنيّ مستعد أن تتحطم الدنيا كلها ولا يتخلى عن أبي بكر وعمر، وهو بذلك يشهد على نفسه أنه يعيش المشكلة ويعمى عن الحل. إذا في رأيه أنه ما دام أهل السنة يصرون على حب أبي بكر وسائر الصحابة والترضي عليهم فلا حل معهم، ولا أمل في التوصل معهم إلى حوار مفيد!

ويعود إلى التلاعب بالتاريخ فيقول:" عندما انتزع أبو بكر وعمر وعثمان الولاية من علي بدأت من هناك نقطة الافتراق، واستمرت وستبقى ما لم يعد الأمر إلى نصابه، وليسند الأمر إلى من يتمتعون بالمقاييس الإلهية. يسند إلى من وصفهم الله أعلاماً لأمته، فهو الذي يختار وليس البشر"[225]

3) العداء الصريح لأهل السنة:

ويؤكد ذلك حسين الحوثي لأتباعه بقوله: "إنه من الحماقة أن نرتبط نحن الزيدية والمتميزين من الشيعة الإمامية بهؤلاء (السنية) أو نفكر أن بالإمكان التوحد معهم، فهم يريدون أن نتوحد معهم تحت رايتهم"[226].

ويتطاول على القرآن الكريم محرفا آياته حسب هواه ويقول: إن حزب الله المذكور في القرآن ليسوا هؤلاء المسلمين السنة. بدليل أنهم ليسوا هم الغالبين في مواجهة اليهود وأمريكا والنصارى. بل إن (حزب الله) مفهوم قرآني يقتصر على الشيعة؛ بدليل أن حزب الله هزم أمريكا لأنه (شيعي) وبدليل أن واحدة فقط من بين (58) دولة إسلامية هزمت أمريكا، هذه الدولة هي إيران؛ أي الدولة الشيعية الوحيدة في العالم، وبالتالي فالقرآن صريح في البلاغ بأن الأمة الإسلامية لا تنتصر ولن تنتصر ولن يصلح لها حال إلا بالشيعة"[227].

وله كثير من المحاضرات يقشعر منها البدن؛ لما فيها من تطاول على الله، وسب لرسوله، ولصحبه الكرام، لذا فهم يدعون أتباعهم إلى سب الصحابة ولعن أمهات المؤمنين. كما نراه يروج لفكرة الخروج ولمواجهة الحكومة، ويتباهون في محاضراتهم ومؤلفاتهم بلجم (السُّنيّة). ومما قام به أيضا هو إحياء ذكرى مقتل الحسين رضي الله عنه، وإحياء ذكرى وفاة بعض الأئمة كجعفر الصادق ومحمد الباقر وعلي زين العابدين، وكذلك إحياء ذكرى حسينهم الهالك وإقامة المجالس الحسينية، وما فيها من ضرب ولطم وشق الثياب، ورفع الأصوات بالعويل والندب وسب الصحابة عنهم؛ كحال الاثني عشرية في إيران وغيرها[228].

كما أنهم اتخذوا جبلاً في مدينة صعدة، أطلقوا عليه اسم (معاوية)، يخرجون إليه يوم (عاشوراء) بالأسلحة ويطلقون ما لا يحصى من القذائف والشتم على معاوية.

كذلك تراهم يمجدون ثورة الخميني ويعتبرون أن حزب الله في لبنان هو النبراس الذي يجب أن يسيروا عليه. وقد ذكرنا قول زعيمهم حسين بدر الدين الحوثي في ذلك. وقاموا بإلزام الناس بدفع الخمس وتحصيلها باعتبارها واجباً شرعياً لا يستقيم إيمان المرء إلا بأدائها. كذلك قاموا مؤخرا بالترويج لزواج المتعة، وإلزام تنظيم الشباب المؤمن وأتباعهم بذلك، وإكراه الناس على تقديم بناتهم وأرحامهم لمن يرغب بالزواج (استمتاعاً)، وإيهام النساء أن ذلك من الدين[229].

وأخيرا لم تكتفي الحوثية الرافضة بالتشابه مع الفرق المنتسبة للإسلام بل تعدى لما هو أعظم من حيث مشابهتها لأهل الكتاب، فعند النظر إلى الآيات من كتاب الله التي ورد بها عقائد أهل الكتاب، فإننا نرى مدى التشابه بينهم وبين الرافضة، ونذكر ذلك إجمالا:

اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وهم اتخذوا أئمتهم كذلك. وغلو اليهود في عزير، وغلو النصارى في عيسى ابن مريم، وغلوهم في الحسين. واليهود يرون الحواريين أفضل من الأنبياء، وهم يرون أئمتهم أفضل من الأنبياء. اليهود ينظرون مسيحهم المزعوم، وهم ينظرون إمامهم المزعوم. اتهام اليهود لمريم عليها السلام، واتهامهم للسيدة عائشة رضي الله عنها. وصف الله رهبان اليهود والنصارى بأكل

أموال الناس بالباطل، وآياتهم يأكلونها باسم الخمس. اليهود والنصارى يمنحون شهادات الغفران، وهم يمنحون صحوك البراءة من النار. اليهود لا يرون الحكم إلا في سلالة آل داوود، وهم لا يرونه إلا في سلالة الحسين. اليهود يرون جبريل عدوهم من الملائكة، وهم يرونه قد خان الرسالة.

4) أثر حركة الشباب المؤمن (الحوثية) والتغلغل الرافضي على الربيع العربي:

في العصر الحديث قد تبنت إيران – ومنذ قيام ما عرف بـ "الثورة الإسلامية" – مبدأ تصدير الثورة الشيعية إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي، وإذا كان العراق مثّل سداً منيعاً ضد التوسع الشيعي في منطقة الخليج. " فإن نظام إيران لم يتخل عن تواصله بالأقليات الشيعية في الخليج والجزيرة عموماً، بل سعى جاهداً إلى تصدير فكره إلى دول أخرى. وقد شكلت الأرضية المذهبية "الهادوية" في اليمن محضناً خصباً لهذا التغلغل الشيعي خاصة بعد حرب تدمير العراق، وبذلت الدبلوماسية والسفارة الإيرانية في صنعاء جهداً مكثفاً لاستقطاب أتباع المذهب الزيدي منذ عام 1990، حيث توجهت الأنظار إلى اليمن كلاعب إقليمي ناشئ.

وهذا ما كان يحذر منه علامة اليمن ومحدثها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فقد كان يردد – رحمه الله – المقولة المشهورة: "ائتني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضياً كبيراً!"[230]. ويقول الكاتب محمد جميح: " مرت السنوات ثقيلة ملطخة بالدم، إلى أن وصلنا إلى مشارف عام 2011، حيث وصلت موجات (الربيع العربي) إلى صنعاء، وفجأة اجتاحت تلك الموجات شوارع العاصمة ومدنا يمنية أخرى، ودخل حزب الإصلاح للساحات، وتولى قيادة العمل الجماهيري المعارض. وحينها أراد صالح أن يضغط على الموجات الهادرة في الشوارع بإخافتها من الحوثيين، فقام بسحب الوحدات الأمنية من صعدة، وسلمت المدينة للحوثيين، ورد الإصلاح طريقة صالح بفتح ساحات صنعاء للحوثيين الذين ركبوا الموجة، وتدفقوا «بصورة سلمية» إلى صنعاء يهتفون مع (الإخوة في الإصلاح) بشعار الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام»[231].

والذي يبدوا حينها أن الرئيس صالح حينها كان يفكر في مخرج من المأزق التي سيق إليه، وأخذ يفكر في الطريقة المثلى التي يشق بها صفوف الثوار، فلم يجد أنسب من الحوثيين لعملية التمرد وشق الصفوف – ولا غرابة فالتاريخ الإسلامي مليء بالكثير من تلك المكائد الرافضية- ويقول الجميح: " لا دليل بالطبع على أن الرئيس السابق كان قد نسج خيوط علاقته مع الحوثيين في ذلك التاريخ المبكر، لكن الأرجح أن الفكرة تم تداولها على وقع تزايد الهدير في شوارع صنعاء، ...، وفي مايو 2011 اتصلت هاتفياً بأحد شيوخ قبيلة بكيل، وكان من المعارضين لصالح، فقال لي إن هناك مخاوف من أن ينتقم صالح من الإصلاح بالتحالف مع الحوثيين. بدت الفكرة لي-حينها- ضرباً من الجنون، إذ كيف يمكن أن يتم التحالف

بين الأعداء الذين جرت في حروبهم أنهار من الدماء، لكن بدا أن الشيخ القبلي كان يدرك بواطن الأمور بشكل مدهش"[232].

ومع حلول 2012 وانتخاب الرئيس عبدربه منصور هادي، والوصول إلى الحوار الوطني في بداية 2013، ومع نهاية الحوار في يناير 2014، تحرك الحوثيون مباشرة إلى منطقة (دماج)، التي يقطنها السلفيون، وقاموا بمحاصرتها، ومن ثم دارت معارك راح ضحيتها مئات القتلى، وصمدت العزلة شهوراً طويلة تحت الحصار، قبل أن يأمر الرئيس هادي أهاليها بالخروج منها كحل للحرب عليها، وهو ما تم، حيث شهد اليمن أول عملية «تطهير مذهبي» في تاريخه الحديث، بتهجير آلاف السلفيين من دماج.

"لم يكن هادي بعيداً عن عملية دخول الحوثيين عمران وصنعاء، مع إنه كان يتعلل بالقول إنه لم تكن لديه سيطرة على الجيش الذي كان يقول إنه يدين بالولاء لصالح، غير أنه في الواقع لم يصدر أوامره لمواجهة الحوثيين، ولا دليل على وجود نية حقيقية منه لمواجهتهم، حيث رأى فيهم عنصراً يمكن أن ينسق معه ضد الرئيس السابق من جهة، وللحد من قوة "الإصلاح" والجنرال علي محسن؛ الذين خرجوا من أحداث 2011 في قوة بات هادي يخشاها، رغم أنه جاء إلى السلطة على إثر الثورة التي دعموها"[233].

والحاصل: أن الجميع كان له إسهامات في تقوية الحوثي المؤدية إلى تمرده، من خلال عقد تحالفات واهية، وقد تتفاوت نسبة هذه التحالفات المساهمات، إلا أن تلك الأوهام باتت كساد مع الحوثيين، حيث قام بضربهم جميعا دون استثناء، وها هو اليوم صالح الذي فتح لهم معسكرات الدولة؛ يصطلي بالنار التي أوكأها، ويعيش اليوم تحت رحمتهم والإصلاح حليف (2011) شهد كارثته الأعظم بعد دخولهم صنعاء، والحراك الجنوبي غُزي في عقر داره من الحوثيين، الكل أراد ترويض الأفعى، لكن الأفعى التهمت الجميع.

ثالثا: الترابط الحوثي الإيراني، والتغلغل الرافضي في اليمن:

لم تنقطع عن اليمن إرساليات الفرس في تضليل الشعب اليمني، ومتابعة إبعادهم من مذهب زيد، إلى مذهب الرفض، حتى عصرنا الحاضر، وخاصة أن الأمور أصبحت ميسرة على عكس ما كان عليه في الماضي، وبسبب هذا التيسير نجد أن إيران لا زالت تتابع ما زرعه الفرس الأولون في اليمن، فأصبحت ترسل الإرساليات تلو الأخرى، دون أدنى مصاعب، لاستغلالها قوتها العسكرية والمالية، وغياب الرقابة المحلية والدولية عليها، بل قد يتم التغافل عنها عمدا لتصدير المعتقد الرافضي في اليمن وغيرها.

بل اتخذ الأمر بعد أكثر تأثيرا وهو إيفاد أبناء اليمن إلى بلاد فارس، إما عن طريق البعثات التي ترسلها الدولة، أو ما تقوم بها السفارة الإيرانية، والحوزات العلمية من إغراء أبناء اليمن إلى التعلم من ناحية، والإغراء المادي من ناحية أخرى، وهو الإغلب نظرا لما تعانية البلاد من وضع اقتصادي مزر[234].

كما تبين أن إيران ترسل المعلمين من الفرس والعراقيين واللبنانيين الاثني عشرية إلى اليمن، ومن ذلك أنه حين قامت فتنة الحوثي في عام (1425هـ)، اكتشفت الجهات العاملة مع الدولة سبعين جثة لعراقيين من أصل إيراني قتلوا في فتنة الحوثي[235].

ولا شك أن إعلان قيام (حزب الله)، وتشكيل تنظيم "الشباب المؤمن"، والترنم بالهتافات الشيعية، ورفع شعارات الثورة الإيرانية، والمجاهرة بسب الصحابة، ونقد المذهب الزيدي، وإقامة الاحتفالات والحسينيات والمناسبات الشيعية، كيوم غدير "خم"، وافتتاح عدد كبير من المحلات التجارية والمكتبات ذات المسميات الشيعية، وتعليق لافتات كتب عليها عبارات مثل (يا حسيناه، يا علياه، من كنت مولاه فعلي مولاه، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق... الخ)، وتوزيع وبيع أشرطة وكتب وكتيبات ذات مضامين شيعية اثنا عشرية، ونشرات بمسميات (العترة – آل البيت – الحسين – المهدي، وغيرها)، ونشر صور رموز شيعية كـ (الخميني والصدر والسيستاني ورفسنجاني وحسن نصر الله ومقتدى الصدر وغيرهم)، جميع ذلك يدل على أن هناك توجيه من أياد خارجية، تربطهم صلات عقائدية وفكرية، بين إيران وتنظيم الشباب المؤمن (الحوثية).

عندما سئل الرئيس اليمني السابق على عبدالله صالح عن دور محتمل لحزب الله في دعم الحوثيين أجاب: "الدعم ربما لا يقدم من حزب الله كحزب أوقيادة، ولكن من عناصر تنتمي إلى هذا الحزب، والذي أفهمه هو أن الحوثيين تلقوا خبرات في صنع القنابل والألغام والذخائر من بعض الخبراء، وبعض العناصر الذين ينتمون إلى حزب الله، كما أن بعض العناصر الحوثية تُرسل للدراسة في لبنان"[236].

لا شك أن كل ذلك يؤكد العمق في العلاقة بين الحوثي وإيران ما قاله حسين الحوثي: "في هذه الأيام الملاحظات عقبة كؤود في طريق نجاح الحركة في اليمن التي تهتدي بنهج إمام الأمة، وقائد الثورة الإسلامية، الإمام القائد والموجه السيد روح الله، آية الله الخميني قدس الله سره، وجعلنا من خدمه من اليوم إلى يوم الدين[237]. ولقد أكد طارق الشامي – الناطق الرسمي في المؤتمر الشعبي الحاكم – في اتصال مع قناة "الجزيرة" أن التمرد جاء في "إطار مخطط كان معداً له أولاً من حيث إدخال مذهب جديد هو الاثنا عشرية والترويج له داخل المجتمع اليمني، وثانياً ما تم الاعتراف به على لسان الحوثي بوجود علاقة مع بعض المنظمات والحوزات الشيعية وزيارته لبعض الدولة العربية وإيران"[238].

وتهدف إيران من ذلك إلى عدة أمور: منها استغلال جو التصالح والتقارب الشيعي الأمريكي في المنطقة عقب أحداث 11 سبتمبر، ومنها زيادة النفوذ الشيعي في دول الجزيرة والخليج بما يخدم البعد الاستراتيجي لإيران في المنطقة، ومنها تشتيت الذهن والجهد السني على امتداد الرقعة الجغرافية، كلبنان وسوريا والسودان واليمن... إلخ! بحيث تنصرف هذه الجهود عن العراق وخدمة التيار السني المقاوم فيه!

وقد ينكر البعض ترابط الحوثي بإيران، أو أن ينسب إلى الشيعة، ونقول له: يكفي لانتسابهم للشيعة هو ما نقلته صحيفة الأيام، تحت عنوان: (قائد الحرس الثوري الإيراني: إيران صنعت الحوثيين في اليمن): أكد القائد العام للحرس الثوري الإيراني، اللواء محمد علي جعفري، أن إيران هي التي صنعت الجماعة الحوثية في اليمن بقوله إن "المقاومة اليمنية –ويقصد جماعة الحوثي– تعتبر اليوم آخر إنجاز للثورة الإيرانية، وإن الحوثيين يتخذون من الثورة الإيرانية نموذجا لمقاومة النظام المتسلط". وأكد جعفري خلال كلمة له بحفل تكريم المدربين النموذجيين في المجال العقدي والسياسي للحرس الثوري، أن "مشروع تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج يسير بشكل جيد، وإننا نشهد صحوة ومقاومة إسلامية"، حسب ما نقلت عنه وكالة (فارس) [239].

وتتخذ إيران من شعار تصدير الثورة لتبرير تدخلاتها في شؤون المنطقة وتمددها على حساب شعوبها. وزعم جعفري أن الثورة الإيرانية حققت نجاحات عديدة في الداخل والخارج. وبحسب قائد الحرس الثوري فإن: "الثورة الإيرانية تميزت بمناهضة الاستكبار، وإن هذا الأمر أدى إلى تقدم ونمو الأهداف السامية للثورة خارج الحدود"، وتدعم إيران حلفاءها في المنطقة، خاصة الرئيس السوري بشار الأسد الذي يواجه ثورة شعبية عارمة تكاد تطيح به، إلا أن المرشد الإيراني نعت الثورة السورية بصنيعة الاستكبار، ويقصد (الولايات المتحدة). وتابع قائلا: " نحن الآن في مرحلة صنع الحضارة، والتحرك نحو الحضارة الإسلامية الكبرى، وإن هذا القرن هو قرن الإسلام والقيم المعنوية والعقلانية والعدالة، ومن يقف أمام الثورة الإسلامية سيهزم قطعا).

يقول القاضي الأكوع وهو يتحدث عن تحول الزيدية إلى الاثني عشرية:" أما اليوم فإن أ:كثر العلويين المتسبين مذهبا إلى زيد بن علي ومن اعتزى إليهم من أهل اليمن، أكثرهم قد تحول بعد قيام الثورة الإيرانية سنة (1979) إلى شيعة اثني عشرية تحت عطاء مذهب زيد بن علي"[240].

وفي تقرير للأمم المتحدة أكد قبل أيام أن إيران تقوم بتسليح جماعة الحوثي منذ عام (2009)، وهو ما يثبت تورط طهران بدعم الحوثيين عسكريا، على الرغم من تأكيدات المسؤولين الإيرانيين أن دعمهم يقتصر على الجانب السياسي، والمساعدات الإنسانية فقط، واستند خبراء الأمم المتحدة في تقريرهم الذي قدم إلى

لجنة العقوبات الخاصة بإيران في مجلس الأمن الدولي، إلى تحقيق في حادثة مصادرة السلطات اليمنية شحنة أسلحة عام (2013) كانت تحملها سفينة الشحن الإيرانية (جهان). وكان وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قد أكد الشهر الماضي، أن بلاده على علم بأن إيران تدعم الحوثيين، وقال: "إن واشنطن لن تقف مكتوفة الأيدي، ولن تتخلى عن حلفائها في المنطقة "[241].

الشيعة والسنة:

عند اندلاع الثورات الربيعية لم يكن هناك ظهور جلي للطائفية، بل كان الجميع في ساحات التغيير متفقون ظاهراً على خلاص البلاد والشعوب من الدكتاتورية المقيتة التي جثمت على صدروهم سنوات طوال، فكان الهدف الظاهر لذي الجميع هو (الشعب يريد إسقاط النظام) فالكل شعب واحد لم يتجزأ آنذاك بطائفية ولا عنصرية، ولكن سرعان ما تحولت تلك المظاهرات السلمية ضد الأنظمة والحكومات إلى حروب أهلية ضارية، غلب عليها الطابع الطائفي، مما أذهل البعض وصدم البعض الآخر، كما أنه لم يكن مفاجئا لدى بعض المفكرين والسياسيين، ففي الوقت الذي يتصاعد فيه التوتر بين الأنظمة والشعوب حول الحكم والسيادة، نجد أن هناك من قام بإشعال فتيل الطائفية بين السنة والشيعة في المنطقة، ولأجل السيادة وإحياء الإمبراطورية الفارسية بعد مواتها.

إننا نجد أن إيران قامت بالدور الدرامي المناسب كي توقع المنطقة في مستنقع من الدماء كلما أوشك على الجفاف أعانت على انعاشه، حتى تطور الوضع من شأن داخلي بين أبناء الدولة الواحدة إلى شأن إقليمي ودولي تشارك فيه أغلبية الدول لدعم جميع الأطراف والفصائل المتنازعة، كل يريد السيادة لأتباعه، يقول الكاتب عادل الأحمدي: " إن أزمة الحوثي نشأت جوا انشغال الراي العام بظروف التدافع السياسي، والمعاناة المعيشية، ووجد فيه الطرف الإيراني فرصة لتقوية إحدى بئر التوتر التي يمكن ضمان تبعيتها له، واستعمالها في مخططاته الاستراتيجية، شأنه شأن غيره"[242].ولم نجد من يحرص على وأد تلك النزاعات، بل على العكس من ذلك نرى أن هناك سعي حثيث إلى تعميق الانشقاقات بين هاتين الطائفتين؛ مما أدى إلى ظهور مشاهد مفزعة من العنف الطائفي في المنطقة برمتها، الذي ربما يكون من أهم الموروثات التي خلفتها السنن التغييرية في عالمنا العربي والإسلامي.

الخلاصة: لقد فشلت دول الربيع في التحوّل من أنظمة تسلّطية عسكرية إلى أنظمة شرعية مدنية، بل تكاد هذه الدول أن تسقط؛ إن لم تكن سقطت في براثن الحرب الأهلية التي من الصعب التكهّن بنهايتها، أو بنتائج إيجابية تؤول إليها. ولقد استعاد الحكم العسكري في مصر سيطرته على البلاد، ووقعت

اليمن وليبيا وسوريا في قبضة العصابات والتنظيمات المسلحة التي لا تقل خطراً عن نظام العسكر الذي كان مسيطر عليها.

لقد جاء "الربيع العربي" مولودا شرعيا وطبيعيا لظروف مأزومة على مستويين: مستوى الحكام المستبدين والحكومات الفاسدة، وعلى مستوى انسداد الأفق أمام النهضة التي حلمت بها الأمة منذ مطلع القرن العشرين. ثم لم يلبث هذا المولد أن فُطم على عجل دون أن يستكمل مدة الرضاع على أقل تقدير؛ كي يعتمد على نفسه في شئونه الداخلية والخارجية، وكان سبب ذلك الفطام هو تدخل تلك التيارات التي عانت منها الأمة ولا تزال، فكانت سبب في تفتت وحدتها، وضياع هيبتها، وهوانها بين الأمم.

---

1 أخرجه الترمذي رقم: (1018) وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وصحيح الجامع رقم: (5605).

2 البخاري، (باب: بلا عنوان)، ج5، ص86.

3 الشهرستاني، الملل والنحل، (مرجع سابق)، ج1، ص20.

4 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، 22.

5 المرجع السابق.

6 المرجع السابق.

7 الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص14.

8 الشهرستاني، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي) ج1، ص114.

9 الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط1، 2005م، ج1، ص112.

10 مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET)، ج4، ص328.

11 الخطيب، معتز، "تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر، 2014)، ص9.

12 المرجع السابق، ص13.

13 الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص15.

14 المرجع السابق. ص16.

15 الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص16.

16 نفس المرجع

17 نفس المرجع

18 نفس المرجع

19 أخرجة الحاكم في المستدرك رقم: (319)، السنن الكبرى للبيهقي رقم: (20124)، وحسنه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (2937-3232).

20 أخرجه البيهقي في الشعب: 5201. مسند أحمد: 15903، 18361. وحسنه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: 5308. الصَّحِيحَة: 3207.

21 المرجع السابق.

22 أخرجه مسلم رقم (145)، باب بدأ الإسلام غريبا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

23 الحنبلي، ابن رجب، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، ت: طلعت الحلواني، (الفاروق الحديثة، ط2، 2003م)، ج1، ص319.

24 القفارين، ناصر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، من مقال بعنوان من أهل السنة؟ (مجلة البيان، العدد:354). ص35.

25 الشاطبي، الاعتصام، (مرجع سابق)، ج1، ص77. نقلا عن مقال بعنوان من أهل السنة؟ للقفاري، مجلة البيان، العدد: (354).

26 السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1989)، ص7.

27 المرجع السابق، ص21.

28 الشيباني، أحمد بن حنبل، أصول السنة، (الخرج، دار المنار، ط1، 1411هـ)، ج1، ص14.
29 أخرجه أبو داود في كتاب (ح 1949)، والترمذي (ح2979) وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه في المناسك (ح3015).
30 الألوسي، غاية الأماني، ت: آل زهوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2001م)، ج1، ص550.
31 القفاري، ناصر، مقال بعنوان من أهل السنة؟ مجلة البيان، لعدد: (354)، نقلا عن شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج1، ص175.
32 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977)، ص20.
33 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986م) ج2، ص221، بتصرف.
34 ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج3، ص346، نقلا عن المصدر السابق.
35 الظاهري، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2 ص90، نقلا عن المصدر السابق.
36 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوقية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397)، ص10.
37 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 12.
38 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 14.
39 السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1989)، ص5.
40 سورة البقرة، الآية: (177).
41 علق البخاري الجملة الأخيرة، وذكر الحافظ تخريجه كاملا. الفتح (48/1)، وهو في السنة لعبد الله ابن أحمد (98/1).
42 الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط1ن 2005)، ص111.
43 ينظر: العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط6، 1421)، ج2، ص69.
44 تطلق على الخوارج والمعتزلة، وممن ذكر هذه اللفظة الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. ينظر: ج1، ص141.
45 انقسمت المعتزلة إلى اثنتين وعشرين فرقة لكل واحدة منها أفكارها وآراؤها الخاصة منها: " الواصلية، والعمرية، والهذلية ...إلخ"
46 قال الشهرستاني: وكبار فرق الخوارج ستة: (الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية، والثعالبة"، والباقون فروعهم).
47 السقاف، علوي، ومجموعة باحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع الدرر السنية على الإنترنت DORAR.NET).
48 هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط3، 1415 هـ). ج1، ص189.
49 الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420هـ)، ص64.
50 الإسفراييني، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص15.
51 الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، ص64.
52 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1992)، ج1، ص48.
53 الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (مرجع سابق)، ص39.
54 ينظر الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، فصل المعتزلة.
55 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 14.
56 ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (مرجع سابق)، ج1، 168. الخلف، القاضي أبي يعلى، وكتابه مسائل الإيمان، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (الرياض، دار العاصمة، ط1، 1410 هـ)، ص397، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1996). ص139.
57 الإسفراييني، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص93.
58 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (مرجع سابق)، ج1، ص43.
59 المرجع السابق، ص45.
60 الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (مرجع سابق)، ص38.
61 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (مرجع سابق)، ج1، ص45.
62 . المرجع السابق، 42. (بتصرف).
63 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص304. (بتصرف)

64 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص304 -305. (بتصرف).
65 الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، ص69.
66 محمد، حامد، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، المؤلف، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1 1417هـ)، ج1، ص90.
67 السقاف، عَلوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET)، ج3، ص56.
68 الشهرستاني، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي) ج1، ص114.
69 الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط1، 2005م، ج1، ص112.
70 مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET)، ج4، ص328.
71 أصل الشيء.
72 أخرجه البخاري، رقم: (4351)، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع. ومسلم رقم: (1064)، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
73 مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET)، ج4، ص331.
74 ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997م)، ص472.
75 مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص331.
76 معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، (مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط3، 2000) ص377.
77 الورجلاني، الدليل لأهل العقول، (المطبعة البارونية، 1887م)، ص15.
78 ابن كثير، البداية والنهاية. ابن حزم، الفصل. الشهرستاني، الملل والنحل. غالب عواجي، فرق معاصرة.
79 أخرجه مسلم في الصحيح رقم: (1066)، باب: التحريض على قتال الخوارج.
80 سبق تخريجه.
81 عواجي، غالب، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، 1978م)، ص37.
82 مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص354.
83 مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء–اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008)، ص16، بتصرف.
84 مجموعة من الباحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء–اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008) بتصرف. ص18.
85 الشجاع، عبد الرحمن، اليمن في صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، ط، 1987)، ص162–173، بتصرف.
86 الإسفراييني، أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ت: الحوت، (لبنان، عالم الكتب، ط1، 1983)، ص27.
87 المرجع السابق. ص29.
88 زيد، على محمد، معتزلة اليمن، (بيروت، دار العودة، ط1، 1981)، ص42.
89 الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420هـ)، ص52. (بتصرف)
90 انظر: الإسفراييني، الفرق بين الفرق: (بيروت، دار الآفاق للنشر، ط2، 1977م)، (ص22)
91 غالب عواج، فرق معاصرة، ج1، ص334.
92 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص70.
93 أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996م). ج1، ص47.
94 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص76.
95 الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت: علي أكبر، (طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1365ش)، ج2، ص18.
96 مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012)، ص19.
97 الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: الفقيهي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1994)، ص6.

98 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص71.
99 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص71.
100 المرجع السابق. ج1، ص6.
101 المرجع السابق، ج1، ص55.
102 الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: علي الفقيهي، (مرجع سابق)،
103 معنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012)، ص23.
104 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص60.
105 الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص75.
106 المرجع السابق، ج1، ص60.
107 المرجع السابق، ج1، ص75.
108 أخرجه البخاري رقم: (7199) باب كيف يبايع الإمام الناس؟ ومسلم: (1709) باب وجوب طاعة الإمام في غير معصية
109 أخرجه ابن ماجة في السنن رقم: (173)، وصححه الالباني في المشكاة رقم: (3554).
110 الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الرياض، مكتبة المعارف للنشر، 1422هـ-2002 م)، ج7 ص1237). بتصرف
111 الهاشمي، هشام، عالم داعش من النشأة إلى إعلان الخلافة، (لندن، دار الحكمة، وبغداد، دار بابل، ط1، 2015)، ص7.
112 الشيخ، عمرو، ومحمد النوبي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (الجزائر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط2، 2016)، ص44. بتصرف.
113 المرجع السابق.
114 الهاشمي، هشام، عالم داعش، (لندن، دار الحكمة، ط1، 2015)، ص20
115 المرجع السابق.
116 الشيخ، عمرو، ومحمد النوبي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (مرجع سابق)، ص44. (بتصرف).
117 عطوان، عبدالباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (بيروت، دار الساقي، ط1، 2015)، ص23. (بتصرف).
118 عطوان، عبدالباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (مرجع سابق)، ص23.
119 عيسى، محمود، التنظيمات الإرهابية في الدول العربية وإجراءات مواجهتها، (مجلة آفاق عربية، الملف الأمني، العدد، 1، مارس 2017)، ص14.
120 أبو رمان، محمد سليمان، داعش، الدعاية والتجنيد، مؤتمر سر الجاذبية، (عمان، فريدريش إيبرت، 2014). ص19.
121 الخطيب، معتز، تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص10.
122 أخرجه البخاري، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: (3611)، وأخرجه مسلم، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم: (1066).
123 العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (مرجع سابق)، ج12، ص283.
124 النووي، محي الدين، شرح صحيح مسلم، (مرجع سابق)، ج7، ص175.
125 السيوطي، جلال الدين، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ت: الحويني، (الخبر، دار ابن عفان للنشر، ط1، 1996). ج3، ص160.
126 القرطبي، يوسف بن عبد البر، الاستذكار، ت: سالم عطا، ومحمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000). ج2، 499.
127 ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (مرجع سابق)، ج13، ص209.
128 ابن كثير، البداية والنهاية، (مرجع سابق)، ج18، ص23.
129 متفق عليه، سبق تخريجه.
130 العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (مرجع سابق)، ج12، ص283.
131 البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار، ت: عادل سعد، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، بدأت 1988م، وانتهت 2009م). رقم: (7225)، ج13، ص453.
132 أخرجه البزار، (مرجع سابق)، رقم: (897)، ج3، ص111.

133 السندي، محمد بن عبد الهادي، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 86). ج7، ص119.

134 WWW.AZHAR.EG/M-ALAZHAR/KIBAR-ALOLAMAA

135 هيئة كبار العلماء السعودية، داعش دسيسة على الإسلام صنعتها أيد خفية، (الرياض، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، 15 ذو الحجة 1436 هـ الموافق 29 سبتمبر 2015). واس: HTTP://WWW.WAS.SA/1403388

136 خيتي، عماد الدين، عضو أمناء المجلس الإسلامي السوري، (سوريا، المجلس الإسلامي، HTTP://SY-SIC.COM/?P=1448، 26 مايو،2015).

137 حوى، أحمد سعيد، لقاء مع قناة حلب اليوم، 2017/04/12، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/،

138لقاء مع قناة حلب اليوم، 2015/03/03، https://www.youtube.com،

139 نُشر يوم الجمعة، 05 يونيو 2015. HTTPS://ARABIC.CNN.COM/MIDDLEEAST/2015/06/05/ .

140 عاصم طاهر البرقاوي، المعروف بأبي محمد المقدسي، أحد أبرز الوجوه الدينية السلفية والمنظّر والمرجع الروحي للعديد من الجماعات الجهادية المسلحة، له كثير من الكتب والمؤلفات تعتبر أهم المراجع لدي التنظيمات الجهادية جميعا.

141 أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن ([د.م]، نخبة الفكر، 2014م). ص7.

142الفلسطيني، أبو قتادة، حكم إعانة التحالف الدولي على قتال داعش والتنسيق معه، 10،06،2016 https://www.youtube.com.

143 أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن ([د.م]، نخبة الفكر، 2014م). ص3.

144 لخطيب، معتز، تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص10.

145ينظر: المقدسي، أبي محمد، "الزرقاوي: مناصرة ومناصحة"، جُمادى الثاني، 1425هـ، سجن قفقفا. HTTP://WWW.TAWHED.

146 ينظر: أبا قتادة الفلسطيني، في حوار معه بعنوان: "أبو قتادة: لم أخرج بصفقة وتنظيم الدولة زائل"، حاوره محمد النجار، الجزيرة نت، بتاريخ 12 نوفمبر 2014. HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/NEWS/ARABIC/2014/11/12

147 ينظر: تصريح العدناني بعنوان: "ما كان هذا منهجنا ولن يكون" بتاريخ 17 إبريل/نيسان2014، وتصريح الظواهري بتاريخ 2 مايو/أيار 2014، ثم تصريح العدناني بعنوان: "عذرًا أمير القاعدة"، بتاريخ 11 مايو/أيار 2014.

148 الخطيب، معتز، تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص11.

149 ينظر: HTTP://ARABIC.CNN.COM. الثلاثاء، 19 أغسطس.

150 عبد الحكيم، عمر السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (الكتاب متوفر على الانترنت، نظرا لعدم فسحه إعلاميا، ط1). ج1، 858.

151 أخرجه الحاكم، المستدرك، (مرجع سابق)، كتاب قتال أهل البغي، رقم: (2656)

152 أخذه من قول أبي تمام حين قال له أبو سعيد الضرير لم لا تقول ما يفهم فقال يا ابا سعيد لم لا تفهم ما يقال. يقول كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر طبع صاحبها وعلمه؛ يعني أن الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه. وكل أحد على قدر علمه وطبعه، يعلم ما يسمع، وإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه، ولم يقف عليه. ينظر: شرح ديوان المتنبي، لأبي الحسن النيسابوري.

153 الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام بن عاشور، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2002)، ج3، ص351.

154ينظر في ذلك لفتاوى هيئة كبار علماء الأزهر، (WWW.AZHAR.EG)، وهيئة كبار العلماء في السعودية، (HTTPS://WWW.ASSAKINA.COM/FATWA)، وهيئة علماء المسلمين في الشام، (HTTP://WWW.ROCHAM.ORG).

155 عبد الحكيم، عمر أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (مرجع سابق)، ج1، 841.

156 اخرجه أحمد في المسند، رقم: (12886).

157 الهاشمي، هشام، عالم داعش، من النشأة إلى إعلان الخلافة، (مرجع سابق)، ص169.

158 عبد الحكيم، عمر أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (مرجع سابق)، ج1، 859.

159 الهاشمي، هشام، عالم داعش، من النشأة إلى إعلان الخلافة، ص264.

160 ينظر: عبد العال، محمد عبد المجيد، الجماعة السلفية المحتسبة، (المكتب العربي للمعارف، ط1، 2018). ص124.

161 أخرجه البخاري، باب: قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾، رقم: (3344)، ومسلم، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (1064)

162 الهاشمي، هشام عالم داعش، من النشأة حتى إعلان الخلافة، (مرجع سابق)، ص264.

163 ينظر: نسيرة، هاني، من بوعزيزي إلي داعش، إخفاقات الوعي والربيع العربي، (القاهرة: مركز الأهرام للنشر: 2005)

164 هي التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته أو كما هي لدى الإغريق الجمود الفكري. وهي التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك. يعود أصل الكلمة إلى اليونانية Δ'ΟΓΜΑ والتي تعني "الرأي" أو "المعتقد الأوحد". انظر: HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG.

165 ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (ج12، ص501).

166 أبو محمد العدناني المتحدث باسم (داعش) في كلمته (الآنَ جَاءَ القِتَال) صفر 1433 هـ – 01 / 2012م:

167 العدناني، أبو محمد، السلمية دين من، (مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، موقع الملاحم والفتن، 31 أغسطس، 2013).

168 القومية: هي صلة اجتماعيَّة عاطفيّة تنْشأ من الاشتراك في الوطن واللغة ووحدة التاريخ والأهداف. وهي: مبدأ سياسيّ اجتماعيّ يُفضِّل معه صاحبه كلّ ما يتعلّق بأمّته على سواه ممّا يتعلّق بغيرها، أو هي الاعتقادُ السَّائد لدى الشَّعب في أنّه يشكّل جماعة متميّزة ذات سمات خاصَّة تميّزه عن الآخرين، مع توفّر الرَّغبة في حماية هذا التَّميُّز والارتقاء به ضمن حكومة ذاتيّة. (ينظر معجم المعاني) WWW.ALMAANY.COM

169 بمفهوم الوطنيّة هو الارتباط والالتزام لأمّة معيّنة، أو دولة، أو مجتمع، وغالباً ما يعتبر مفهوم القوميّة الذي يعبّر عن الولاء للأمّة مرادفاً لمفهوم الوطنيّة الذي يعني لغةً حب الوطن، إلّا أنّ مفهوم الوطنيّة قد نشأ قبل ظهور مفهوم القوميّة (ينظر: موقع موضوع). MAWDOO3.COM

170 يعتقد البعض أنّ كلمة العلمانيّة مأخوذة من كلمة العِلم SCIENCE ولكن في حقيقة الأمر أنّ العلمانيّة بعيدةٌ كليًّا عن العِلم؛ فالعلمانيّة عبارةٌ عن أحد أشكال الفلسفات التي وُلدت في كنف الحضارة الغربيّة وتأثّرت بالنَّصرانيّة فقد كان ظُهورها الأول سنة 1789م في فرنسا، ومن ثم انتشرت لتعمّ القارّة الأوروبيّة وبقيّة العالم. العلمانيّة SECULARISM هو اتجاهٌ فلسفيٌّ للحياة يعمل على مبدأ إقامة دعائم الحياة اليوميّة بعيدًا عن الدِّين ومبادئه وتعاليمه، ويكتفي بالاعتماد على العقل والعِلم البشريّ الذي توصّل له الإنسان عبر الزَّمن؛ لذلك هناك من عرّف العلمانيّة بأنّها الدُّنيويّة أو اللَّادينيّة حيث إنّها تقوم على إقصاء الدِّين من حياة النَّاس لتحلّ محلَّها القوانين الوضعيّة. (ينظر: العلمانية للحوالي)

171 الاشتراكية والشيوعية: هي عبارةٌ عن حركةٍ سياسيّةٍ تهدفُ إلى المُساواةِ بين الأفراد في المُجتمعِ الواحد؛ بحيثِ لا يكونَ أيّ فردٍ أفضلُ مِنَ الآخر، فالمُجتمعُ يجمعُ بين أفرادِهِ تحت مِظلّةٍ واحدة. وتُعرفُ الشيوعيّة أيضاً بأنّها مذهبٌ فكريٌّ يسعى إلى تقديمِ المادّة على كل شيءٍ في الحياة، فهو يرفضُ التقيّدَ بالقواعد الدينيّة والاجتماعيّة التي تنظمُ المجتمع، بل يعتمدُ على الاهتمامِ بدور المادّة في إنتاج المجتمع، والفكر الإنسانيّ الخاصّ بالنّاس. (ينظر: الإسلام المناهج الاشتراكية، الغزالي)

172 يقول هدارة: إن «اصطلاح «التغريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم "WESTERNYATION"، وكانوا يعنُون به نشْر الحضارة الغربية في البلاد الأسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القُوى المضادَّة التي تحفظ لهذه البلاد كِيانَها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمّها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضمانٌ لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحرُّرها من نَيْر الاستعمار الغربي ظاهريًا" (محمد مصطفي هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة الأدب الإسلامي، ج.1، ع.2، 1994، ص8).

173 ينظر: صحيفة الشرق الأوسط: حلقات من كتاب: (من بوعزيزي إلى داعش)، الاثنين –02 فبراير 2015، العدد [13215].

174التوبة، غازي، دور داعش وملالي إيران في تدمير الربيع العربي، بتصرف، آخر تحديث: 26/8/2015 HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24

175أبو الفضل، خالد، المصدر: أستراليان برودكاستينغ كوربريشن (هيئة الإذاعة الأسترالية). 25 إبريل 2015، HTTP://WWW.NOONPOST.ORG/CONTENT/6398

176 المرجع السابق.

177 أبو رمان، محمد، سرّ الجاذبية: الدعاية والتجنيد لدى داعش، (عمان: مؤسسة فريدريش، 2014). ص9.

178شرف الدين، يوزور جمهر، لماذا تخلت إيران عن المالكي في النهاية، موقع بي بي سي العربي، 13 أغسطس2014، على الرابط: HTTP://WWW.BBC.CO.UK/ARABIC/MIDDLEEAST/2014/08/140813_IRAN_LET_MALIKI_GO.

179 أبو رمان، محمد، مستقبل الحرب على تنظيم الدولة، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر، 2014). ص76.

180 ينظر: تقرير "أوباما ينتقد المالكي ويرسل 300 خبير عسكري للعراق، (صحيفة العربي الجديد، 19 يونيو/حزيران 2014).

181 أبو رمان، محمد، سرّ الجاذبية: الدعاية والتجنيد لدى داعش، (عمان: مؤسسة فريدريش، 2014)، ص78. بتصرف

182 المرجع السابق. بتصرف

183 التوبة، غازي، مشروع ملالي إيران، الأبعاد والنتائج، (قطر، الجزيرة، مقالات وجهات نظر، الموافق 6/6/1436 هـ).

184 التوبة، غازي، دور داعش وملالي إيران في تدمير الربيع العربي، آخر تحديث: 26/8/2015 الساعة 17:25 (مكة المكرمة) الموافق 12/11/1436 هـ HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24

185 ينظر: الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 2009). ص9. بتصرف.

186 المرجع السابق، ص7، بتصرف.

187 الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (القاهرة، دار المحدثين، ط1، 2011). ص91.

188 المرجع السابق.

189 الصادق، ماذا تعرف عن الحوثية، (مرجع سابق)، ص19.

190 HTTPS://AAWSAT.COM/HOME/ARTICLE

191 الصادق، ماذا تعرف عن الحوثية، (مرجع سابق).

192 ينظر: وثائق ويكيليكس، موقع: HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI

193 سنوضح ذلك عند الكلام على الحوثية وترابطهم مع إيران في المطلب الثاني.

194 يحيى، ناصر، مواقف زيدية ضد الحوثي، 1 أبريل 2013م، HTTP://ALMASDARONLINE.COM/ARTICLE/43630

195 HTTP://YEMEN-PRESS.COM/NEWS66195.HTML. الخميس، 21 يناير، 2016.

196 انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (الهند مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، (ج3، ص386).

197 ينظر: أصول الكافي: 463/2، نقلا عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، (ص65)

198 ابن تيمية، منهاج السنة، ت محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986 م) ج1 ص106.

199 الكاظمي، منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ج1ص98، نقلا عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، الشلهوب، (ص65).

200 يقول المفيد: (اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصوار وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار) [أوائل المقالات: ص16] نقلا عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، (ص65).

201 المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، البغدادي، المعروف بالمفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، (ص 39).

202 كسروي، أحمد، التشيع والشيعة، تحقيق: ناصر القفاري وسلمان العودة، ط1، 1409 هـ -1988. ص 42.

203 المقبلي، صالح بن مهدي، العلم الشامخ في إثار الحق على الآباء والمشايخ، (مصر، ط1، 1328 هـ، ص 326.

204 المرجع السابق، (ص 88).

205 المرتضى، أحمد بن يحي، البحر الزخار، الجامع لمذاهب علماء الأمصار، (اليمن، دار الحكمة اليمنية، ط1، 1986)، ص 96. وابن عباد، الصاحب، نصرة مذاهب الزيدية، ت: ناجي حسن، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1986) ص 164.

206 انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري: (ص 67) ط. ريتر، والفرق بين الفرق، الإسفراييني: (ص 30).

207 ينظر: رجال الكشي: (ص 199)، وبحار الأنوار: (179/72).

208 الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (ص 24).

209 القفاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثية، مرجع سابق.

210 القفاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثية، مجلة البيان، العقيدة والشريعة؛ 2015/10/6، العدد: (337)

211 الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (مرجع سابق). ص70.
212 الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (مرجع سابق). ص79.
213 الأكوع، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط3، 2007). ص591.
214 الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 2009). ص7.
215 الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (مرجع سابق). ص8.
216 المرجع السابق. ص8.
217 المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ت: إبراهيم، محمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2007). ج9، ص87.
218 المؤيد، يحيى بن حمزة، مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، (اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط1، 1983)، ص143.
219 المؤيد، يحيى بن حمزة، المعالم الدينية في العقائد التاريخية، (بيروت، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1988). ص77.
220 الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977)، ج1، ص (25).
221 الأكوع، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (مرجع سابق). ص12.
222 مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (مرجع سابق). ص59.
223 الهادي، يحي بن الحسين، الأحكام في الحلال والحرام، ت: زيد المحطوري، (صنعاء، مكتبة بدر للطباعة، ط1، 2013). ص36.
224 الحوثي، حسين، ملزمة آيات من سورة المائدة، درس١، ص ١٥. ألقاها بتاريخ: 13/ 2002/1، اليمن – صعدة، http://www.aflakmohammed.net/?p=5028، 09 نوفمبر 2017.
225 الصوفي، فيصل، من هم الحوثيون في اليمن: تقرير منشور بموقع "مايو نيو " بتاريخ 2 مارس سنة 2007.
226 صلاح، علي: لحظات حرجة في تاريخ اليمن، مقال منشور بموقع " مفكرة الإسلام " 14-8-2009.
227 الشريف، محمد موسى، جماعة الحوثيين، عقيدة فاسدة وتاريخ أسود، (موقع الدكتور محمد موسى الشريف، 31 JAN 2016).
228 ينظر: الصادق، على، ماذا تعرف عن الحوثية، (لا يوجد معلومات نشر سوى، ط1، 2012).
229 ينظر صورة الفتوى، صحيفة الوطن العدنية فتوى بعام 2006م للهالك "بدر الدين الحوثي" الزعيم الروحي لجماعة الحوثي بأن المتعة الجماعية بالزينبيات حلال مبارك "وثيقة"HTTP://ALWATTAN.NET/NEWS/3328 .
230 السلفي، عادل، جماعة الحوثي، (منديات كل السلفيين، 2012/10/14)، HTTP://WWW.KULALSALAFIYEEN.COM/VB/SHOWTHREAD.PHP?T=42396
231 جميح، محمد، ثعابين اليمن، المكايدة، وصعود الحوثي، (الخليج الجديد، 15-06-2017)، HTTP://THENEWKHALIJ.ORG/AR/NODE/71387
232 المرجع السابق.
233 المرجع السابق.
234 الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (مرجع سابق). ص80.
235 المرجع السابق. ص80.
236 الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (مرجع سابق). ص66.
237 المرجع السابق. ص82.
238 المرجع السابق.
239 العدد 9522 الثلاثاء 5 مايو 2015 الموافق 16 رجب 1436 دولي الأيام، HTTP://WWW.ALAYAM.COM
240 الأكوع، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (مرجع سابق). ص83.
241 ينظر: إيران ترسل سفينة مساعدات إلى اليمن، (HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/NEWS/ARABIC/2015/5/11.
242 الأحمدي، عادل، الزهر والحجر؛ التمرد الشيعي في اليمن، ص85.

الخاتمة:

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث المتواضع، والذي قد أبحرنا فيه بذكر بعض المسائل والقضايا، والتي بدأت بمسألة الإيمان والتي هي من المباحث المهمة التي وقع فيها النزاع بين أهل ألسنة وبين المخالفين، وليتضح أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين الغلو والجفاة، ومن تدبر هذه المفاهيم، اتضح له ما فيها من الاشتباه والالتباس، وتبين له أن منهج أهل السنة والجماعة هو الجوهر الأصيل المستمد من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وهو الفهم الذي استنبطه أكابر النُظَّار من العلماء والمحررين في هذه المسألة، التي حار فيها البعض، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

كما أنخنا المطايا بالكلام على مسألة الأفكار المنحرفة، وما يترتب عليها عند اهل السنة والجماعة، وأن الأصل فيها أنها غيبية، لا يتدخل العقل في استحداث مصدر لها، وإنما نتلقاها من مصدري التشريع، وهما القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وبمجرد ان يتدخل العقل في الاسترسال في الحكم على هذه المغيبات يكون بداية الضلال والتيه عن الطريق المستقيم. وأن الخوض والبحث في هذه المسألة على غير طريق الوحيين؛ يعدّ من فضول العلم، إلا إذا خُشي من عدم المعرفة، أو أثيرت شبهة، أو أن يُعتقد في الله نقصاً، فعندها يجب التحقيق في ذلك والدفاع بالعلم والحجة، وهذا ما نراه اليوم واقعا.

وتعانق الكلام عند قضية الثورات الربيعية، والأسباب التي أدت لقيامها، وقد جاءت تلك الأسباب في محاور عدة، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو اجتماعي، وجاء تحت كل محور من تلك المحاور عدة أسباب، كانت متشابهة في جميع دول الربيع العربي. وبيان أن الأهم في تلك الثورات هو استيقاظ الشعوب، ونفض غبار الذل والخوف من الأنظمة الدكتاتورية، وأنهم هم من يلعب الدور الأهم في تغيير الخارطة. ولكن الواقع الذي حلّ بالدول الربيعية بعد مضي سبع سنوات أضحى مؤلما؛ لما حل بها من دمار وارتفاع نسبة البطالة، وزيادة الهجرة والفقر وغير ذلك من المآسي، غير أن كان لهذه الثورات بعض المحاسن والتي من أهمها المآل الذي آلت إليه الأنظمة التي سقطت تحت تأثير الثورات، والتي تربعت عليه لعدة عقود، غير أنها لا زالت تحاول استعادة العرش البائد عن طريق أذناب تلك الأنظمة من الداخل والخارج، فتارة تخرج بوجه جديد تهدف من خلاله إلى إفشال تلك الثورات، بصناعة تحالفات ظاهرها فيه البراءة وباطنها فيه الإجرام والدمار، فنرى أن تلك الأنظمة قد صنعت تحالفاً مع جزء من ركائز الثورة، ممن يرفع شعار التسامح، في تناسٍ تام لما فعلته تلك الأنظمة؛ للقضاء على الجزء الآخر منها. والبعض قد أساء

إلى بلاده بعقد تحالفات مع جماعات أساءت للوطن والمواطن مثل التحالف الذي تم بين على عبد الله صالح مع الجماعة الحوثية الرافضية.

ورأينا جليا أن الدول العظمى التي تدعي السلام والديمقراطية، ما هي إلا داعم للفساد، حارس للأنظمة الدكتاتورية، وأنها في المقام الأول والأخير تسعى للحفاظ على مصالحها تحت أي ستار كان، إلا أنها لم ترضى بالستار القائم على المنظومة الإسلامية، وما أدل على ذلك من تجاهلهم التام لما يقوم به الروافض في اليمن والعراق وسوريا. ولم يكن الغاية من ذلك هو القيام بإصدار الحكم حول مشروعيتها من عدمها، لأن هذا الموضوع قد نوقش كثيراً، ولكن الغاية هي عدم النظر إليها من جهة واحدة، بحيث نأخذ بأدلة وأقوال للعلماء من جهة، ونهمل أدلة وإجماع علماء من جهة أخرى، وأن أهل السنة وسط في ذلك بين حجية الإفراط، وحجية التفريط، فيما يتعلق بالخروج على الحاكم.

ثم خالجنا الشعور بضرورة الإشارة إلى بعض النتائج الغير متوقعة بعد هيجان الشارع العربي، وهو الهيمنة الإيرانية التي تسلطت على كثير من الدول الربيعية، مستغلة التباكي على آل البيت لكسب الدعم الشعبي الإسلامي، حتى إن الناظر ليرى أن إيران أصبحت هي المستفيد الحقيقي من تلكم الثورات، في ظل النزاع الحاد الجاثم على التيارات السنية، التي أتاحت المجال للمد الرافضي المجوسي، وما حال (الحوثية) بغائب عن أنظارنا. كما أشرت إلى حقيقة التيار الموسوم بـ (داعش) الذي يحمل فكر الخوارج في القتل والتكفير، والتنكيل بالمخالف.

وختاما جاء الكلام عن الصراع والعقدي وسنة التدافع، ومدى التآمر الذي يعاني منه أهل الإسلام بوصم صبغة الإرهاب عليهم، وأنه قد أصبح لصيقاً بالمسلمين، مع التغاضي التام للحملات الإرهابية التي يقوم بها غير المسلمين تجاههم، أو حتى تجاه بعضهم البعض، مع الإشارة المهمة على حقيقة الإرهاب ومن هو الإرهابي؟ في ظل الحملة المشددة على الغلو والتطرف. ووقفت في الدراسة على مسألة التآمرات، وأوضحت كيف يتم التعامل مع هذه المسالة، وأشرت إلى أنَّ التوسع المبالغ فيه حول (نظرية المؤامرة)، وإلقاء الملامة عليها في كل شاردة وواردة تصاب بها الأمَّة المسلمة، يعدّ تهميشاً للواقع الذي تمر به الأمة من الداخل، وتعتبر رؤية أحادية مخالفة للتفكير الموضوعي، وتسطيحاً للأمور العلمية.

وفي نهاية المطاف...

لا شك أن لكل بداية نهاية، وخير الكلام ما قل ودل، وخير العمل ما حسن آخره...
كاد الحبر أن يجفّ ...، وشارف الورق على النفاد ...

وها هي سفينتنا تصل بنا إلى نهاية رحلتنا الجميلة، وقد تلاطمت بها الرياح لعامين متتابعين، لنصل في نهاية المطاف بعون الله إلى مبتغانا ...

وقد كانت رحلة ممزوجة بالجهد والمتعة، يغمرها الحرص بين إسراء العقل للارتقاء والمعرفة، ومعراج الفكر للعطاء والبذل ...

حملتُ فيها معي أسمى معاني الحب والإخاء، من أساتذة كرام، واخوة كالشموع أضاءوا لي الطريق؛ مشورة، وتوجيها، ونصيحة ...

وفي نقطة الختام لا أقول إلا أن هذا هو جهد المقل ولا أدعي فيه الكمال، وكل عذري أني قد بذلت قصارى جهدي فيه، وقد استعرضت فيه فكري، وحاورت فيه رأيي، وأحسب أني قد وفقت فيما أدليت به، وتحسست التعبير عنه...

كما أتمنى أن أكون قد وفقت في دراستي، وأتيت فيها بكل ما هو مفيد من غير تطويل ممل، ولا تقصير مخل، ولعل من المناسب الاستشهاد بقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني: "إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر[1]".

كما أذكر نفسي واخواني بقول الله تعالى:﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف: 110]، ولا شك أن هذا العمل هو جهد بشري قد يعتريه النقص، والخطأ، فإن كنت أخطأت فلا يسعني إلا أن ألتمس المعذرة من أساتذتي وقرائي، وإن كنت قد أصبت وهذا ما أرجوه فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو حسبي وعليه اتكالي ومنه أستمد العون، وأطلب التوفيق.

---

1 هذه المقولة اشتهرت عن العماد الأصفهاني، والصحيح أن قائلها هو القاضي الفاضل، قالها وهو يعتذر إلي العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه. ينظر: مصطفى الراقي، موقع الألوكة: 2010/7/29م. HTTP://MAJLES.ALUKAH.NET/T62279/.

النتائج:

- لابد أن تعي الأمة أنه قبل أن تحرص على بناء دستور حديث، أن تحرص على بناء الشباب الصالح الذي يؤمن أن الإسلام دين شمولي متكامل صالح لكل زمان ومكان، وضرورة أن تعي الجماعات المنتسبة لأهل السنة، شمولية الإسلام واقعاً عملياً؛ وليس ادّعاء. لحصرهم الإسلام في زاوية واحدة كما يريدوا.
- استطاع شباب الثورات أن يجعلوا من هذه الثورات قضية أجبرت العالم كله إلى الالتفات إليها، ورأينا ما خلفته الثورات من رسالة بالغة الوضوح تحثُّ الأنظمة العربية على المبادرة الفورية للإصلاحات.
- الطوائف المنحرفة من الخوارج العصريين (داعش)، والرافضة العصريين (الحوثية)، لم ترد لذلك المنهج الرائع الذي صاغة شباب الثورة من الانسجام بين جميع طبقات الشعوب، وجعلت تلك الثورات تسير بغير فوضوية. ولكن تلك التيارات المنحرفة أبت إلا الفوضوية.
- كل حر يريد التحرر من صنم الديكتاتورية، ولذا كانت تلك الثورات مطلب، ولهذا استطاعت الشعوب أن تكسر ذلك الصنم بإصرار وتمكنت من تغيره. ولذا كانت الأسباب متشابهة بين تلك الدول.
- الثورات العربية كانت ستنجح جميعها، ولكن الذي ساعد في مراوغتها؛ لعبة الأمم المتحدة التي وقفت عثرة في طريق التغيير. لكن الثورة كفكرة ومحو لأنظمة الاستبداد لم تفشل ومازالت مستمرة، وكإرادة تحول وبرنامج تغييري، فإنها بحاجة الى مراجعة وتحليل، وتقييم متجرد؛ لتفادي الأخطاء. والذي يظن أن الثورات لم تحقق أهدافها، ينبغي عليه ألا يخلط بين (قيام الثورة، وقيام الدولة).
- هناك مسؤولية مشتركة (عربية وغربية) عن صنع (داعش) وغيرها من التنظيمات المتشددة، كأبرز صانعي العنف والإجرام والمتوحش، في اللحظة السياسية والتاريخية الراهنة. وتأتي المسؤولية بالدرجة الأولى على الحكومات التسلطية، التي تسببت إلى حد كبير في تفشي ظاهرة العنف في نفوس الشباب الغيور جراء الأعمال التعسفية والقمعية التي تمارسها على الشباب المتدين لأدنى شبهة، والزج بهم في المعتقلات.
- حضر إلى ساحات الربيع العربي ائتلافات وأحزاب متشعبة كان الغالب على البعض منهم عدم الترابط والوئام، ولكن مع تداعيات الحدث تكونت تلك الائتلافات وترابطت. على اختلاف في المقاصد للوصول إلى السلطة عبر الطريقة التي تراها صوابا، مستغلة الادلة الشرعية على تحريض الشعوب؛ والمطالبة بالخروج على الحكام، والعكس بالعكس. وأن ما يطلق عليه تجوزا الإسلام السياسي يرى الوسيلة لمحاربة الفساد وإزاحة الحكام بالطرق الديمقراطية، أما التيارات الجهادية ترى أن تلك الوسائل غير مناسبة فسلكوا طريقاً مغايراً؛ برفع السلاح في سبيل تغيير الحكم. أما التيار الثالث فقد

دافع عن الحكام واعتبر ذلك خروجا، وأنه يخالف الشريعة، وعلى المسلمين السمع والطاعة، ووصفوا كلا الفريقين بخوارج العصر.

- التيارات المنحرفة فكريا، تعتبر من الأمراض الخطيرة التي انتشرت وفتّت في جسد الأمة الإسلامية، وعندما يهمل المرض ولم يعالج العلاج اللازم تكون النتيجة عكسية، ويتسبب في آثار يطول علاجها، وهذا ما كان واضحا من تياري داعش والحوثية
- الربيع العربي قد لعب دوراً كبيراً في إنعاش تلك الأفكار المنحرفة التي لم تكن لتتمكن لولا أن الفرصة كانت مواتية لها مع الثورات. ولهذا ظُلمت الثورات من أولئك الذين تسلقوا على أكتافها.
- ربط الجماعات الحديثة بماضيها كي يتسنى لمن لم يكن يدرك ذلك ممن انتسب لفرقة ما؛ معرفة الأصل الذي تحدرت منه تلك الفرق فـ (داعش) هم من وافق الخوارج في العصر الحديث، وهو تنظيم مسلَّح كان في بداية أمره ينتهج الأفكار السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه؛ إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، كما يزعمون، لكنه واقعا نراه قد سفك الدماء واستباح الأموال، وغير ذلك من الممارسات التي تعتبر مخالفة لمقاصد الشريعة. و(الحوثية)، هم شيعة المعتقد والطريقة بلا نزاع، ورأينا بطلان دعواهم الزيدية، وإن ما نراه من الحوثيين في اليمن خير شاهد على انتماءهم إلى الرافضة، وذكر مدى الترابط بينها وبين دولة الكيان الفارسي المجوسي الشيعي(إيران).
- الأمة العربية لا زالت أضحوكة بين يدي أعدائها، ولا زال عدوها يتلاعب بها كيف شاء، فتارة بالتحريش بين المسلمين، وتارة بالشهوات واللهو، وتارة بالشبهات الفكرية. وأن الخلاف الطارئ على الأمة لا يخلوا من حالات: إما بسبب شبهة طغت على نفس صاحبها. أو بسبب التأثر بأصحاب الديانات الفلسفية. أو بسبب أصحاب الهوى؛ الطامعين في الملك والزعامة.
- الأثر البالغ من التيارات المنحرفة على المجتمع الدولي، والذي كان لظهور تلك التيارات بمثابة إعطاء الضوء الأخضر للدول الكبرى لمحاربة الإسلام وهو ما أشرنا إليه بـ: (صراع الحضارات والأديان). وأن المشهد الأمريكي على المسرح الإسلامي: متضمن؛ استمرار المهازل. وأما سيناريو (الموت لأمريكا)، فهو ضحك بعض المسلمين؛ كون شعار الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل اقعياً يثبت أمناً وسلاماً لأمريكا وإسرائيل، وعداوة لأهل السنة.

التوصيات:

أولا: ما يتعلق بالفرد المسلم.

- الحرص على مصدر التلقي، فيما يتعلق بأمور دينه، فلا ننعق بكل ما شرّعه الغرب، من قول هذا إرهابي، أو غير ذلك من الألفاظ التي انتشرت.
- هناك مسئولية عظيمة على كل فرد من أفراد المسلمين؛ وهي الدب عن بيضة الإسلام، من كل فكر دخيل منحرف، بالتصدي له، وبيان خطره على المجتمع؛ لذا كان على كل فرد أن يدرك أن الدين ميراث سيد المرسلين، وهو أمانة في عنقه، فيحرص على هذه الميراث، وأداء الأمانة حق أداء.

ثانيا: ما يتعلق بالمجتمع المسلم.

- إنشاء مراكز تعنى بالحوار الفكري، تتسم بالحيادية، ولا تتبع للجهات الأمنية.
- تفعيل دور رابطة علماء المسلمين تفعيلا جاداً، بحيث تصبح سلطة تنفيذية، وصانعة قرار، وتكون بحق هي المرجعية الشرعية لجميع المسلمين. كما عليهم أن يسعوا لجمع كلمة المسلمين، لا لتفريقها تماشيا مع سياسات الدول. وأن يؤدوا المسئولية التي عليهم لمرضات الله، لا ابتغاء مرضات السلطان.
- على ولاة أمر المسلمين أن يتعاملوا مع التيارات المنحرفة تعاملا إنسانيا، واحتوائهم قدر الإمكان، فهؤلاء الشباب هم كنز المستقبل للأمة الإسلامية، لا كما نسمع من بعض العلماء هداهم الله، من التحريض على القتل والحبس والتنكيل.

ثالثا: ما يتعلق بالمجتمع العالمي (الدولي).

- لا يصح التعامل مع الحوادث بميزانين، فما كان ضد المسلمين، أخذ صوتا عاليا، وما كان على غير المسلمين يُتعامل معه ببرود شديد، وكأن شيئا لم يكن.
- إذا ليس لديه النية الصادقة للوقوف بجانب الشعوب المسلمة، فلا يكن عثرة في نهضتها وصلاحها.
- على المجتمع الدولي أن يبتعد عن المحاولات التي يقوم بها للنيل من الإسلام، والتي لا شك أن مآلها الفشل، لذا عليه أن يحاول التعامل مع المسلمين كأمة عظيمة لها كيانها.

وأخيرا أوصي بأن تستكمل هذه الرسالة؛ بتخصيص كل تيار، وعلاقته بفوضوية الثورات، وتغيير مسارها؛ بعد أن كادت ستكون أملا للشعوب، كما أوصي بتخصيص دراسة مستقلة حول المهازل الدائرة على الأمة الإسلامية والتآمر عليها من قبل أعدائها. وتدعيم موضوع صراح الحضارات والعقائد.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.
ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997).
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997).
ابن الملقن، سرج الدين الشافعي، المعين على تفهم الأربعين، ت: دغش العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط1، 2012).
ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم، ت: الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1994).
ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إيثار الحق على الخلق، (بيروت، دار الكتب العليمة، 1987).
بن باز، ووجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، (السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ط5، 1409هـ).
ابن بطة، عبد الله بن محمد، الإبانة الكبرى، ت: رضا بن نعسان، (الرياض، دار الراية، للنشر، ط2، 1994).
ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، ت: عبد الله السهلي، (دار المنهاج للنشر، الرياض، ط1، 1426).
ابن تيمية، الصارم المسلول، تحقيق محمد محي الدين، (السعودية، الحرس الوطني)، ج1، ص524).
ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام بن سعود، ط2، 1991).
ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة، (المدينة، مجمع الملك فهد، ط1، 1995).
ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986).
ابن حبان محمد، صحيح ابن حبان، ت: الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988).
ابن خلدون، المقدمة، (دمشق، دار البلخي، ط1)، (ج1، ص 480).
ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (مطبعة عالم الكتب، ط2، 1987).
ابن عباد، الصاحب، نصرة مذاهب الزيدية، ت: ناجي حسن، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1986)
ابن عبد البر، التمهيد، ت: مصطفى العلوي والبكري، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ).
ابن عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1991).
ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت: التركي، (السعودية، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1997).
ابن ماجة، أبو عبد لله محمد بن يزيد، السنن، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009).
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، الناشر: دار صادر، ط3، 1414 هـ).
ابو خصاص، محمد كريم، دراسة ترصد تشاؤم الأمريكيين من تحولات «الربيع العربي»، جريدة التجديد 24 اكتوبر 2012.
أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، ت: الأرناؤوط، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009).
أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996).
أبو زيد، بكر، درء الفتنة عن أهل السنة، (الرياض، دار العاصمة، ط2، 1419هـ).
أبو غضة، زكي السيد، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، (مصر، دار الوفاء، ط1، 1423هـ).
أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن ([د.م]، نخبة الفكر، 2014م).
الأحمدي، عادل، الزهر والحجر؛ التمرد الشيعي في اليمن، (اليمن، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، ط1، 2006).

أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، ت: محمد عبده، (بيروت، دار ابن حزم، ط2، 1995).
الازكوي، سرحان سعيد كتاب، كشف الغمة الجامع لأخبار الامة، (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 2013).
الإسفراييني، أبو المظفر طاهر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق، ت: الحوت، (لبنان، عالم الكتب، ط1، 1983).
الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977).
الأسيوطي، شمس الدين، جواهر العقود، تحقيق: مسعد السعدني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996).
الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوقية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397).
الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (لبان، المكتبة العصرية، ط1، 2005).
الأصبهاني، عبد الله بن محمد، أخلاق النبي وآدابه، ت: صالح الونيان، (السعودية، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998).
الأصفهاني، أبو نعيم أحمد، الإمامة والرد على الرافضة، ت: الفقيهي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1994).
الأكوع، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط3، 2007).
آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، رسالة في تحكيم القوانين والوضعية، (مكة، مطابع الثقافة، 1380 هـ).
أل الشيخ، هيا، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، (الرياض، جامعة الملك خالد، المؤتمر الوطني للأمن الفكري، 1430هـ).
الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1985).
الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الرياض، مكتبة المعارف للنشر، 1422هـ-2002).
الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع، (بيروت، المكتب الإسلامي).
الألوسي، غاية الأماني، ت: آل زهوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2001).
الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ت: علي عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ).
بارزي، تريتا، حلف المصالح المشتركة؛ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ت: أمين الأيوبي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008).
البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار البشائر، ط3، 1989).
البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، (الرياض، مكتبة دار القلم والكتاب، ط1، 1996).
برادلي، جون آر، ما بعد الربيع العربي، ت: شيماء عبد الحكيم، (مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013).
برينتن، كرين، تشريح الثورة، ت: سمير الجلبي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2009).
البغدادي، أبو بكر أحمد الخطيب، المتفق والمفترق، (دمشق، دار القادري للطباعة والنشر، ط1،1997).
البيهقي، أبو بكر أحم بن الحسين، السنن الكبرى، ت: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003).
البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ت: عبد العلي حامد، (الرياض، م الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، ط1)

التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، ت: الالباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1985).
الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ت: أحمد شاكر (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1975).
التفتازاني، مسعود عمر، شرح المقاصد، ت: عبد الرحمن عميرة، (بيروت، عالم الكتب، ط2، 1998).
التونسي، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984).
الجبوري، معتز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية العلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016).
الجحني، علي بن فايز، الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، (أبها، جامعة الملك خالد، كلية المعلمين، العدد 12، 1429هـ).
الجزار، عطاء عبد الغني، السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية، (رسالة ماجستير، تخصص الدبلوماسية والعلاقات الدولية، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا بالاشتراك مع جامعة الأقصى، 2015).
جميل عطية، وصلاح عيسى، صك المؤامرة وعد بلفور 2_11_1917، (القاهرة، دار الفتى العربي، ط1، 1991).
الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420هـ).
الجوزية، ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1996).
الجويني أمام الحرمين، أبو المعالي لمع الأدلة، ت: فوقية حسين، (بيروت، دار الكتب، ط2، 1965).
الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد الكوثري، (القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1992).
الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990).
الحامدي، بشير، الحقّ في السّلطة والثّروة، قراءة في مسار ثورة الحرية والكرامة. (تونس، الحوار المتمدن، ط1، سبتمبر 2011،).
حرمل، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، رؤية تحليلية في ضوء فروض نظرية الثورات، (الحوار المتمدن، ع: 4068 – 2013).
حزب العمال التونسي، انتفاضة الخبز 3 جانفي 1984: الوقائع والاستطلاعات، (الحوار المتمدن– ع: 832، 2004/ 5 / 12).
حسن، فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، مجلة أفاق عربية، دورية محكمة (مصر، الهيئة العامة للاستعلامات، ع:1، مارس 2017).
حسين، حامد بن محمد، فتح الله الحميد المجيد، تحقيق: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1، 1996).
الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، (القاهرة، مركز الجزيرة للدراسات).
الحنبلي، ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 2001)،
الحنبلي، ابن رجب، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، ت: طلعت الحلواني، (الفاروق الحديثة، ط2، 2003).
حنفي، حسن، الوحدة الثورية، (لندن، جريدة الزمان الدولية، عدد: 3848، 17 مارس 2011).
الحوالي، سفر، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه، (القاهرة، دار الكلمة، ط1، 1999).
الخزرجي، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العد الثامن، 2016).

الخضري، أنور، ظاهرة التدين الجديد، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 2008).
الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ت: عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417).
الخطيب، أحمد معاذ، حالة الثورة السورية، قدمت هذه الورقة في ندوة "الإسلاميون والثورات العربية. تحديات الانتقال الديمقراطي وإعادة بناء الدولة" بالدوحة: (11 – 12) سبتمبر 2012، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2012).
الخطيب، معتز، "تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر، 2014).
أبي يعلى، القاضي وكتابه مسائل الإيمان، ماجستير مقدمة ج الإسلامية بالمدينة، (الرياض، دار العاصمة، ط1، 1410هـ).
خميس، كريم، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، 2014).
الدارمي، محمد بن حبان، السنن، ت: حسين الداراني، (السعودية، دار المغني، ط1، 2000).
الدارمي، محمد بن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (بيروت، الكتب الثقافية، ط3، 1417 هـ).
الدمشقي، عبد الودود، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مصر، دار السلام للطباعة والنشر ط1، 2010).
الرازي، فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1402).
رايدر، غاي، تكريس وتفعيل الحقوق في مرحلة التحولات: النتائج الإنمائية، (منظمة العفو الدولية، 2013/2/12).
الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي، (بيروت، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، 2009).
رحيمة، عزري، الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، (الجزائر، جامعة محمد خيضر، رسالة ماجستير قسم التاريخ، 2015).
رضا، أحمد، معجم متن اللغة، "موسوعة لغوية حديثة"، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1958).
رفعت، أحمد محمد، والبيطار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، (باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1998).
رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (م شئون عربية، فصلية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد، 145، ربيع 2011).
روجر أوين، الشبان في مواجهة المسنين، (الحياة، 10، آب، 2012).
رين هارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمَّد النعَيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة، من 1979 – 2000.
زايد، احمد، اركيولوجيا الثورة واعادة البعث للطبقة الوسطى، السياسة الدولية، (مصر، مؤسسة الاهرام، ع 42، ابريل2011).
زيد، على محمد، معتزلة اليمن، (بيروت، دار العودة، ط1، 1981).
الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، مؤتمر أمريكا والعالم الإسلامي، المنعقد في الدوحة 10 /2010/02. (بيروت، دار القلم، ط1، 2013).
السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ت: الطناجي والحلو، (السعودية، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ).
سحاب، إلياس، ذاكرة مجزرة صبرا وشاتيلا، 1982، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد: 55، 2003).
السدحان، عبد الله بن ناصر، رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1417هـ).
السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، (السعودية، رابطة العالم الإسلامي).
السقاف، عَلوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET).

سلام، القاسم، الإيمان، ت: الألباني، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000).

سليمان، سهام، الأزمة السورية في ظل تحولات التوازنات الإقليمية والدولية، (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر – غزة، عام 2015).

السماك، محمد، الدين في القرار الأمريكي، (بيروت، دار النفائس، ط1، 1424هـ).

السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد، العلوم، ت: معوض وعبد الموجود، النوتي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993).

السمعاني، أبو المظفر منصور محمد، تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض، دار الوطن، ط1، 1997).

سنغاس، دييتر، الصدام داخل الحضارات، ت: علي مولد، (القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 2008).

السيوطي، جلا الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998).

السيوطي، جلال الدين، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ت: الحويني، (الخبر، دار ابن عفان للنشر، ط1، 1996).

السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1989).

شارب، جين، من الدكتاتورية إلى الحرية، ترجمة: خالد عمر، (بوسطن، USA، ط2، 2003).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، ت، مشهور أل سلمان، (القاهرة، دار ابن عفان، د. ط، 1997).

الشاطبي، الاعْتِصَام، ت: سعد آل حميد، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 2008).

الشجاع، عبد الرحمن، اليمن في صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، ط1، 1987).

الشرجبي، عادل مجاهد، الكتلة التاريخية لثورة الحرية والتغيير في اليمن من التشكل إلى التفكك، (ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013).

الشريف، محمد موسى، جماعة الحوثيين، عقيدة فاسدة وتاريخ أسود، (موقع الدكتور محمد موسى الشريف، 31 JAN 2016).

شلبي، علاء، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ط1، 2014).

الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز، أصول الشيعة الامامية، (المكتبة العربية الكبرى، 1424).

الشمري، صايف، رياح التغيير في العالم العربي؛ الثورة الليبية، (الكويت، مجلس الأمة، إدارة الدراسات والبحوث، أكتوبر/2012).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1992)

الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار، (دار ابن حزم، ط1، د.ت).

الشوكاني، محمد على، نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصبابطي، (مصر، دار الحديث، ط 1413هـ).

الشيباني، ابن أبي عاصم، السنة، ت: الألباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1400).

الشيباني، أحمد بن حنبل، أصول السنة، (الخرج، دار المنار، ط1، 1411هـ).

الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، ت: الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001).

الشيخ، عمرو، ومحمد النوبي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (الجزائر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط2، 2016).

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997).
الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (معلومات النشر غير معلومة تحسبا لأذى الحوثية، ط1، 2010).
صحفيووا رويترز، الأمم المتحدة: عدد قتلى حرب اليمن 10 آلاف على الأقل، (رويترز، 30 آب أغسطس 2016).
صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد 5 ديسمبر 2001م.
صحيفة الشرق الأوسط: حلقات من كتاب: (من بوعزيزي إلى داعش)، الاثنين –02 فبراير 2015، العدد [13215].
صدّيقي، العربي، الابن سرّ أبيه: "الجُمْهوريانيّة السُلالية"، (بيروت، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 نوفمبر 2009).
صلاح، علي: لحظات حرجة في تاريخ اليمن، مقال منشور بموقع " مفكرة الإسلام " 14-8-2009.
الصوفي، فيصل، من هم الحوثيون في اليمن: تقرير منشور بموقع "مايو نيو " بتاريخ 2 مارس سنة 2007.
صيام، عماد، 25 يناير الثورة السلمية لشباب الطبقة الوسطى وتحديات المستقبل، نقلا من دراسة: لربيع العربي، ثورة الخلاص من الاستبداد: دراسة حالات، (مصر، شرق الكتاب، ط1، 2012).
طالب، أحسن مبارك، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، (الرياض، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1426هـ).
الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، (القاهرة، دار الحرمين د.ت).
الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000).
طحان، أحمد، عولمة الإرهاب، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 2004).
الطيب، مولود زيد، علم الاجتماع السياسي، (ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2007).
الظاهري، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت)
عامر، صلاح الدين، قانون التنظيم الدولي، النظرية العامة، (القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1984م).
عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، 28 نوفمبر، 2016).
عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، نقلا من الأمة واقع الإصلاح ومآلات التغيير، تقرير استراتيجي سنوي محكم، يصدر عن مجلة البيان، (الرياض، مجلة البيان، الإصدار التاسع، 1433هـ).
عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، (الرياض، دار طيبة، ط1، 1984م).
عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، إعصار التغيير، (مجلة شئون عربية، دورية تصدر عن الأمانة العامة للدول العربية، 145، أبريل 2011).
العثيمين، محمد، شرح العقيدة الواسطية، ت: سعد الصميل، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط6، 1421 هـ).
عزام، عبدا لله، التآمر العالمي، (بيشاور، مركز الشهيد عزام الإعلامي، *، ط1).
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، (الهند مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ).
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ت: عبد الباقي والخطيب (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ)
العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 2004).
عطوان، عبدالباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (بيروت، دار الساقي، ط1، 2015).

العظيم آبادي، عون المعبود شرح أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415).

علام، مصطفى، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (لندن، مجلة البيان، تقرير (استراتيجي)، محكم يصدر سنويا، 9، 1433هـ).

علق البخاري الجملة الأخيرة، وذكر الحافظ تخريجه كاملا. الفتح (48/1)، وهو في السنة لعبد الله ابن أحمد (98/1).

عواجي، غالب، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، 1978).

العواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (جدة، المكتبة العصرية، ط4، 2001).

العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012).

عوض، طالب، الانتخابات الحرة وفقا للمعايير الدولية، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي (دنيا الوطن، 2016/8/15)

العيد، سليمان بن قاسم، وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، (الرياض، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 4، العدد 28، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ).

عيسى، محمود، التنظيمات الإرهابية في الدول العربية وإجراءات مواجهتها، (م: آفاق عربية، الملف الأمني، ع، 1، مارس 2017).

غ. ماكسيموف، الثورة المضادة والاتحاد السوفيتي، ت: مازن كم الماز، (مجلة الطليعة، المجلد 11، العدد 5، أكتوبر/ نوفمبر، 1935) نقلا من قراءات نظرية، الثورات والسياسية – المفهوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 17 أبريل 2016).

غباري، محمد سلامة، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث؛ العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، (الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط 2، 1989م).

الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط1ن 2005).

الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ت: حمود بيجو، (...، ط1، 1992).

الفارابي، أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987).

فريق الأزمات العربي، –مجموعة من الباحثين–الأزمة الليبية إلى أين؟ (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، مارس / 2017).

فهد، معن، الثورة السورية قصة البداية، (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 22/ 07، 2014).

فودة، سعيد، التحصيل في أصول الدين، مختصر خلاصة ما يرام من فن الكلام، للعلامة محمد الشافعي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009).

فودة، سعيد، الشعار في الاعتقاد، مختصر الاعتقاد للإمام البيهقي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009).

الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005).

القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1996).

القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ت: ديب مستو وأحمد السيد وبديوي ومحمود بزال، (دمشق، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط1، 1996).

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: البردوني، وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964).

القطان، مناع، وجوب تحكيم الشريعة، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1985م)،

القفاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثية، مجلة البيان، العقيدة والشريعة؛ 2015/10/6، العدد: (337)

القفاري، ناصر بن عبد الله، مقال بعنوان من أهل السنة؟ مجلة البيان، العدد: (354)، 01/11/2016.

القفاري، ناصر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، من مقال بعنوان من أهل السنة؟ (مجلة البيان، العدد:354).

القليطي، سعيد، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة السعودية، (جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2007هـ).

كاتالينا مارتن، الثورة اليمنية، نقل الشهداء إلى المقبرة. من تقرير (اليمن: تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة /3 منظمة هود. ديسمبر 2011)؛ التقرير الذي أعدته الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان بالتعاون مع شركاؤها اليمنيون، مركز المعلومات والتأهيل، ومنتدى الشقائق العربي، والمنظمات الأعضاء في الشبكة اليمنية لحقوق الإنسان.

كريم حسن، الربيع العربي، ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013).

كريمة، عدنان، صحيفة الحياة: (لندن، تاريخ النشر: الإثنين، 22 ديسمبر 2014).

كسروي، أحمد، التشيع والشيعة، تحقيق: ناصر القفاري وسلمان العودة، (لم يدون به الناشر، ط1، 1409 هـ -1988

كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كتجر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015) ص126.

كلنتون، هيلاري، مذكرات. ترجمة، ميراي يونس، (بيروت، شركة المطبوعات، ط1، 2015).

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت: علي أكبر، (طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1365هـ).

كوزموس، كاتالينا مارتن، الثورة اليمنية، تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان / مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ط1، 2012).

كيتشلي، نيل، كيف استخدم جنرالات مصر احتجاجات للقيام بانقلاب، (القاهرة، صحيفة العربي الجديد، 4 يوليو 2017).

كيفن كون وللي، الربيع العربي: عشر نتائج غير متوقعة، (مراسل بي بي سي في الشرق الأوسط، القدس، 14ديسمبر 2013).

اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت: الغامدي، (الرياض، دار طيبة، ط8، 2003).

اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية، رقم الفتوى: 20212 وتاريخ 14199/2/7هـ.

اللجنة الدولية النقدية والمالية واللجنة الدولية المعنية بالتنمية، (واشطن، أبريل، 2013).

لوبون، غوستاف، روح الثورات، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط3، 2013).

الماتريدي، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005).

مارك لينش، THE NEW ARAB WARS: UPRISINGS AND ANARCHY IN THE MIDDLE EAST، عرض رغدة البهي، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، دورية متخصصة في الشئون الدولية، 2016/12/18).

المالكي، عبدالحفيظ بن عبد الله، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في موجهة الإرهاب، أطروحة دكتوراه،

الفلسفة في العلوم الأمنية، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006).
الماوردي، أبو الحسن علي، النكت والعيون، ت: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007).
المباركفوري، صفي الدين، تحفة الأحوذي، (بيروت، دار الكتب العلمية، لا يوجد تاريخ نشر)
مترسكي، السكندر، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق (الدوحة، م العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمر،2015).
المجالي، نصر، هل كانت ثورة الخميني أمريكية، (لندن، وكالة إيلاف الإلكترونية، 03 يونيو 2016).
مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء–اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008).
محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، (دمشق، دار القلم، ط1، 1414ه).
محمد، حامد، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، المؤلف، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1 1417ه).
المحمود، محمود، توريث الحكم في بلاد المسلمين، (لبنان، مجلة الوعي، ع، 282–283، السنة 24، رجب وشعبان 1431ه).
المرتضى، أحمد بن يحى، البحر الزخار، الجامع لمذاهب علماء الأمصار، (اليمن، دار الحكمة اليمنية، ط1، 1986).
المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ت: إبراهيم، محمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2007).
معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، (مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط3، 2000).
معنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012).
المقبلي، صالح بن مهدي، العلم الشامخ في إثار الحق على الآباء والمشايخ، (مصر، ط1، 1328 ه).
مكي، يوسف، الربيع العربي: حضور الثورات وغياب الفلسفة، (ملتقى أبن خلدون للعلوم والفلسفة، 2012 -03-23.
المناعي، شمسان، (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، الثلاثاء 02 سبتمبر 2014، العدد[13062].
المنذري، مختصر أبي داود، ت: حلاق، صبحي، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 2010).
منصور، أحمد، توحش روسيا والنظام بعد القصف الأميركي، (صحيفة الوطن القطرية، 10، ابريل، 2017).
منظمة العفو الدولية، تونس في خضم الثورة، (AMNESTY INTERNATIONAL LTD LONDON UK، ط1، 2011).
موسى، إبراهيم محمد، خواطر تربوية، (صنعاء، دار الفكر المعاصر، للنشر والتوزيع، ط1، 2014).
نخبة من الباحثين، بإشراف عبد الوهاب بو حديبة، مختلف جوانب الثقافة العربية، الفرد والمجتمع في الإسلام، مطبوعات اليونسكو، (لبنان، درغام وأولاده، ط2، 2000).
الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان، (السعودية، دار الندوة العالمية، للطباعة والنشر، ط4، 1420ه).
النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الصغرى، ت: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986).
النعماني، بسام عبد القادر، مائة عام على اتفاقية ساسي بيكو، (تونس، مركز جامعة الدول العربية، ط1، 2017).
نعمة، أديب، الدولة الغنائمية والربيع العربي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2014)، صحيفة الوطن، ع4807، 4نوفمبر .2015.
النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392ه).
الهادي، يحي بن الحسين، الأحكام في الحلال والحرام، ت: زيد المحطوري، (صنعاء، مكتبة بدر للطباعة، ط1، 2013).
الهاشمي، هشام، عالم داعش من النشأة إلى إعلان الخلافة، (لندن، دار الحكمة، وبغداد، دار بابل، ط1، 2015).
هالس، غريس، يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، ت: السماك، (القاهرة، دار الشروق، 2000).

هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط3، 1415 هـ).

الهرفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر.. (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004).

الهماش، متعب بن شديد بن محمد، استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، "المفاهيم والتحديات"، (الرياض، جامعة الملك سعود، 22 – 25 جماد الأول، 1430هـ).

هنتنجتون، صامويل "صدام الحضارات"، ت: الشايب، (نيويورك، (نيويورك، سيمون & ششوستر، ط2، 1999).

وحيد عبد المجيد، ثورة 25 يناير: قراءة أولى، (القاهرة: مركز الاهرام للنشر،2011).

الورجلاني، الدليل لأهل العقول، (المطبعة البارونية، 1887).

ولد أباه، السيد، الثورات العربية الجديدة، المسار والمصير، (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، ط1، 2011).

اليوسي، الإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود، مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، تحقيق: د. حميد حماني، (الدار البيضاء، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، ط1، 2000).

FOR DISCUSSION OF CAUSES, SEE FOREIGN POLICY, REVOLUTION IN THE ARAB WORLD, 11 FEBRUARY 2011.

مواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

BENJAMIN R. BARBER UNI NEW YORK، المجتمع المدني، مفتاح نجاح الثورات، HTTP://WWW.DW.COM

أبو الفضل، خالد، المصدر: أستراليان برودكاستينغ كوربريشن (هيئة الإذاعة الأسترالية). HTTP://WWW.NOONPOST.ORG/CONTENT/6398

أحمد، فتحي، سياسة من لم يكن معنا فهو ضدنا، (فلسطين، مجلة دنيا الوطن، 28 أكتوبر 2009). HTTPS://PULPIT.ALWATANVOICE.COM

أليسكو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيان (الألكسو) بمناسبة اليوم العربي لمحو الأمّية 8 يناير 2017. HTTP://ALECSO.ORG/NEWSITE

بشر، هاني، وعي الشعوب ووعي الأنظمة، مجلة عربي 21، HTTPS://ARABI21.COM، الأحد، 10 يونيو 2018

تايلر، ليتا، اليمن، تحقيقات "مذبحة جمعة الكرامة" مخلة ومعيبة للغاية، (هيومن رايتس ووتش، سبتمبر 27، 2012)، HTTPS://WWW.HRW.ORG

التهامي، الولايات المتحدة والغرب يحاربون الإسلام لا الإرهاب، (الخميس 22 يناير،2015)، عن موقع: HTTP://ELBADIL.COM

التوبة، غازي، دور داعش وملالي إيران في تدمير الربيع العربي، HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24

ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، نقلا عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET

جميح، محمد، ثعابين اليمن، المكايدة، وصعود الحوثي، (الخليج الجديد، 15-06-2017)، HTTP://THENEWKHALIJ.ORG/AR/NODE/71387

حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، جريدة المدن الإلكترونية، الخميس 2017/01/12، ALMODON.COM.

الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

الحوالي، تخطيط أعداء الله للقضاء على الصحوة الإسلامية، الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي: HTTP://WWW.ALHAWALI.COM.

الحوثي، حسين، ملزمة آيات من سورة المائدة، درس١، ص ١٥. ألقاها بتاريخ: 13/ 2002/1، اليمن – صعدة، HTTP://WWW.AFLAKMOHAMMED.NET/?P=5028،

الداودي، إبراهيم، دوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

الرميمة، أبو عمر، حقيقة شعار الموت لأمريكا الموت لإسرائيل، 28 سبتمبر 2013م: HTTP://ALBURHAN.COM.

الزاملي، ماجد، ثورات الربيع العربي، الأسباب، الحوار المتمدن العدد: 4105، 2013 / 5 / 27. HTTP://WWW.ALHEWAR.ORG

السيد النجار، الاقتصاد المصري ومعضلة الفقر في عهد مبارك، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2011/10/13 HTTP://STUDIES.ALJAZEERA.NET

شجاع، عادل، الحوثية المحمية من أمريكا، (أبابيل، أنباء يمنية، 6 يونيو 2018).HTTPS://ABABIIL.NET.

الشيوخ، محمد، فلسفة ثورات الربيع العربي وأهدافها، مركز أفاق للدراسات والبحوث، 02/01/2013: AAFAQCENTER.COM

صحيفة غارديان البريطانية: الغرب لن يسمح للثورات العربية بالخروج عن سيطرته، نقلا عن موقع: HTTP://WWW.AMMONNEWS.NET.

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET.

علي، عبد الرحمن، حرب على الإرهاب أم قمع للحريات، (الاشتراكي، إعلام من أجل الثورة، 2013). HTTP://REVSOC.ME/POLITICS/HRB.

الفلسطيني، أبو قتادة، حكم إعانة التحالف الدولي على قتال داعش والتنسيق معه، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=ON4BSXRIZRK،

الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: HTTPS://DAWATALTAJDEED WORDPRESS.COM.

لفلي سمايل، الثورة اليمنية، HTTP://WWW.LOVELY0SMILE.COMK، تاريخ الإضافة، 2-7-1432 هـ.

لقاء مع قناة حلب اليوم، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=F-8YTTSGCKE، 2015/03/03

مجموعة من الباحثين، اشراف عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية DORAR.NET)،

محمد، أحمد، مقال: الثورات العربية في سياق الربيع العربي والديمقراطية، 09 مايو 2015، HTTP://WWW.JADALIYYA.COM/.

المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، صحفية الرياض السعودية، 17 نوفمبر 2016، WWW.ALRIYADH.COM.

ملكاوي، معاذ، أمريكا وإيران أعداء من ورق، حلفاء على الأرض، (قطر، مدونات الجزيرة، 2017/5/24). HTTP://BLOGS.ALJAZEERA.NET

نصار، أحمد محي الدين، أسباب ضعف الوازع الديني، الإثنين 15 تشرين أول 2012م. WWW. SAIDACITY.NET،

نعوم، سركيس، مقال بعنوان: عوامل أربعة تُنجِح الثورات أو تُفشِّلها، 8 كانون الثاني 2014، HTTPS://NEWSPAPER.ANNAHAR.COM

هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، ضمن مقالات ينشرها موقع CNN بالعربية بالتعاون مع صحيفة الشروق المصرية، HTTPS://ARABIC.CNN.COM.

الوافي، ولطيفة بهلول، البطالة في الوطن العربي، (المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، HRDISCUSSION.COM،

وثائق ويكيليكس، موقع: HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI

يحيى، ناصر، مواقف زيدية ضد الحوثي، 1 أبريل 2013م، HTTP://ALMASDARONLINE.COM/ARTICLE/43630

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET.

حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (العربي الجديد، 19 نوفمبر 2014)، WWW.ALARABY.CO.UK.

الحوالي، سفر، ظهور الفكر التوفيقي ونتائجه، من الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي: HTTP://WWW.ALHAWALI.COM.

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET

هيئة كبار العلماء السعودية، داعش دسيسة على الإسلام صنعتها أيد خفية، (الرياض، هيئة كبار العلماء،). HTTP://WWW.WAS.SA/1403388

شرف الدين، يوزورجمهر، لماذا تخلت إيران عن المالكي في النهاية، موقع بي بي سي العربي، .://WWW.BBC.CO.UK/ARABIC/MIDDLEEAST/2014/08/

الحوالي، سفر، شرح رسالة تحكيم القوانين الوضعية، (موقع طريق الإسلام).HTTPS://AR.ISLAMWAY.NET

الحليبي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 1425/4/15هـ) من موقع: HTTPS://SAAID.NET/

الحليبي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 1425/4/15هـ) من موقع: HTTPS.WWW.//SAAID.NET

العدد 9522 الثلاثاء 5 مايو 2015 الموافق 16 رجب 1436 دولي الأيام، HTTP://WWW.ALAYAM.COM

خالد محمد سعيد صبحي قاسم (وُلد في يناير 1982 ومات 6 يونيو 2010) شاب مصري من مدينة الإسكندرية، قتل بالضرب على يد أفراد من مخبري الشرطة المصرية. (قصة ثورة، HTTP://THAWRASTORY.COM)، 3 أغسطس، 2016.

صِديقي، تونس: ثورة المواطنة "ثورة بلا رأس، 25 يوليو2012، HTTP://WWW.DOHAINSTITUTE.ORG.

السلفي، عادل، جماعة الحوثي، (منديات كل السلفيين،)، HTTP://WWW.KULALSALAFIYEEN.COM/VB/SHOWTHREAD.

العماني، فاضل، الأسباب العشرة للربيع العربي، العدد 16932، HTTP://WWW.ALRIYADH.COM.

أمين، جلال، رد الاعتبار لنظرية المؤامرة، مدونة رحلة تفكر، HTTP://WWW.REHLATTAFAKKOR.COM

HTTPS://ARABIC.CNN.COM/MIDDLEEAST/2015/06/05/ME-050615-MAQDISI-BAGDADI-ISIS#AUTOPLAY

صحيفة الرأي العام الإلكترونية: 30 AUGUST 2015: HTTP://WWW.RAIALYOUM.COM.

HTTP://YEMEN-PRESS.COM/NEWS66195.HTML. الخميس، 21 يناير، 2016.

صحيفة التحرير الإخبارية، 2016/06/29: HTTP://WWW.TAHRIRNEWS.COM.

حوى، أحمد سعيد، لقاء مع قناة حلب اليوم، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=K7LACGJUBT8،

التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية 2016/2017، 22 شباط / فبراير 2017 WWW.AMNESTY.ORG.

طه، أحمد، ألف باء ثورة: هكذا تنجح الثورات في تحقيق أهدافها، 4 صفر 1438هـ، HTTPS://TIPYAN.COM

عن المؤلف

الاسم: إبراهيم محمد عبدة بن موسى

محل الميلاد: جدة – المملكة العربية السعودية

تاريخ الميلاد: 20 / 5 / 1971 م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه سبعة أولاد

البريد الإلكتروني: Dr.ebrahim.mousi@gmail.com

المؤهلات العلمية

إجازة في القرآن الكريم كاملا

العديد من الدورات الشرعية على أيد كبار علماء العالم الإسلامي

إجازات علمية في العديد من المتون العلمية

العديد من الدورات الإدارية

العديد من دورات التنمية القدرات على أيد كبار المدربين الدوليين

درجة البكالوريوس –تخصص الشريعة والقانون

درجة الماجستير –تخصص الشريعة "السياسة شرعية"

درجة الماجستير –تخصص العقيدة

درجة الدكتوراه –أصول الدين "الفكر الإسلامي"

الخبرات المهنية

مدير مركز نور ولي –جدة –السعودية:(1991-1993)

مؤسس مدير مركز ومسجد الشروق –جدة –السعودية: (1993 – 1998)

مؤسس ومدير مدرسة الراشد الخيرية –جدة –السعودية: (1992 – 1998)

مدير الشئون التعليمية بمركز الأمير منصور الخيري –جدة –السعودية: (1999 – 2003)

مؤسس مجموعة الحجاز للتجارة والاستثمار –صنعاء –اليمن: (2006 -2012)

مؤسس أكاديمية الهدى للدراسات الإنسانية والفكرية (أهداف): (2019)

محاضر بجامعة الحكمة للتربية الإسلامية –سروابايا – إندونيسيا: (2018)

مدرب دورات مهارية في تنمية المهارات للمدرسين والإداريين

المؤلفات والبحوث

قصة القرآن: برنامج اسبوعي في راديو (سوارا مسلم) –اندونيسيا

المشاركة في مؤتمر الإسلام والقضايا المعاصرة – جامعة ملايا –بعنوان: لاجئووا اليوم قادة الغد

دلالة الإيمان بين الغلو والجفاء –مجلة مجمع

الإرهاب بين الانحرافات الفكرية وأيديولوجية الهيمنة –مجلة أفكار

صراع الحضارات، بين الانحراف الفكري، وتداعيات الإرهاب الغربية –المجلة العربية

الانحرافات العقدية وأثرها على الربيع العربي: رسالة دكتوراه

الصلح والهدنة في ضوء الكتاب السنة: رسالة ماجستير

حسين بدر الحوثي وأثره في التحولات العقدية لدى زيدية اليمن: رسالة ماجستير

العديد من البحوث المؤلفات في مجالات التربية والسياسة والفكر